

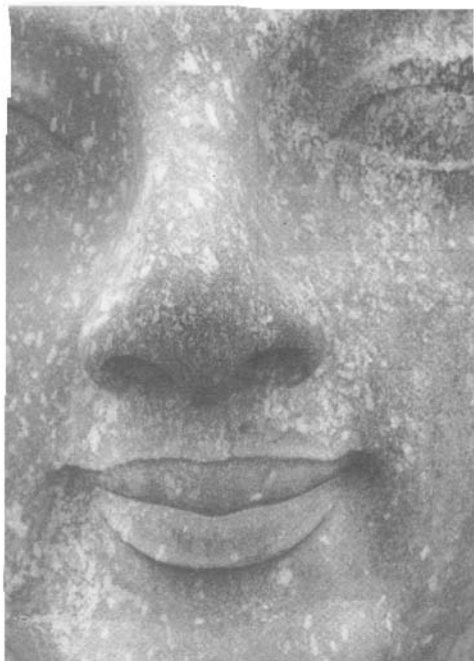
فجر الظمير المصري

عزت السعدني



Amly

<http://arabicivilization2.blogspot.com>



السعدنى، عزت.
فجر الضمير المصرى/عزت السعدنى. - القاهرة:
الهيئة المصرية العامة للكتاب. ٢٠٠٧.
٣٦٨ ص: ٢٤ سم .
٩٧٨ ٩٧٧ ١٢٠ ١٦٨ ٨ ثمدك
١ - المقالات العربية.
(١) - العنوان .
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٧ / ٢٧٠١٠
I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 168 - 8
دبوى ٨١٤

Amby

<http://arabicivilization2.blogspot.com>

فجر الظهير المصري

عزت السعدنى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٨

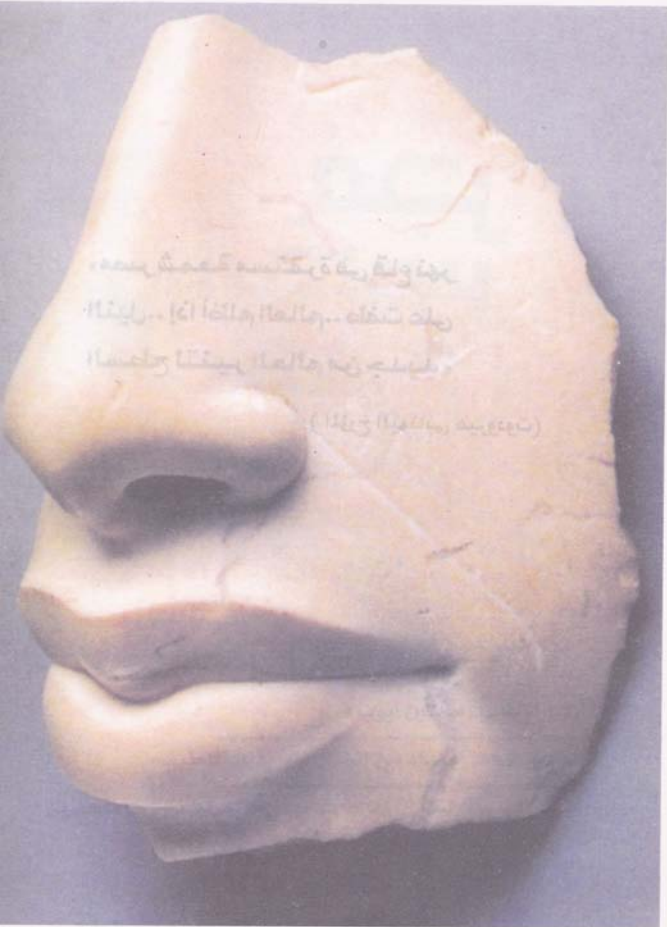
الإخراج الفنئ : مادلن أوب فرج

مصمم الغلاف : مهءاه من الفنأن أنور عبء اللطفف

اللوحاء الءاءلفاء والصور : برفشاء وعبءة فنأنفن مسءشرقفن مصرففن معاصرفن

« مصر شمعة مستقرة فى قاع نهر
النيل.. إذا أظلم العالم.. طفت على
السطح لتنير العالم من جديد »

(المؤرخ اليونانى هيروdot)



هذه ولية ربنا في كتبه كعشر سنة

بهدية شفاه... والحمد لله رب العالمين

بهدية شفاه... والحمد لله رب العالمين

(سنة ١٠٠٠ هـ)

مقدمة

سيظل الإنسان المصرى من يوم أن خلق الله الأرض ومن عليها وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.. هو أول من زرع، وأول من حصد، وأول من كتب وأول من قرأ وأول من آمن بالله الواحد الأحد.

وهو أول من غنى للحب فى ظل النخيل وشمس الأصيل.. وأول من وضع قانونا يحكم بالعدل وبالحق بين البشر.. وأول من بنى وعمّر وشيّد المدائن والأهرامات والمعابد والمسلات لكى تحكى للدنيا عظمة هذا الإنسان، الذى حير العالم ومازال يرسل الشعيرات البيض إلى رأس علمائه ومؤرخيه حيرة وعجبا وإعجاباً وانبهاراً وانحناءً لهذا الإبداع وهذا الخلق وهذا الفكر العظيم..

والإنسان المصرى هو صانع الجمال فى الأرض.. فقد أبدع النحات المصرى قبل الزمان بزمان أجمل ما فى المرأة من سحر وفتنة.. فصورها فى تماثيل تكاد تتطابق وتتكلم وتقول.. وقد رأيت بعينى المثال الفرنسى الشهير لافاييت وهو ينظر بإعجاب بالغ ويكاد يسجد على الأرض انبهاراً وهو يقف أمام تمثال حتحور إلهة الجمال بوجه الملكة نفرتارى الأثيرة المحببة عند زوجها ملك الملوك رمسيس

الثانى فى معبدها فى أبى سمبل.. ثم تلفت إلى وقال: لو إنك كلمت هذا التمثال
البديع لرد عليك على الفور وقال لك أنا أجمل نساء العالمين.

قلت له: بأية لغة.. الهيروغليفية التى تعرفها نفرنارى أم لغتك أنت وقومك..
وهم الذين فكوا شفرة اللغة الهيروغليفية بواسطة عالمكم شامبليون؟

قال باسماء: لغة الجمال هى اللغة الوحيدة التى نتحدث بها هنا.. هى تعرفها
لأنها سيدة جميلات الكون.. وأنا أعرفها لأننى صانع الجمال والمتعبد فى
محرابه.. ويبدو أنك الوحيد الذى لا تعرفها..



وأنا أزعم هنا ومن خلفى طابور من مفكرى وفنانى ومبدعى العالم أن مصر
كما هى مهد الجمال والحب والفضيلة.. هى مهد الحكمة ومهد الأديان ومهد
عبادة الإله الواحد الأحد.. وأن الحكيم العظيم أمينوبى ومعه أخناتون هما أول
من عرفا الإله الواحد الأحد من بنى البشر.. وهما يقتربان كثيراً من الأنبياء
والرسل.. إن لم يكونا بالفعل..

يقول المؤرخ جيمس هنرى بريستد فى كتابه: "فجر الضمير": إن جميع العلماء
يجزمون أن فصلاً ونصفاً من كتاب الأمثال فى التوراة . العهد القديم . قد أخذ
معظمه بالنص من حكم الحكيم المصرى القديم أمينوبى..

ويعترف نفس المؤرخ صراحة فى كتابه "فجر الضمير" . كما يقول عالم
المصريات د . سيد كريم . أن أخناتون رسول الإله الواحد إلى الناس كافة
لينظرهم على جماله ويشعرون بقوة خالقهم وسلطانه .. لقد جاء أخناتون لينقل
للشعر جمال وروعة كلام الإله وتعاليمه التى تنطق بها التسابيح والترانيل
الشعرية التى تصاحبها لغة الموسيقى.. لغة السماء.

ويقول المؤرخ هيرمان فى كتابه كنوز الحضارة: إن شخصية أخناتون كانت
مثلثة القوى.. فقد ورث فلسفة الفن عن أبيه الملك إمنحوتب الثالث.. والعقيدة
عن أمه الملكة تى العظيمة.. والشجاعة عن جده الفاتح الأعظم تحتمس الثالث.

ما أروع أن تشاهد أختاتون الذى زرع ديانة التوحيد فوق أرض مصر.. بعد أن زلت وتاهت فى دروب الكهنة سدنة الملوك والسلطين.. وهو يناجى ربه فى الهزيع الأخير من الليل قبل أن يبزغ أول شعاع من ضوء الشمس:

أنت يا خالق البذرة فى المرأة..

وجاعل الولد يعيش فى بطن أمه..

ومهدنا إياه حتى لا يبكى..

ومرضعا إياه حتى فى الرحم..

وحينما ينزل من الرحم فى يوم ولادته

فأنت تفتح فمه وتمنحه ضروريات الحياة..

يا أيها الإله الأحد الذى لا يوجد إله آخر بجانبه.

لقد خلقت الأرض ومن عليها حسب رغبتك..



لقد عشت عمري كله بأحنا ومنقباً فى جذور وأصول الإنسان المصرى الضاربة فى أعماق التاريخ المكتوب.. وما قبل التاريخ المكتوب.. أبحث وأنقب وأقرأ وأتأمل وأكتب.. زرت مكتبات العالم الشهيرة.. مكتبة المتحف المصرى فى لندن.. ومكتبة الكونجرس فى واشنطن ومكتبة التاريخ فى ملبورن بإستراليا.. وزرت متاحف العالم كان يشدنى ويهمنى ما يخصنى وهو مصر والمصريين فى هذه المتاحف التى تضم أعلى الكنوز المصرية التى ربما لا نملك مثلها فى بلدنا.. مثل رأس الملكة نفرتيتى ومجموعة تماثيل حتشبسوت فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك.. بخلاف البرديات والمومياءات والمسلات..

ولقد قرأت مئات الكتب التى تتحدث بكل لغات الأرض عن حضارة مصر وما قدمه الإنسان المصرى حتى يومنا هذا..

وكتبت مئات المقالات والأبحاث والدراسات عن الإنسان المصرى فى ماضيه وحاضره.. وكتبنا كثيرة.. كان الإنسان المصرى وكانت مصر هى كل همى ودمى وألمى ودمعى وصبحى ومسانى وليلى وسهرى وصبرى وصلاتى وقيامى وقعودى..

ما أقدمه اليوم هو إطلالة قلمية وفكرية وحصاد مشوار مع القلم والسهر والقراءة والحوار مع مفكرى هذه الدنيا.. من سبق ومن لحق ومن لا يزال يغمس قلمه وفكره فى حكاية الإنسان المصرى التى حيرت الدنيا وما زالت..

الكثيرون اعترفوا وسجلوا اعترافاتهم كتباً ومجلدات.. ومقالات..

والقليون استكروا علينا هذه الحضارة العظيمة أن نكون صناعها و اخترعوا خيالاً أو قل استعباطاً وهبلاً وكيداً من عندهم وزعموا فيما يزعمون أن كائنات فضائية نزلت إلى أرض مصر قادمة من كواكب أخرى.. شيدت الأهرامات ورفعت المسلات وبنيت المعابد ونحتت أبا الهول.. وسرح بهم الخيال إلى أن يتوهموا أن قارة أطلانتيس التى اخترعوا أنها غرقت فى المحيط الأطلسى بفعل زلزال هائل.. هى التى خرج منها العلماء الذين بنوا لنا الأهرامات.. وأن أسرار ذلك كله مدفونة تحت قدمى أبى الهول!

وللعلم لقد بحثت مع عالم المصريات د. زاهى حواس قبل نحو عشر سنوات وحفرنا تحت قدمى أبى الهول وأمامه ومن حوله.. فلم نجد شيئاً من هذا الوهم العظيم!



ألم أقل لكم إن مصر هى مهد الأديان السماوية ومهبط الرسالات وإن المصريين قوم يخافون الله وهم أول من قالوا من بنى البشر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. لقد ظهر فيها نبي الله إدريس عليه السلام.. وجاءها أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة أم نبي الله إسحاق عليه السلام.. وخرج منها سيدنا يوسف عليه السلام بالرسالة..

هى التى حمت المسيح ابن مريم طفلاً على ذراعى أمه أظهر خلق الله من كيد الرومان..

من نسل نساؤها أنجب سيدنا إبراهيم عليه السلام سيدنا إسماعيل من أمه
السيدة هاجر المصرية..

من نساؤها تزوج سيد الخلق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من مارييا
التبطينية وأنجب منها ابنه إبراهيم الذى اختاره الله وهو بعد صبى..



لقد أشرق فجر الضمير المصرى قبل الزمان بزمان..
وأشرقت الشمس المصرية نوراً وتنويراً بينما شمس الدنيا كلها مظفأة.. وناسها
نيام أو مغمضو العيون..

وها هم الدعاة المصريون للحق والخير والعدل والجمال والفضيلة يحملون
الرسالة فى كل عصر وأوان.. لافرق بين أن يحملها نبى أو رسول جاء ذكره فى
الكتب السماوية.. أو يحملها من لم يأت ذكره إلا فى صحف التاريخ.. بداية من
بتاح حتب وأمينوبى وأنى وأخناتون..

ولسوف تظل الشمس المصرية مشرقة أبد الدهر.. وحتى يرث الله الأرض
ومن عليها ■

عزت السعدنى



فجر الضمير المصرى

الإنسان هو الإنسان فى كل عصر وكل أوان. لا يتغير أبداً ولا يتبدل وهو وإن كان يأمر إلهى هو خليفة الله فى الأرض لكى يحمل أمانة الكلمة.. إلا إنه كما حتمت الدنيا أفسدها وخرّبها.. كما قالت الملائكة للحق عز وجل آتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك..

ورد عليهم الحق: إبنى أعلم ما لاتعلمون.

والإنسان هو الإنسان.. منذ بداية الخلق ونزول سيدنا آدم وأمنا حواء عليهما نسلام إلى الأرض.. بخيره بشره، بحبه بكراهيته، بحنانه بحقدته، بكرمه بجشعه، شراضعه بكبره، برحمته بقسوته، ببره بلؤمه، بعطفه بجحوده، بعلمه بجهله، بأدبه برعونته، بطيبته بخبثه، بعدله بظلمه، مهما بعدت به المسافات والثقافات واللغات ولأديان والمجتمعات فقرا كان أم شنى.. عوزا كان أم شعبا.. سيظل كما قال فيه حق تعالى: ظلوماً جهولاً.

→ مصر هى المنارة وهى الحضارة وهى أم الدنيا.

ولقد حمل إلى الصديق ورفيق الطريق الدكتور زاهى حواس عالم المصريات المعروف من رحلته الطويلة فى دول أمريكا وأوروبا كنزاً من كنوز الفكر والمعرفة والحكمة جاء به من لندن..

وقال لى وهو يهمس فى أذنى حتى لا يسمعه الحاقدون والحاسدون والكارهون: هل تريد أن تعيش فى فكر حكيم مصرى عمره أكثر من ٢ آلاف سنة؟! قلت بنفس الصوت الهامس: ومن منا لا يريد أن يتعرف على فكر من سبقونا بالحكمة ومعرفة أسرار الحياة؟

قال: لقد أفرج المتحف البريطانى عن بردية أمينوبى ذلك الحكيم المصرى الذى عاش فى مصر قبل أكثر من ٢ آلاف سنة.. وقبل أن تنزل توراة موسى عليه السلام. والمعروفة باسم: تعاليم أمينوبى لابنه..

قلت: تقصد كل ما قاله هذا الحكيم العظيم لابنه فى صورة نصائح ووصايا يوصيه بها فى حياته الدنيا؟

قال: وهى مقسمة إلى ثلاثين فصلاً وقد فسرها وحققها السير دالاس بودج وبروفيسور هـ أو لنج والأخير من جامعة كوبنهاجن فى الدانمارك..

وقد قال العالمان عن تعاليم أمينوبى لابنه.. إنها تدخل فى دائرة التعاليم الدينية لما فيها من عمق دينى كما أنها تنفذ إلى الأعماق بدرجة تفوق من سبقوه من الحكماء.. فإذا كانت التقوى فى نظر أصحاب الحكمة الآخرين تعد فضيلة، وإن فكرة الموت والخلود الأبدى قوة دافعة للمرء على السلوك الفاضل وأن الله وحده هو الذى يمنح الغنى والحظ.. فى حين تجد أن الشعور بالخضوع لله الواحد الأحد وحده، هو فى نظر أمينوبى العامل الفاضل فى كل تصوراته عن الحياة التى يعيشها الإنسان والخضوع التام لله.. إنها تعاليم مفكر مصرى عظيم قبل أن يكتب أى شيء عن التوراة..

قلت: وقبل أن ينزل سيدنا موسى بتوراته إلى الناس بمئات السنين!

قال: تماماً..

تت: لقد قرأت في كتاب "فجر الضمير" لجيمس هنري بريستد أن جميع
نسخه بكتاب العهد القديم . التوراة . يجزمون الآن أن محتويات ذلك الجزء الذي
يحه نحو فصل ونصف فصل من كتاب الأمثال قد أخذ معظمه بالنص عن حكم
الحكيم المصري القديم أمينوبي.. أى أن النسخة العبرانية هي تقريبا ترجمة
حرفية عن الأصل الهيروغليفي العتيق.. وأصبحنا نجد حكم أمينوبي لا في كتابه
الأمثال في العهد القديم» فقط، بل في القوانين العبرانية، وفي سفر
أيوب.. وفي سفر «شأؤول»، و «زرميا»، لأن الحكيم «أجور» . كما يقول بريستد .
لن تؤولف حكمه الفصل الثلاثين والملك لمويل الذي يدين لأمه بحكمه التي تؤولف
فصل الحادى والثلاثين لم يكونا بداهة من أصل عبرانى .

وأنا شخصيا «وباجتهاد منى.. وحتى لا يسيء أحد فهم مقصدى.. وحتى لا
يرغل أحد ولا يشكو أحد ولا ندخل بأقدامنا في حقول ألفام.. أضع أمينوبي
الحكيم في نفس منزلة أختاتون العظيم.. وأزعم حاشا لله أن أحدهم أو كليهما
من المرسل والأنبياء الذين لم يقصصهم الله على نبيه محمد عليه الصلاة
والسلام.. فهما جاءا قبل الرسالات السماوية الثلاث بسنوات طويلة موعلة في
نقدم.. وقاما برسالتهما لخير البشر قبل نزول التوراة والإنجيل والقرآن.. بل إن
كثيرا من أناشيد أختاتون وتراتيله وصلواته للإله الواحد الأحد.. نجدها من بعده
في مزامير نبي الله داود عليه السلام.. وتعاليم أمينوبي نجدها في كتاب العهد
قديم في سفر الأمثال..

بداية تعالوا نقلب معاً صفحات من حكمة وفكر وخير وحق وعدل وجمال
وفضيلة.. ونحن نقرأ معاً ما جاء في النسخة الأصلية التي حملها لأول مرة إلى
شاهرة وعالم المصريين الدكتور زاهى حواس.. وقام بترجمتها من الهيروغليفية
إلى العربية.

يقول أمينوبي الحكيم لابنه قبل أن ينخرط في سلك الوظائف الحكومية المصرية
. فقد كانت في مصر حكومة قبل أن تعرف أوروبا القراءة والكتابة، وقبل أن تخرج
أمريكا إلى النور بثلاثين قرنا من الزمان . وهو يحذر ابنه من الاستسلام لمغريات
وشرور الدنيا.. ويبدو أن الوظيفة التي كان سيشغلها هذا الابن الذي حير أباه
أمينوبي طويلا.. مخططا للأرض يعنى «قياس» كما نعرفه الآن..

■ يقول الأب لابنه:

لاتزحزحن الحد الفاصل الذى يفصل «بين» الحقول.. ولاتكن جشعا من أجل ذراع من الأرض ولاتتعددين على حد أرملة.. أتعرف أنت من يفعل ذلك فوق الأرض.. فبيته عدو للبلد وأرضه تخرب وأملاكه تؤخذ من أيدى أطفاله.. ومتاعه يعطى لغيره..

لاتطأن حرث الغير.. وخير لك أن تبقى بعيداً عنه.

احرث الحقول حتى تجد حاجتك.. وكل خبزك من جرنك الخاص بك.

وأن المكيال الذى يعطيه لك الله خير لك من خمسة آلاف تكسبها بالبغى.. والفقر مع القناعة والرضا عند الله خير من الثروة المغصوبة بالعدوان، القابضة فى الخزائن، وأرغفة لديك مع قلب فرح خير لك من ثروة مع التعاسة.

وها هو ينصح ابنه بمراعاة الأمانة فى السجلات المالية ليقول له:

وخير لك المدح تناله كفرد يحبه الناس.. من الثروة المجموعة فى الخزائن.. وذلك لأن الفنى مع الضمير الشاعر بالذنب لاقيمة له.. وما فائدة الملابس الجميلة إذا كان الإنسان باغيا معتديا على غيره أمام الله؟..

لا تجعلن إحدى كفتى الميزان تحيد غشا ولاتعبت بالموازين.. ولاتنقصن من عدد أنصبة أو مقادير مكاييل القمح ولاترغبين فى مكاييل الحقل ولاترغبين فى مكاييل الحزانة.. ففوة الجرم أكبر.

من القسم «اليمين الرسمية للحكومة» بالعرش العظيم.

لاتطمعن فى متاع رجل فقير.. لاتطمعن فى متاع رجل عظيم..

وحتى يحافظ ابنه على الاستقامة التى لا تراخى فيها ولاهوادة فى المعاملات الشرعية وفى التقاضى أمام المحكمة نجده يقول له:

لاتجبرن رجلا على الذهاب أمام المحكمة لأنك لن تجعل العدالة تلتوى.. فلا يتجه وجهك نحو الملابس البراقة «يعنى التى يلبسها الخصم».. بينما تطرد من

تكون ملابسه قذرة بالية.. لا تأخذن العطايا من القوى ولا تضطهدن الضعيف من أجله، فالعدالة هبة عظيمة من الله يهبها من يشاء.. فتوة من كان مثله «أى مثل نه» تتجى المكتتب من ضرباته» يعنى ضربات القاضى..»

أعط المتاع أصحابه.. وبذلك تبنى لنفسك الحياة.. ومع أن قلبك يعمر فى بينهم «يعنى فى بيت الملاك الذين تحاببهم» يكون جسمك مصيره لمقصلة الجلاد.. لا تقولن: لقد وجدت رئيساً قوياً.. والآن يمكننى أن أهاجم رجلاً فى مدينتك.

ولا تقولن: لقد وجدت حامياً.. والآن يمكننى أن أهاجم الرجل المقوت.. فالحقيقة أنك لا تعلم تدبير الله.. وأنت لا تدرك الغد.. ضع نفسك بين يدى الله لئى أن يهزمهم.. بقدرته وعدله..

ثم يستمر أمينوبى فى نصائحه:

إذا سمعت خيراً أو شراً فاتركه وراءك غير مسموع.. وضع الكلام الحسن على لسانك.. وأما الكلام السيئ فابقه مخفياً فى جوفك..

■ ■ ملحوظة من عندى: يقول جيمس هنرى بريستد فى كتابه «فجر الضمير» بالحرف: وبنفس هذه الفكرة التى تجول فى ذهن ذلك الحكيم نراه ينصح ابنه بالأى يسترق السمع فى البيوت العظيمة، وأخذ بحثه بهذه المناسبة على مراعاة التواضع فى مسلكه إذا كان على منأدة رجل عظيم.

وقد قدمت مثل هذه النصيحة و ببعض تعبيراتها قبل مقال أمينوبى بنحو ثمانية عشر قرناً، وهى تلك الحكمة التى ألقاها «بناح حتب» على ابنه فى عهد الأسرة الخامسة. ولأنها حكمة بالغة فى السلوك الواجب نحو الرؤساء، ظل المنصريون القدماء يحترمونها مدة تزيد على ألفى سنة. فقد وجدت سبيلها إلى الحياة العبرانية، وهى تعد من غير شك أقدم قلعة جاءت فى التوراة.. انتهت ملحوظة ■ ■

وهاهو يحذر ابنه الشاب من المرأة والمعاملة ذات الوجهين فى كل علاقته حين يقول له:

لاتطلقن قلبك من لسانك.. فإنك بذلك تحظى بنجاح كل مقاصدك.

وبذلك تكون رجلاً ذا وزن أمام الجمهور ومقبولاً بين يدي الله لأن الله يمقت الرجل صاحب القول الكاذب وأكبر ما يمقته الرجل ذا القلبين..

■ ■ ملحوظة من عندي: ولقد قال الحق عز وجل في كتابه العزيز في سورة الماعون:
﴿قَوْلٍ لِلْمَعْصَلِينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ بِرَأْسِهِمْ يَرْجَمُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ (٧)﴾ (صدق الله العظيم)

قال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في حديثه: «ملعون ذو الوجهين»..
انتهت الملحوظة ■ ■

وإذا كانت مصاحبة العظيم تغرى بالنفاق، فإن مصاحبة المتسرع والأحمق تدفع الإنسان إلى التهلكة:

لاتؤاخين الرجل الأحمق.. ولا تلح عليه في المحادثة..

ولاتشتبكن في نزاع مع سفيه اللسان..

إن الرجل الأحمق، الذي يخدم في المعبد مثله كمثل شجرة نامية في الغابة.. في لحظة يفقد أغصانه ويكون مصيره إلى مرفأ الأخشاب.. وينقل بعيداً عن مكانه والنار مثواه..

وأما الرجل الحازم حقاً الذي يضع نفسه جانباً «حيث يجب» فمثلته كمثل شجرة باسقة في الحديقة.. يفلح وتتضاعف ثمرته ويثمر في حضرة سيده. فظله وارف وثمرته أكلها حلو ويوجد في الحديقة مصيره.

ويحاول أمينوبي أن يبعد ابنه عن غطرسة الكبر والتكبر ويدفعه إلى أن يكون متواضعاً فمن تواضع لله رفعه:

الله يحب الذي يدخل السرور على الرجل المتواضع.. أكثر من الذي يسر الرجل العظيم..

لاتضحكن من رجل أعمى ولاتهزأن بقزم ولاتؤذنين مقعداً.. ولا تستهزئن برجل يكون بين يدي الله ولاتقسون عليه عندما يبغى أو يجور أو يذنب..

و من نبشّر فهم من طين وقش والله هو بانبيهم.. فهو يهدم ويبنى ثانية كل
يوم.. فيخفف ألفا كما يشاء.. وألّا يجعلهم مشرقين ماداموا في الحياة الدنيا..
و به سعيد من يصل إلى الدار الآخرة وهو ناج في يد الله.

■ ■ وإن عدم ثبات أحوال الإنسان، وتوقفها على مشيئة الله تعالى. قد
حدّ أمينوبى الى تحذير ابنه من الاعتزاز بالثروة الزائلة، حيث قال له:
لأنّ من قلبك يجرى وراء الثروة.. ولا تجهدن نفسك في طلب المزيد، عندما
تبرّ قد حصلت بالفعل على حاجتك.. وإذا جاءت إليك الثروة من طريق السرقة
فسيها لا تمكث عندك زمن الليل، فحينما ينبلج الصباح فإنها لم تكن في بيتك
عدّ لأنها تكون قد صنعت لنفسها أجنحة مثل الإوز وصعدت إلى السماء..
عبد الله إلى السماء.. وقل امنحنى سلامة وصحة.. وسيمنحك ما تحتاجه
سرى حياة.. وتأمين من الخوف..

■ ■ ملحوظة من عندي: يقول جيمس هنرى بريستد في كتابه «فجر الضمير»
معتد على هذه الحكمة العظيمة بالحرف: «إن الثروة المفصوبة تصنع لنفسها
حجة وتطير بعيداً وصورها لنا في تلك الصورة البارزة عن الثروة الأرضية التي
تسوء وتكون عرضة للزوال والفساد، نعرف لها مثيلاً في صورة أخرى انحدرت
لب عن طريق محرر كتاب الأمثال العبرى وانتشرت في حياة العالم الغربى بعد
ظهورها بين سكان مصر بثلاثة آلاف سنة». انتهت الملحوظة ■ ■

ولأنّ الدنيا متاع زائل.. وكلنا ذاهبون لامحالة وتاركون كل شيء خلفنا، ولن نأخذ
شيء واحداً مما كنزناه وتعبنا وكسرنا الدنيا من أجله. ولكن ما الضمان؟
الضمان كما يقول أمينوبى هو الله وحده وعلينا أن نعبده لننجوا من الخوف..
و من حصل على الأمان وراحة البال أبداً إلا بالاعتماد على الله وحده.. ومن هنا
حدّ هذا الحكيم الملك العظيم في أكثر كلماته نبلا وعظمة يقول لابنه:
لا تم في الليل وأنت خائف من الغد.. لأننا لا ندرى عندما ينبثق الفجر ماذا
يكون عليه الحال في الغد؟

والإنسان لا يعلم ما سيكون عليه الغد.. الله في كماله.. والإنسان في عجزه..
و الحكمة التي يتكلمها الناس تختلف في اتجاهها، في حين أن أعمال الله مختلفة
لا تحده.. وأنت تريد والله يفعل ما يريد..

لاتقولن: لست أحمل خطيئة.. ولا تجهدن نفسك فى إثارة النزاع أما الخطيئة فأمرها عند الله، وهو الذى يخطمها بأصبعه وليس فى يد الله الإنسان كامل ولا يقف العجز حائلاً أمامه.. فإذا أجهد الإنسان نفسه ليصل إلى الكمال فإنه فى لحظة يهدمه بنفسه..

كن رأينا فى عقلك وثبت قلبك.. ولا تجعلن من لسانك الإنسان كركاب السفينة.. فإن رب الجميع هو ربانها..

■ ■ ملحوظة من عندى: يتساءل جيمس هنرى بريستد فى كتابه فجر الضمير: هل كان هناك . عندما نصح السيد المسيح عليه السلام تلاميذه بقوله . لاتفكروا فى الغد . أى صدى لهذه الملحمة المصرية القديمة فى تلك الكلمات؟..

إنه من المحتمل ألا يكون فى مقدورنا قط الإجابة عن هذا السؤال، غير أن حكم أمينوبى قد قدمت لنا مساعدة جوهرية فى الكشف عن مدى انتشار التعاليم الحقيقية المصرية القديمة فيما وراء شواطئ النيل، وبخاصة فى فلسطين على أن أعظم الأجزاء انتشاراً من حكم أمينوبى قد تجاوزت فلسطين إلى مدى شاسع ولاتزال مستعملة حتى اليوم. انتهت الملحوظة ■ ■

والآن.. لنقرأ معاً ما قاله أمينوبى العظيم.. وما جاء فى التوراة من بعده.. وحتى لا يفسر أحد كلامنا هنا بخطأ.. سوف أكتب ما قاله أمينوبى.. وما جاء فى سفر الأمثال بالنص دون تدخل منى ولسوف نكتشف أن النصوص تكاد تكون طبق الأصل: ■

■ ■ يقول أمينوبى الحكيم المصرى: أما أذنيك بتسمع أقوالى.. وأعكف قلبك على فهمها، لأنه شئ مفيد إذا وضعتها فى لبك.. ولكن الويل لمن يتعدها..

■ ■ أما سفر الأمثال فيقول:

١٧ . أمل أذنك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك إلى معرفتى.

١٨ . لأنه حسن إن حفظتها فى جوفك.. إن شئت جميعاً على شفيتك..

■ ■ ويقول أمينوبى المصرى:

لاتزحزحن علامات حدود الحقول.. ولاتكونن شرها من أجل ذراع أرض، ولاتتعددين على حدود أزملة..

■ ■ وقد جاء في سفر الأمثال:

١٠. لا ترحزن حدود الأرملة ولا تدخلن في حقول اليتامى..

■ ■ ويقول أمينوبى الحكيم المصرى:

لا تتعبن نفسك فى طلب المزيد حينما تكون قد حصلت بالفعل على حاجتك..
وإذا جلب إليك المال بالسرقة فإنه لا يمكث معك سواد الليل وعندما يأتى الصباح
لا يكون بعد فى منزلك، بل يكون قد صنع لنفسه أجنحة كالإوز وطار إلى
سماء..

■ ■ ويقول سفر الأمثال:

: . لا تتعب لكى تصير غنيا

: . هل تطير عينك نحوه وليس هو؟

لأنه إنما يصنع لنفسه أجنحة كالنسر يطير نحو السماء..

■ ■ ويقول أمينوبى:

لا تصاحبين رجلا حاد الطبع.. ولا تلحن فى محادثته..

■ ■ ويقول سفر الأمثال:

: ٢ . لا تستصحب غضوبا ومع رجل ساخط لاتجى..

■ ■ ويقول أمينوبى:

لا تقولن قد وجدت حاميا والآن يمكننى أن أهاجم الرجل المقوت..

ضع نفسك فى ذراعى الإله بهزمهم صمتمك «يعنى الأعداء»..

■ ■ ويقول سفر الأمثال:

لا تنقل إنى أجادى شرا .. انتظر الرب فيخلصك..

لا تنقل اجزى على الشر بل انتظر الرب فيخلصك..

■ ■ ويقول أمينوبى:

الفقر في يد الله خير من الغنى في الهرى، «المخزن» وأرغفة تحصل عليها
بقلب فرح.. خير من ثروة تحصل عليها في تعاسة

■ ■ ويقول سفر الأمثال:

القليل مع مخافة الرب خير من كنز عظيم مع سم
أكلة من البقول حيث يحول المحبة خير من نور معلوف ومعه بفضة.

■ ■ ويقول أمينوبى العظيم

لأناكل الخبز في حضرة رجل عظيم ولا تعرض فمك في حضرته. وإذا أشبعت
نفسك من طعام محرم. فإن ذلك ليس إلا لدة ريقك.. وانظر فقط. وأنت على
المائدة. إلى الوعاء الذى أمامك وهن مكتفيا بما فيه..

■ ■ ويقول سفر الأمثال

١ . إذا جلست تاكل مع متلط فتأمل ما هو أمامك تاما؟

٢ . وضع سكيناً لحنجرتك إن كنت شرها..

٣ . لاتشبه أطابيه لأنها خبز أكاذيب..

ولكن يبدو أن نصيحة أمينوبى هذه قالها من قبله بتاح حتب وهو حكيم مصرى
أيضاً ظهر في أيام بناء الأهرامات في الأسرة الخامسة قبل نحو ٥٠٠٠ سنة أى
قبل أن يولد أمينوبى بنحو ٢٠٠٠ سنة على الأقل.. الأمر الذى يؤكد لنا تواصل
وتأصب الدمامة المصرية القديمة الموحدة بالله من أيام إدريس عليه السلام الذى
نزل بالرسالة على المصريين وهو المعروف عندهم باسم أوزوريس

وقد قال بتاح حتب بالحرف :

إذا كنت أمراً من الذين يجلسون على المائدة في حضرة رجل أعظم منك فخذ
منه حينما يعطيك ما يضعه أمامك. ولا تتظر إلى ما هو أمامه بل انظر إلى ما هو
أمامك ولا ترمينه بنظرات عديدة. واخفض من وجهك إلى أسفل إلى أن يخاطب
وتكلم فقط حينما يوجه إليك الكلام..

■ ■ ملحوظة من عندى.. وهذا يعنى أن ما جاء فى سفر الأمثال وما جاء فى حكم أمينوبى يرجع تاريخه إلى فجر الضمير المصرى قبل نحو ٥٠ قرناً من الزمان ولست أنا القائل بذلك.. ولكن قاله أيضاً جيمس هنرى بريستد فى كتابه العظيم فجر الضمير.. انتهت الملحوظة ■ ■

■ ■ ويقول أمينوبى:

الكتاب الماهر فى وظيفته سيجد نفسه كفوفاً لأن يكون من رجال البلاط..

■ ■ ويقول سفر الأمثال:

٢٩. أرايت رجلاً مجتهداً فى عمله، أمام الملوك يقف؟

■ ■ ولعل أكثر النصوص تشابهاً وتطابقاً.. ما قاله أمينوبى فى آخر تعاليمه لابنه:

تبصر لنفسك فى هذه الفصول الثلاثين.. حتى تكون مسرة لك، وتعلماً..

■ ■ وقال سفر الأمثال بالحرف:

٢٠. ألم أكتب بك ثلاثين فصلاً من جهة مؤامرة ومعرفة..

ألم أقل لكم إن مصر هى مهد الأديان السماوية ومهبط الرسالات.. وإن المصريين قوم يخافون الله بوصفهم أول من عرفوا الله وأول من قالوا من بنى البشر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له..

لقد أشرق فجر الضمير المصرى قبل الزمان بزمان.. وأشرقت الشمس المصرية نيراً وتويراً بينما شمس الدنيا كلها مظفأة.. وناسها نيام أو مغمضوا العيون..

وها هم الدعاة المصريون للحق والخير والعدل والجمال والفضيلة.. يحملون الرسالة فى كل عصر وأوان.. لا فرق بين أن يحملها نبي أو رسول جاء ذكره فى الكتب السماوية.. أو يحملها من لم يأت ذكره إلا فى صحف التاريخ.. بداية من بتاح حتب وأمينوبى وانى وأخناتون.. ولسوف تظل الشمس المصرية مشرقة أبد الدهر.. وحتى يرث الله الأرض ومن عليها. ■ ■



الوصايا المصرية العشر

هو أول من وجه ناظره إلى السماء وهو راعٍ ساجد متضرع، وقال: لا إله إلا
تة سبحانك.. لك الحمد ولك الشكر.. رب العزة والملكوت.

وهو أول من عبد الله الواحد الأحد من دون أهل الأرض جميعاً.

وهو أول من سجد لله الواحد القهار إيماناً واحتساباً وصدقاً ويقيناً.

وهو أول من آمن بالله وباليوم الآخر وبالبعث بعد الموت.. وبالجنة والنار..
وبالحساب والعذاب.. وبالثواب والعقاب.

وهو أول شعوب الأرض التي بعث الله إليها الرسل والأنبياء وأنزل إليها الكتب
والرسالات السماوية.. فأرسل الله إليه سيدنا إدريس عليه السلام أول الرسل
قبل نحو ٧ آلاف عام.

ثم أرسل إليه أخناتون العظيم الذى أزعج . ومن خلفى طالور طويل من عقلاء
القوم فينا . أنه نبى ورسول من تلك الباقية من رسله وأنبيائه الذين لم يذكرهم فى
قرآنه ومحكم آياته .. كما جاء فى الآية الكريمة:

→ الإنسان المصرى هو أول من عرف الله من بين البشر.

«منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص».

ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم في سورة الزخرف: «وكم أرسلنا من نبي في الأولين».

ويقول سبحانه في سورة يونس: ولكل أمة رسول...

ما أروع أن نشاهد أخناتون أول من أرسى ديانة التوحيد بعد أن زلت وتاهت في دروب الكهنة وسدنة الملوك والسلطان.. وهو يناجى ربه في الهزيع الأخير من الليل، قبل أن يبرز أول شعاع من ضوء الشمس:

أنت خالق البذرة في المرأة

والذى يذراً من البذرة اناسى

وجاعل الولد يعيش في بطن أمه

ومهدنا إياه حتى لايبكى

مرضعا إياه حتى في الرحم

وأنت معطى النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته

وحينما ينزل من الرحم (رحم أمه) في يوم ولادته

فأنت تفتح فمه كلية.

وتمنحه ضروريات الحياة

وحينما يصير الفرخ في لحاء البيضة

فأنت تعطيه نفساً ليحفظه حياً في وسطها

وقد قدرت به ميقاتا في البيضة ليخرج منها

وهو يخرج من البيضة في ميقاته الذى قدرته له

فيصيرح ويمشى على رجليه حينما يخرج منها.

وما أكثر تعدد أعمالك

• نسي الناس خافية
• أيها الإله الواحد الأحد
• خلقت الأرض حسب رغبتك
• حينما كنت وحيداً لا شيء غيرك في الوجود
• حفت الناس وجميع الماشية والفلان
• وجميع ما على الأرض
• مما يمشى على رجليه
• وما في عليين مما يطير بأجنحته
• فبنت تضع كل إنسان في موضعه
• وتمدهم بحاجتهم
• وكثر إنسان لديه قوته
• وأيامه معدودات
• ولألسنة في الكلام مختلفة
• وكذلك تختلف أشكالهم وجلودهم
• لأنك تخلق الأجناب مختلفين

.....

.....

الحضور أمامي ثلاثة: دكتور سيد كريم عالم المصريات المعروف + د. نديم
سيار صاحب «كتاب المصريون أول الموحدين + اللواء حسام سويلم صاحب
«دراسة العظيمة تحت عنوان: «مصر هي ثمرة التوحيد».

أسأل العارفين الثلاثة: هل حقاً الإنسان المصرى هو أول من عرف الله من
تشر جميعاً.. وأن أول رسالة للتوحيد نزلت بأرض مصر؟

الجواب لسيد العارفين الدكتور سيد كريم:

إذا حاولنا البحث عن جذور رسالة التوحيد فلسوف نجد أن أول رسالة للتوحيد على أرض مصر . يقول المؤرخ بترى فى كتابه ضمير الحضارة: إن شعب مصر كان أول شعب آمن بالله، أول من آمن بأن هناك إلهاً واحداً للجميع، آمن بهذه الحقيقة قبل الزمان بزمان، فكان أول من نادى بالتوحيد، والإيمان بالخالق هو الذى خلق حضارة مصر التى خلدت بخلود العقيدة، عبروا عن الإله أتون بالقوه الخفية الكامنة التى تهب الحياة وتسير الكون، عرفوا سر الوجود، فأمنوا بالحياة والروح والبعث والحساب والعالم الآخر.

لقد أجمع العلماء على أن أول رسالات الخلق والتوحيد التى عرفتها البشرية، وكانت منارة لها قد خرجت من مدينة أون عين شمس حالياً وأن تلك الرسالة بما حوته من تعاليم وتشاريع وتفاصيل بناء المجتمع الإنسانى، لايد أن تكون رسالة سماوية سبقت العقل البشرى، كما وصفها المؤرخ المصرى القديم (مانيتون) عام ٩٥٠٠ من التقويم المصرى الكهنوتى، أى منذ ١٢٥٠٠ سنة.

ثم يشير د. كريم إلى مراحل حمل رسالة التوحيد خلال عصور مصر القديمة فيقول:

بعد رسالة التوحيد الأولى التى خرجت من أون واستمرت ألفى سنة، خضعت مصر بعد ذلك لمختلف المذاهب وتعدد الآلهة، فقامت ثورة التوحيد الثانية على يد الملك مينا نمر موحد القطرين ومؤسس الأسرة الأولى، الذى قام بحربه المقدسة لتوحيد البلاد بتوحيد الإله الواحد الذى رمز له بصقر السماء.

ثم عادت الدعوة مرة ثالثة لرسالة التوحيد فى مصر الأهرامات، ورمز للإله الواحد بقصر الشمس (رع)، ثم كانت آخر رسالات التوحيد التى نادى بها أخناتون فى الأسرة الثانية عشرة، ثم بعد ذلك خرج بها سيدنا موسى حاملاً رسالة التوراة.

يتدخل اللواء حسام سويلم بقوله: يا دكتور كريم لم تشر فى هذا السرد التاريخى الرائع إلى رسالات التوحيد، التى سبقت بعث سيدنا موسى عليه

سلام في مصر، ذلك أن هذه الرسائل (الأولى والثانية والثالثة)، لا بد وأن يكون لها ارتباط برسول الله تعالى الذين جاؤا إلى مصر قبل بعث سيدنا موسى عليه السلام، وهم أنبياء الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ويوسف، وغيرهم عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وإذا كانت الآثار المصرية التي اكتشفت حتى الآن لم تشر إليهم، فإن هذا لا ينفى وجود آثار أخرى لم تكتشف بعد، ولم يحن موعدها، وتحمل ما يؤكد ثمره بعثهم من شعب مصر في إيمان هذا الشعب أنه الواحد الأحد، وأثر ذلك على حضارة المصريين القدماء..

نظر إلى الدكتور نديم السيار صاحب الباع والذراع في كشف سير الأولين وحكايات الغابرين من خلال سلسلة كتبه عن رسالة التوحيد وأقول: مالي أراك ساكتاً لا تتكلم؟

قال: لأن رفيقي لم يذكر نبياً عظيماً في مصر وعلم المصريين رسالة التوحيد قبل الزمان بزمان.

قلت: كلنا منصفون لكي نفهم ونعرف..

قال: لقد قلت إن مصر القديمة قد عرفت الأنبياء واستشهدت بآيات الله.. وأضيف إليها ما جاء في سورة النحل: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله...)

إذا وبنص القرآن الكريم ما من أمة من الأمم إلا وقد بعث الله إليها رسولا.. مما بالنا بتلك الأمة المصرية التي كانت أقدم الأمم على الإطلاق، والتي يرجع تاريخها وحضارتها إلى عصور ما قبل التاريخ.. ممتدة على مدى آلاف السنين.

لاشك إذا أن الله سبحانه قد أرسل إلى تلك الأمة المصرية رسلا وأنبياء..

وهنا يذكر الإمام محمد أبو زهرة: إنه يجب علينا أن نعتقد أن دعوات إلى التوحيد الخالص بعبادة إله واحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.. قد وردت على العقل المصري.. ويعيد أن ينفى تماماً عن المصريين في مدى خمسة آلاف سنة ازدهرت فيها حضارتهم ونمت أن تكون قد وردت عليهم عقيدة التوحيد بدعوة من رسول مبین.

وكان من بين أولئك الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله إلى المصريين القدماء..
النبي العظيم إدريس عليه السلام، والذي كان من ألقابه كما يذكر القفطى
والألوسى والشهرستاني والمسعودى وابن حزم وغيرهم . اللقب (هرمس)، وهو أول
داع إلى التوحيد .

ويذكر الألوسى: وكان إدريس قد وجد بمصر، فدعا الخلق إلى عبادة الله
تعالى فأجابوه حتى عمت ملته الأرض، وكانت ملته هى توحيد الله تعالى.
كما يذكر المقدسى: أن إدريس هو أول من دعا الناس إلى عبادة الله ..
وكذلك أيضا يذكر القفطى وابن العرى وابن أبى أصيبعة وغيرهم .
يتدخل اللواء حسام مسلم بقوله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

(النساء : ٦٤)

فإننا لا بد أنه كان يوجد بمصر على الدوام والاستمرار تبعية لرسول الله تعالى
ورودها منذ فجر التاريخ، وكانت لرسالاتهم جذور وآثار متبقية ومتمثلة فى هداية
قلوب التبعية المؤمنة إلى خالقها، وديانة أهلها بدين الإسلام، مصداقا لقوله
تعالى: إن لدين عند الله الإسلام، وقوله تعالى: «شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه»

ثم جاءت الشريعة المحمدية الخاتمة لرسالات الرسل الكاملة مكملة لدين الله
الواحد، وهو الإسلام، إذا تذكرنا وأدركنا هذه الحقيقة، فسوف يتبين لنا ثمرة
وانعكاس رسالات رسل الله الكرام الذين جاؤا إلى مصر قديماً فيما حملته لنا
حضارة المصريين القدماء من آثار تدل عليهم .

ولقد جاء فى كتاب النصرانية والإسلام للدكتور عزت الطهطاوى ص ١١٥ عن
مذكرات العلامة الأثرى ما يستون قوله:

بين هناك أنبياء قاموا بنشر الدعوة إلى الله بين المصريين القدماء، ودعوا إلى ترحيبه وعدم الإشراف به، وأخص هؤلاء نبي الله إدريس عليه السلام، الذي ستر من مصر إلى الهند ليستأنف دعوة التبشير والوحدانية إلى الله، وقد كان نبي علم كبير بلغات أهل الأرض جميعاً، فقد كان يحدث كل قوم بلغتهم ونهجاتهم. ويذكر المؤرخون أن نبي الله إدريس عليه السلام ولد بمدينة أدفو في وسط مصر، وأنه كان يسمى (حورس)، كما كان أول من عرف العلوم الكونية والحيولوجيا والرياضيات.

وتقول كتابات المصريين القدماء المسجلة في آثارها عن حورس إن من الكتابات التي وجدت على حزامه إنه قال:

حفظ فروض الشريعة من تمام الدين، وتمام الدين من كمال المروءة، وخاصة من خواص الإنسان التقى.. كما كتب حورس على فراش صلته:
السعيد من نظر نفسه في مرآة صلته وعبادته.

كذلك من أقواله: حياة النفس في الحكمة وموتها في الجهل.

قلت: وماذا قدم سيدنا إدريس عليه السلام للمصريين؟

د. نديم السيار: إنه هو الذي وضع للمصريين القدماء أركان الدين والعبادة، كما كانت له مواظب ووصايا. يقول هنا المؤرخ الأثرى أحمد نجيب: وأرسل الله للمصريين هرمس ويعرف عندنا باسم إدريس ونقل المقريري في كتابه التنبيه والأشراف أن سكان مصر القدماء يعتقدون نبوة هرمس..

وقال علماء اليونان: إن هرمس ألف كتباً كثيرة على النصائح والوصايا وأركان الدين والعبادة.. إلخ..

هذا ما رواه أفلاطون الحكيم وبلوتارك وغيرهم.

ومن بين تلك الوصايا الهرمسية الإدرسية ما كان يعرف بالوصايا العشر.

ويذكر المؤرخ كليمانت السكندري أنه كان في مصر القديمة كهنة متخصصون في تدريس هذه الوصايا العشر التي تتطوى على أصول العبادة والتقوى المصرية.

أما عن المحتويات الكاملة لهذه الوصايا العشر الإدرسية، فليس لدينا حتى الآن نص يحدد ذلك، ولكن يمكننا الرجوع إلى كتاب آخر ينسب أيضا للنبي إدريس هرمس، وهو المعروف باسم كتاب الموتى والذي تذكر عنه موسوعة الديانات والعقائد أنه يعتبر أول كتاب فى تاريخ البشرية فى ذكر العالم الآخر والحساب، وهو كتاب كان يقدهه المصريون على عهد الفراعنة، معتقدين أنه من الكتب المنزلة.

وفى هذا الكتاب فصل يسمى إنكار الخطايا وفيه يعلن الميت يوم الحساب براعته من الأثام والخطايا، ويدهى أن كل جزئية من هذه الإنكارات تعنى أنه فى تعاليم دينهم أوامر ووصايا تنهاهم عن فعل ذلك.. فإذا قال مثلا: لم أقتل، فمعنى ذلك أن فى كتبهم المقدسة تليغاً إلهياً بالنهى عن القتل: لا تقتل.. وبالمثل فى قوله: لم أسرق.. لم أكذب.. إلخ

ولسوف نكتشف إن هذه التعاليم والوصايا المصرية الإدرسية تتماثل تماما مع الوصايا التى أنزلها الله على سيدنا موسى عليه السلام.

وهنا يقول الباحث إبراهيم غالى: الدور الثانى الموسوى نسبة إلى موسى عليه السلام مطبوع بطابع مصرى، ومما يؤيد هذا الرأى تشابه اعترافات الميت فصل الإنكارات فى كتاب الموتى والوصايا العشر.

أسأل: ماذا تقول هذه الوصايا العشر المصرية؟

د. نديم المسيار: طبقا لما جاء فى هذه الوصايا المصرية العشر كما هى مسجلة فى كتاب الموتى ومقارنتها بوصايا سيدنا موسى العشر.. وإنه بناء على هذه الوصايا العشر، عقد الله ميثاقه مع بنى إسرائيل.. ذلك الميثاق (العهد) الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم: (ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل... المائدة ١٢).

ففى التوراة: (فقال الرب: ها أنا قاطع (عهدا) قدام جميع شعبيك.. إلخ.. احفظ ما أنا (موصيك) اليوم.. إلخ: لاتقتل.. لاتزن.. لاتسرق (إلى آخر هذه الوصايا العشر).

وقال الرب لموسى: اكتب لنفسك هذه الكلمات.. لأننى بحسب هذه الكلمات
نصّعت (عهدا) معك ومع إسرائيل، فكتب على اللوحين كلمات العهد (الكلمات
عشر). وهذه الكلمات العشر هى ذاتها (الوصايا العشر).

وكما رأينا، فإن هذه (الوصايا العشر) التى كتبها الله لموسى، كانت تتضمن
استور الأخلاقى الذى يجب أن يتبعه المؤمنون، وهى نفسها الأوامر التى نجدها
فى جميع الأديان السماوية الحالية.. وقد سبق أن رأينا أنها هى ذاتها الموجودة
فى نكبت الدينية لقدماء المصريين.. منسوبة إلى نبيهم هرمس إديرس.. أى أن
بنسب المصريين القدماء كانوا يلتزمون فى حياتهم الأخلاقية بكل ما فى هذه
وصايا العشر) التى حددها الله سبحانه،

نبدأ بالوصايا العشر كما جاءت فى توراة موسى:

لأ تكلّم الله بجميع هذه الكلمات قائلا:

❖ لا تقتل..

وهى فى كتاب الموتى: إنى لم أقتل..

❖ لا تزنى..

وهى فى كتاب الموتى: إنى لم أرتكب الزنا..

❖ لا تسرق

وهى فى كتاب الموتى: إنى لم أسرق..

❖ لا تشهد على قريبك شهادة زور.

وهى فى كتاب الموتى: إنى لم أشهد شهادة زور.

❖ لا تنشئه امرأة قريبك..

وهى فى كتاب الموتى: ولم أشته زوجة قريب أو صديق..

❖ لا تكذب..

وهى فى كتاب الموتى: إنى لم أكذب..

❖ لا تفتصب قريبك ولا تسلب..

وهى فى كتاب الموتى: إنى لم أغتصب ولم أسلب..

❖ ثم لا ترتكب جوراً فى الوزن ولا فى الكيل.

وفى كتاب الموتى: إنى لم أطفف الميزان.. ولم أغش الكيل.

.....

.....

حمامتان وديعتان جاءتا إلى شباك حجرى تحتميان من رخات مطر أغرق القاهرة ومن فيها برداً وبللاً، وطيناً وارتباكاً فى السير والمرور والزحام.

يسأل د. نديم السيار: لماذا اختارتا شباكك أنت بالذات؟

قلت: لأننى أضع للحمام كل صباح قمحاً وماء... تلك عادتى منذ دخلت إلى بلاط صاحبة الجلالة..

أسأل صاحب كتاب المصريين أول الموحدين: هل النبى هرمس هو نفسه النبى إدريس؟

قال: نعم.

قلت: ومن يقابله فى الديانة المصرية القديمة أوزوريس أو حورس أو تحوتى؟

قال: أعتقد تحوتى..

ويفاجئنا سيد العارفين د. سيد كريم بقوله: الذى أعرفه أن الحكيم أنى هو مؤلف كتاب الموتى قبل نحو أربعة آلاف عام.

قلت مقاطعاً: يا سيدى فى اعتقادى واعتقاد أهل العلم والمعرفة وعقلاء القوم فىنا وفى غيرنا.. أن الحكيم أنى أنزله المصريون القدماء منزلة الأنبياء والرسول.. فلم لا يكون مثل أحناتون نبيا أو رسولا أرسله الله إلى قومه فى مصر، ولم يحن ذكره فى القرآن الكريم آخر الكتب السماوية الذى ختم به الله الرسالات السماوية بالإسلام وجعل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين.

• سيد كريم: لن نجد لك فيما تزعم وتقول.. ولكننا نتكلم الآن عن رحلة
الأم بعد الموت، وقد حفظ التاريخ لنا، في هذا الموضوع المثير، عملين خالدين:
سنة نغفران للشاعر العربي الفيلسوف أبو العلاء المعري و الجحيم للشاعر
لابيض الخالد دانتي الليجيرو.

ويهر كل من العملين رحلة في العالم الآخر، نرى فيها أحوال الناس بعد أن
تنتهي. ولا يزال النقاد مختلفين حول العلاقة بين العملين: هل ظهر كل منهما
مستقلاً، أو تأثر أحدهما بالآخر؟

نرى النقاد لم يلاحظوا العمل الثالث الذي سبقتهما بعدة قرون، وصاحب هذا
العمل هو الحكيم أنى مؤلف كتاب الموتى منذ أربعة آلاف سنة.

وقد وصل إلينا النص الذي كتبه أنى في بردية واحدة، عرضها ١٠ سنتيمترا،
بخطها ثلاثون مترا، ويحفظها الآن المتحف البريطانى.

وفي هذه البردية، يزعم أنى أنه مات وسافر إلى العالم الآخر، ثم عاد ليروى
تجربته، ويصف أنى رحلة الروح يوما بيوم، منذ تفارق الجسد، إلى أن يتم
تحبيطه، وتجري له المراسم الجنائزية، ثم رحلة المومياء إلى الشاطئ الغربى
سيرا. حيث يتم دفنها، ثم انتقال الروح في موكب الشمس عبر الفضاء، حتى
تصل إلى المحكمة التحضيرية، التى يتصدر منصبها اثنا عشر قاضيا يمثلون
رياح سماء الأثني عشر.

وفي هذه المحكمة يتعرف الميت على البرج الذى ينتمى إليه، والذى كان
يسبغها على صفاته وسلوكه فى الحياة ويتزود بنصائح ممثل البرج وتعاليمه التى
تجبه على مصاعب الرحلة المقبلة.

سأل: ولكن، ما هذه الرحلة المقبلة؟

• سيد كريم: إنها تمر بسبع سموات متعاقبات، يصف كلا منها بالتفصيل،
يعبر ما تحتوى عليه من كائنات ومخلوقات، وما يتعلق بكل منها من أساطير
وحكيات، وما يجب أن يتلى فيها من تعاويذ وأدعية .

ثم يصل أنى إلى المحطة الأخيرة، وهى محكمة الآخرة.. هنا يتربع الإله أوزير على عرشه السماوى، يشع النور من جسده، ويضىء قاعة المحكمة باكملها.

ويصف أنى إجراءات المحاكمة، والميزان، والملكين اللذين يسجلان الحسنات والسيئات، والأسئلة التى يوجهها القضاة، والأجوبة التى أعدها مقدما، والدفاع الذى استعد به.

ويصدر الإله أوزير فى النهاية حكمه بتسجيل ولادة أنى فى عالم الخلود.

وينتقل أنى من المحكمة إلى ما سماه جنة الخلد.

ويبدأ يصف هذه الجنة، كيف أنها مكونة من سبع طبقات (أو سبع جنات) تبدأ بجنة الأبرار، ثم جنة شهداء حرب العقيدة، ثم جنة المرسلين، وجنة الملائكة، ثم تستمر صعوداً حتى تبلغ أعلى درجات الجنة، وهى جنة النور التى يقوم فيها عرش الإله.

ويواصل أنى وصف الجنة فيقول:

فيها نهر من خمر، ونهر من لبن ينزل من ثدى نوت، ونهر من عسل، وحقول من القمح، سنابله من ذهب، وفيها ملابس لانتسج ولاتبل، وفيها شباب دائم، وجسم لا يعرف المرض أو التعب أو الفناء، وليس فيها أرواح خبيثة، أو شريرة، أو حيوانات كاسرة، أو حشرات!

قلت: إنها نفس الجنة التى وعد بها الله الصالحين، ولكن هل وصل أنى إلى جهنم والعياذ بالله وعذاب النار؟

سيد العارفين يقول: أنى لا يفوته بالطبع أن يصف الجحيم أيضاً..

والجحيم الذى يزعم أنه شاهده يتألف من سبع طبقات كالجنة، وهذه الطبقات فى حقيقتها سبع بحيرات للعذاب، ومنها بحيرة مأوها من لهب، يلقي فيها المجرمون فيتعذبون، ولكن لا تحترق أجسادهم، ولا يموتون، وفيها بحيرة تزخر بالتماسيح الجائعة المفترسة، وبحيرة ثالثة تسكنها الحيات والثعابين

سامة.. ولا ينسى أنى وصف زبانية هذا الجحيم، وكيف أنهم جميعاً وحوش
وحيرات ضارية، وكيف يتفننون فى تعذيب أهل الجحيم.

وقد يقال، هنا أيضاً، إن فكرة الذهاب إلى العالم الآخر والعودة منه لا يشترط
تكون مسروقة من أنى الفرعونى، وقد تكون خطرت لأبى العلاء أو لدانتى
يـجـيرى دون أية صلة بالأصل الفرعونى القديم.

فت: ياسيدى القرآن الكريم لم يترك شاردة أو واردة إلا وذكرها، كما يقول
حز عز وجل: ما فرطنا فى الكتاب من شىء.

ينقد ذكر القرآن الكريم الإسرائء والمعراج التى شاهد فيها الرسول الكريم
حز الناس بعد البعث.. وعذاب الآخرة.. والثواب والعقاب.. ومنازل أهل الجنة
بـسـزل أهل النار.

.....

.....

ـ زالت الحمامتان منزويتين فى ركن نافذتى.. كل واحدة سكن ودفع،
بـمـبـتها.

سئت د. سيد كريم:

هر صحيح أن المصريين القدماء أسهموا فى بناء الكعبة أيام سيدنا إبراهيم
بـبـنا إسماعيل أو بعدهما؟

فـل سيد العارفين:

فـل ذهب المصريون القدماء إلى الجزيرة العربية لأول مرة عام ٢٢٨٠ قبل
بـلـ عقب الأسرة السادسة، عندما هرب أهل منف عقب ثورة الرعاع وعصر
بـلـمحلل إلى الجزيرة العربية.

بـلـف لنا المؤرخ المصرى القديم ايببور كيف هرب أهل منف إلى الصحراء
بـلـف وجنوب الوادى، وعبروا البحر الأحمر إلى الجزيرة العربية، حيث أطلق
بـلـه بنومناف ومنهم السيدة أمينة أم سيدنا رسول الله، كما أطلق عرب الجزيرة
بـلـ مهاجرى مصر اسم جرهم ومعناها مهاجرو مصر، وهى القبائل التى نسب
بـلـ مساعدة سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل عليهما السلام فى بناء

الكعبة. كما لجأت إليهم السيدة هاجر المصرية أم سيدنا إسماعيل، عندما تركها سيدنا إبراهيم عند الكعبة، لأنها لم تكن على علم بلغة أهل الجزيرة العربية، فبحثت عن قبائل جرهم المصريين الذي قاموا بإيوائها ووليدها، وفي إشاره إلى مشاركة قبائل جرهم المصرية في بناء الكعبة.

يقول زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قرش وجرهم

أما زيارة المصريين القدماء للكعبة بالجزيرة العربية بعد أخناتون، فقد ورد ذكرها في كتاب (ديانة التوحيد وعصر أخناتون) للدكتور سليم حسن، التي أشارت إلى زيارة المصريين القدماء للبيت العتيق بمكة المكرمة، خاصة في مواسم الحج في أعياد منف وأخناتون.

ومن الزيارات المشهورة التي أمكن تسجيلها زيارة سيدنا موسى عليه السلام بمرافقة النبي شعيب.

كما قام بالحج إلى الكعبة قائد حملة رمسيس الثاني الذي كان ينتمي إلى طوائف التوحيد، الذي حملته زوجة فرعون كسوة للكعبة صنعتها في مصر، وقام برفعها على حوائط الكعبة، وكانت زوجة فرعون هذه هي التي قامت بتربية سيدنا موسى صغيراً، وذكرها القرآن الكريم بأنها كانت من المؤمنين.

قلت: حتى سنوات قليلة مضت كانت كسوة الكعبة تصنع في مصر في دار الكسوة الشريفة.. وكان يوم خروجها لسفرها إلى مكة هو يوم عيد عند المصريين يطلقون عليه اسم يوم المحمل..

.....

.....

قبل أن نشترق ونترك المحبة والرحمة والسكن والتراحم ونعود إلى سابق عهدنا نتشاجر ونتناحر ونتأفّر ونكذب ويفتاب بعضنا بعضاً.. أترككم مع قمة الحكمة المصرية التي كان يحفظها ويعيش عليها أهل مصر في الزمن الذي لن يعود:
لا تتم في الليل وأنت خائف من الغد

لأننا لا ندري عندما ينبثق الفجر ماذا يكون عليه الحال في الغد؟

لإنسان لا يعلم ما سيكون عليه الغد

لأنه في كمانه

والإنسان في عجزه

لا تقولن: لست أحمل خطيئة..

ولا تجهدن نفسك في إثارة النزاع

أما الخطيئة فأمرها بأصبعه

وليس في يد الله إنسان كامل

ولا يقف العجز حائلا أمامه

فإذا أجهد الإنسان نفسه ليصل إلى الكمال

فإنه في لحظة يهدمه (بنفسه)

كن رزيئا في عقلك، وثبت قلبك

ولا تجعلن من لسانك سوطا للآخرين

ومن قلبك مخزنا للأحزان.

.....

.....

تعليق سلام لك أيها المصري أينما حللت

وأينما كنت.. وأينما ذهبت..

■ ■ ملحوظة من عندي: المصري الذي أعنيه انقرض منذ زمن طويل.. أو هو

من طريقه للانقراض!..

انتهت الملحوظة ومن عنده اعتراض فليقدم! ■



آدم وحواء هبطا على ضفاف النيل!

نم تحظ أرض ولم يحظ تراب في الدنيا كلها بهذه الحظوة الإلهية وهذا تنفرد الرباني وهذه القدسية وهذه الطهارة كما حظى تراب مصر وأرض مصر وسماء مصر.. فمصر هي البلدة الوحيدة التي اختارها الله من دون بلاد الأرض كلها.. كي يتجلى بجلاله وعظمته وبنوره فوق أحد جبالها فدكا عندما طلب سيدنا موسى أن يرى ربه.. فتجلى الله إلى الجبل الذي انهار وخر موسى صعقاً.

وفوق ترابها وتحت سمائها جرى أول حوار في هذه الدنيا بين الإله والمخلوق بين الله تعالى وعبده ورسوله موسى عليه السلام، وهو حوار لم يتكرر.. ولن يتكرر -- جرى الحوار في الوادي المقدس طوى في سيناء.. سيدنا موسى واقف في ليلة برودة معطرة وحده أمام نار لا يعرف أهي نار أم نور.. نور.. عندما ناداه ربه قائلاً: **فَمَا أَنَا نُوْدِي يَا مُوسَى إِنَّنِي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمَقْدِسِ طَوًى.**

ثم قال الحق تعالى: **﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾** (طه: ١٣ - ١٦)

→ كل الدلائل تقول إن آدم عليه السلام قد هبط إلى أرض وادي النيل.

دار بين الله ورسوله حوار طويل طلب فيه الله تعالى من موسى أن يلتقى عصاه فإذا هى حية تسعى ثم قال له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾
..عادت الحية عصا كما كانت..

وطلب منه الله فى آخر الحوار الربانى أن يذهب إلى فرعون لأنه طغى...
فرجا موسى ربه أن يرسل معه هارون أخاه.. وأن يجعله وزيرا له..استجاب الله
لطلبه وأصبح هارون أول وزير فى الدنيا يعين بأمر الله..

وفى أرض مصر نزل كتاب من كتب الله هو التوراة التى أنزلها الله على موسى
فى أرض مصر..ولم يكن سيدنا موسى عليه السلام هو أول نبي يخرج من أرض
مصر ويبلغ بالرسالة، وينزل عليه كتاب الله فيها.. ويكلم الله على جبلها.. ولكن
سبقة سيدنا إدريس عليه السلام وهو أول نبي ينزل إلى المصريين لكى يعبدوا
الله الواحد الأحد قبل كل الأنبياء جميعاً..

وتحت سماء مصر خرج نبي آخر لم يحن ذكره كواحد من الأنبياء الرسل فى
الكتب المقدسة... هو أختاتون العظيم الذى أخذ منه سيدنا موسى كثيرا من
أسفاره فى التوراة.

وإذا كانت مصر قد هبطت الرسالة على أرضها لاثنين من الأنبياء فإنه قد مر
بها وزارها وعاش فيها أنبياء ورسل آخرون.. إبراهيم أبو الأنبياء ومعه سارة
زوجته.. وسيدنا يعقوب عليه السلام وسيدنا يوسف عليه السلام الذى كان بها
وزيرا على خزائن الأرض وآخرهم المسيح عيسى ابن مريم الذى جعله الله وجيها
فى الدنيا والآخرة..إنه جاءها مع أمه العذراء مريم أظهر نساء الأرض أجمعين.

والمصريون هم أول الموحدين فى الأرض الذين عرفوا الله وعبدوا الله الواحد
الأحد.. منذ الأزل.. ومازالوا..

فلماذا إذا نتعجب أن يكون نزول سيدنا آدم وأمنا حواء أول مرة بتراب مصر.

أسطورة الأرض والنيل والإنسان

لماذا اختار الله أن ينزل بأرض مصر سيدنا آدم وأمنا حواء بعد طردهما من

الجنة؟

الجواب لعالم المصريات الدكتور سيد كريم..هو يقول:

الأرض والنيل والإنسان: إحدى برديات أساطير الخلق بمعبد أوزوريس معبود النيل بأبيدوس بالبلينا فى سوهاج تصف البردية قصة الحياة على الأرض شونها:..

أرسل الإله المعبود جب.. رب الأرض وأحد ملائكة العرش ليشق مجرى النيل العمود الفقرى لجسم الأرض ليمده الإله الخالق بماء الحياة الذى يسقطه من سماء الجنة ..

بعد امتلاء مجرى النيل بماء الحياة أرسل الإله الملاك أتوم آدم ليملا الأرض بالشجر..

أرسل الإله آدم بصحبة حواء إيزيس وابنهما قابيل حورس وربة البيت تنبتس..أرسل الإله بصحبتهم ست إبليس.. لمحاولة إغوائهم للكشف عن مدى تمسكهم بتعاليم السماء بعدما عفا الإله عن خطاياهم وأسكنهم جنة الأرض التى أمدها الإله بماء الحياة.

﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾
كما جاء فى سورة البقرة.(سورة البقرة: ٣٦)

وأرسل الإله فى المرة الثالثة عزيز أوزوريس إلى الأرض المقدسة التى اختارها الإله لتحمل اسمه بعدما مدها بالحياة من أنفاسه نهر الحياة ليطلق عليها اسمه.. جب بناء أرض الإله ويضع رسالة توحيد إله السماء أمانة فى يد ابن السماء الذى نزل من الجنة ليعمر أرض الإله وهو أتوم، وأطلق على أرض العقيدة اسم ماسار أى الحصن وهو مصدر اسم مصر كنانة الله فى أرضه الذى عرفته به فى جميع الكتب السماوية وما زالت تحتفظ به إلى الآن ومعناها حصن كتب السماء..

حمل آدم أول رسالة سماوية للتوحيد نزلت على أرض مصر حصن العقيدة ومهبط الأديان فأطلقت عليه كتب العقيدة لقب أول الأنبياء..

متى.. وأين هبط آدم على سطح الأرض؟

أسئلة شغلت الفلاسفة والعلماء فى مختلف المجالات العلمية والدينية والرياضية عبر مختلف العصور الماضية ولم تصل نتائج أبحاثهم إلى نتائج مقنعة.. وزاد الاهتمام بكشف الغموض فى العصر الحديث فى منتصف القرن الماضى استنادا إلى ما ورد وصفه فى أسطورة النيل والأرض والإنسان.

اتجهت أنظار إحدى البعثات إلى البحث عن مكان وموقع هبوط آدم وحواء بالقرب من منابع النيل الذى يتلقى ماء فيها من الأمطار التى تسقط من السماء الجنة.

وتؤكد نتائج أبحاث الشفرة الجينية - والكلام لايزال للدكتور سيد كريم - أن أقرب الاجناس نسبياً حالياً لآدم هم بعض قبائل النوبة وبعض مناطق صعيد مصر.. كما زحف بنو ادم فى عصور متأخرة حتى وصلوا إلى السودان.. بتتبع مجرى النيل حتى منابعه فى كل من الحبشة وأوغندا فنسبت البحوث القديمة إلى كل منهما موقع هبوط آدم وحواء..

ولما كانت أسطورة النيل والأرض الإنسان قد حددت موعد هبوط آدم إلى الأرض بشق مجرى النيل .. فقد اتجهت الأبحاث الجيولوجية إلى الكشف عن تاريخ شق مجرى النهر الناتج عن شق أو انفصال أرضى مرتبط بزلزال تشق سطح الكرة الأرضية.. فأعلن خبراء الدراسات الجيولوجية أن نهر النيل أقدم أنهار العالم وأطولها قد شق مجراه منذ نحو خمسين الف سنة.

من المفاجآت التى قمت بتقديمها فى مؤتمر العواصم العالمية وتاريخ الحضارات الإنسانيه الذى انعقد فى فيينا عام ١٩٣٥ عندما وضع المؤتمر نظرية حفريات التجمع الإنسانى واعتبارها نقطة البداية فى تحديد تاريخ نشأة المدن..

عند تطبيق تلك النظرية على مدينة القاهرة القديمة التى كانت تمتد فى عصر ما قبل الأسرات من هليوأون هليوبوليس عين شمس شمالا إلى هليوأون حلوان جنوبا.. كشفت الحفريات التى قامت بها بعثة فلاندربيرى فى عدة مناطق تمتد من شمال القاهرة إلى المعادى وحلوان وجد بالكشف عليها أنها ترجع

جسمها إلى العصر البليوسينى وهو عصر شق مجرى النيل أى مايقرب من
حين أنف سنة.. وهو مايرجح نظرية هبوط آدم وحواء على شواطئ النيل فى
إحدى حنود مدينة القاهرة وهى مسرح أقدم تجمع بشرى يرجع تاريخه إلى ٥٠
سنة..

فت: يعنى القاهرة القديمه جدا هى مهبط سيدنا آدم وأمنا حواء قبل
حين أنف سنة؟

قال: هذا صحيح وكان يطلق عليها اسم كاص رع..

السأل: ولكن أين توجد الجنة فى عقيدة أجدادنا المصريين الموحدين؟

الجواب للدكتور سيد كريم ..الجنة التى هبط منها آدم وحواء إلى الأرض
يترى سيعود إليها البشر بعد مغادرة أرواحهم الأرض ومرورهم بمحكمة الحساب
لميزان التى يرأسها الملاك أوزوريس الذى حمل لهم كتاب التوحيد إلى آدم عند
مخيمته على الأرض..

تصور إحدى برديات سحر الأوريون..الأوريون هو عالم النجم سببت سيروس
شعري اليمانية التى تصور نزول إيزيس حواء من الجنة إلى الأرض لتلحق بآدم
بمى تحمل فوق رأسها تاج النجم سببت مع ريشة الحق والعدالة التى أمر الإله
لشرب يحملها فوق رؤوسهم عند معاملتهم لبقية مخلوقات الأرض التى سيقومون
تصغيرها.. وحملت حواء فى يدها مفتاح الحياه رمز الروح وصولجان الوجود..

ماذا تقول البردية؟

تصف البردية النجم سببت بالنجم الأخضر فاللون الأخضر يرمز عند
نصريين القدماء إلى الحياه والروح وأطلقوا على الجنة اسم حديقة السماء
تخضراء..

تحكى برديات سيروس أن الإله كلف النجم سببت الإشراف على نزول آدم
وحواء إلى الأرض فظهر الإله بصحبة النجم سببت نجم الجنة وحارسها فجر
يوم نزولهم إلى الأرض وهو اليوم الذى يظهر فيه نجم الشعري مرة واحدة كل
سنة..

وأطلقوا بداية التقويم يوم ظهور نجم الشعرى مع نور شمس الإله بيوم الخلق.. الذى احتفلوا به لأول مرة عام ٥٠٠ ق.م عند نزول كتاب التوحيد بمعبد مدينه أون..

ويوم الخلق هو اليوم الذى خلق فيه الله الحياة على الأرض وأنزل فيه آدم وحواء من الجنة لماء الأرض بالبشر وترك للإنسان خلال هذه الفترة الزمنية المحدودة أن يؤمن بالله أو يكفر به حتى يعود إليه فيحاسبه على ما فعل..

وأطلقوا على التقويم اسم التقويم الكهنوتى الذى بدأت به حضارة مصر الخالدة...

ولما كانت الحياة التى مد بها الإله تتمثل فى الحركة المستمرة والدائمة فقد نظم الإله دوران حركتها بالتقويم.. فخلق الإله الأيام بدورتها المتغيرة السنة أربعة فصول غير متشابهة.. لكل فصل مناخه وطبيعته التى تخضع لدورة وسيطرة الانقلابين الربيعى والخريفى ربيع الحياة وخريفها ويعبر كل منهما عن دورة حياة البشر.

وقسم التقويم الشمسى الذى قدمه نجم سبت نجم الجنة السنة إلى فصول وشهور وأيام ودقائق وثوان ليربط الإنسان أعماله بحياته الموقوتة فى الأرض حتى يسمح له الإله بالعودة إلى الجنة التى طرد منها.. بعد الحكم على أعماله فى الحياة الدنيا.. حياة التجربة كما ورد ذلك مفصلا فى كتاب التوحيد عند انتقال الأرواح بالبعث إلى العالم الآخر والانتقال إلى محكمة الآخرة قاعه الميزان التى يرأسها أوزوريس الرسول عزيز الذى حمل إليهم رسالة التوحيد..

ولكن الإنسان المصرى كما جاء فى كتاب التوحيد قد عرف سر خلق الكون كله وسر خلق الإنسان ونزوله إلى الأرض قبل الرسالات السماوية الثلاث بزمان طويل طويل طويل..

يفسر لنا ذلك عالم المصريات الدكتور سيد كريم بقوله..

إن سر الوجود فى خلق الأرض التى نعيش على سطحها كيف خلقها الإله من عناصر الكون الثمانية ومدھا بالطاقة والحركة الكونية التى حددت حركة دورتها

سنة حول نفسها وحول قرص الشمس عرش الإله لتشارك المجموعة في
حده.. اختارها الإله الخالق من بين كواكب المجموعة الشمسية الحارسة
سفر روح الحياة من أنفاسه..

سنة.. لأنه تكويرها ودحاها على شكل البيضة البويضة لتخرج من رحمها
حياة الكائنات التي تحيا وتعيش على سطحها من نبات وحيوان وطير وإنسان..
حمر قشره بيضة الأرض عنصرا الجماد، وهو التراب الذي يتحول إلى
سكن تكوين الأجساد عند خلطها بالماء الذي يخرج من باطن العيون أو ماء
سنة..

وكم يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

• والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴿

(سورة ق: ٧)

• وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴿

(سورة البقرة: ٢٦)

• ونقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴿..سورة الحجر.

• هو الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى العرش﴿

(سورة الحديد: ٤)

و لأنه خلق الإنسان من الأصل الذي تناسل من أتوم آدم وكون الجسم
بإنسان.. أما ثانيها فهو الروح السر الإلهي الذي استأثر به الإله الخالق وحده
..ينفخه في الجنين وهو في بطن أمه لكى..تمتزج هذه الأصول ليوجد الإنسان
يكشف عن سر وجوده...

في خلق الإنسان من الصلصال يأمر الإله الأعظم رب الأرباب الملك خونوم
ملاك التكوين أن يخلق الإنسان من طين الأرض التي أخرجه الإله منها وأمره أن
يكون من الصلصال على أن يجمعه من زوايا الأرض وأركانها الأربعة.. من طينها

الأسود والأحمر والأصفر والأبيض ويعجنه بمياه البحار والأنهار والعيون
والبرك..

وهكذا اختلفت ألوان البشر باختلاف ألوان الطينة التي شكلت منها أجسادهم
واختلفت طباعهم وأخلاقهم باختلاف طبيعة المياه التي تكون منها الصلصال
فاختلفت ألوانهم الظاهرة منها والباطنة فمنهم الجميل والقيح والطيب والخبث
وعندما اكتمل تكوين هيكل جسد الإنسان ينفخ فيه الإله الروح من أنفاسه..

وكما يقول الحق عز وجل في قرآنه الكريم.. ﴿الذى أحسن كل شئ خلقه
ويدأ خلق الإنسان من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾..

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من
روحي فقعدوا له ساجدين﴾ (سورة ص).

يخاطب آدم أتوم إله السماء عند نزوله إلى الأرض: يا إله الكون من صلصال
الأرض خلقت البشر جميعا ونوعت هيئاتهم ووهبت الحياة لهم جميعا وفرقت بين
ألوانهم..

أجريت الرياح الأربعة حتى يأخذ كل إنسان أنفاسه مثل أخيه.. أجريت
الفيضان بميعاد حتى يأخذ الصغير نصيبه مثل أخيه..

خلقت الناس سواء وأمرتهم بطاعتك ونهيتهم عن ارتكاب المعاصى والشرور.

إن قصة حياة البشر فى الأرض تبدأ بأدم الذى هبط إلى الأرض امثالاً لأمر
ربه بصحبة حواء وقابيل وإقليما إيزيس وحورس ونفتيس وهبط معه إبليس..

ويقول الله تعالى هنا.. ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض
مستقر وممتع إلى حين﴾ (سورة البقرة)

وتتفق قصة هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض مع إحدى أساطير معبد
أبيدوس معبد النيل التي وصفت هبوط البشر إلى أرض مصر أرض الإله بقولها:

أرسل الإله ملائكته ثلاث مرات لمد أرض الإله بالحياة ..

رسل في المرة الأولى عزيز أزوريس بن نوت ربة السماء وجب رب الأرض
مسة حبة تحوت رب علوم المعرفة المقدسة ليشق مجرى النيل ليمده الإله بماء
لحبة الذي ينبع من الجنة حاملا خيراتها إلى البشر..

وأرسل معه في المرة الثانية أتوم آدم ليملا الأرض بالبشر واصطحب معه كل
سـ بريب وحورس ونفتيس أول البشر وهبط معهم ست إله الشر..

وأرسل أوزوريس في المرة الثالثة في صورة رسول ليحمل رسالة توحيد الإله
نحتق الواحد إلى أبناء أرضه المقدسة التي أمدها النيل بماء الحياة الذي يربط
الأرض بالسماء..

جنة عدن.. أين؟

وقد اثارته رحله عالم الآثار الإنجليزي دافيد رول ومعه الصحفي بيتر مارتن
سـ مجلة الصنداى تايمز إلى جنة عدن التي يقولان إنها الجنة التي عاش فيها
سبنا آدم وأمنا حواء، وهي موجودة بشمال غرب إيران في منطقة ما بين بحر
فدين وأذربيجان وتركيا والعراق وسوريا..

هل صحيح أن ما اكتشفه دافيد رول هو بالفعل الجنة الموعودة التي عاش فيها
سبنا آدم وأمنا حواء قبل نزولهما إلى الأرض؟

كان هذا هو السؤال..

وقد كتب إلى من لندن الباحث والمؤلف أحمد عثمان يقول: ديفيد رول يحاول
تثبت أن بنى إسرائيل من أصل آرى وليس سامى.. وأن إسرائيل هي أصل
لحضارة البشرية..!

في كتابه «أسطورة تكوين الحضارة» يحاول ديفيد رول إثبات أن أحداث قصة
تخلق كما وردت في سفر التكوين أول كتب التوراة إنما هي أحداث تاريخية
حقيقية.. كما أنه يحدد جنة عدن التي خرج منها الإنسان الأول مكانا آخر غير
جزيرة العربية التي ساد الاعتقاد بها سابقا.. بناء على نص توراتي يقول بأن
جنة عدن يخرج منها أربعة أنهار.. ذهب رول إلى تحديد موقع هذه الجنة في واد

كبير يقع شمال غربى إيران فى أواسط آسيا ..بين ارمينيا واذربيجان
وكردستان.

ويقوم بحث رول على أساس اعتباره أن كتب التوراة مصدر أساسى للتاريخ
يفوق المصادر الأخرى بما فى ذلك البقايا الأثرية التى تم العثور عليها فى المائة
عام الماضية ..وبناء على هذا فهو يجعل زمن الخلق منذ ستة آلاف عام ..حيث
يقوم التقويم التوراتى على أساس من جمع أعمار الشخصيات التى ورد ذكرها
بكتب العهد القديم والذى على أساسه تم تحديد خلق آدم فى الساعة التاسعة
من يوم ٢٦ أكتوبر عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد.

وفى اعتقادى: إن التوراة كتاب دينى وليست مصدراً للتاريخ وأن وما ورد بها
قصص لها اصل تاريخى ..وأن قصة الخلق لاتعتبر واقعة تاريخية يمكن للباحثين
تحديد مكان وزمان لها..ذلك أنه تم العثور على عظام بشرية ترجع إلى حوالى
مائتى ألف عام فى الماضى ..مما يدل على أن عملية الخلق تسبق التواريخ
التوراتية بكثير..كما جاءت أقدم هذه العظام من شرقى إفريقيا وقارة أستراليا
وليس من آسيا..

وعلى هذا فكل ما أورده رول بخصوص موقع جنة عدن فى أواسط آسيا
لايستند إلى أدلة تاريخية وإنما على تشابه المواقع الجغرافية وأسمائها مع ماورد
فى قصص التوراة..

السبب الحقيقى وراء هذا التفسير هو أن ديفيد رول يريد إثبات الأصل الآرى
لأجداد بنى إسرائيل بدلا من الأصل السامى العربى، الذى جرى الاعتقاد به حتى
الآن وهو يرغب فى جعلهم من سلالة إسرائيل.

والنقطة الثانية التى يحاول الكاتب البريطانى إثباتها هى أن سلالة سيدنا نوح
هى التى أنتجت الحضارة السومرية أولا فى جنوب العراق ..ثم هاجر بعضها من
هناك عن طريق الخليج والبحر الأحمر ووصل إلى مصر قبل عصر الأسرات
وسيطروا على شعب مصر، وأصبحوا هم الفراعنة الذين حكموه منذ عصر
الملك مينا نفسه..

وتم يستند رول في محاولته هذه للوصول إلى نتيجة تتعارض تماماً مع جميع الأدلة التي تم العثور عليها حتى الآن .. سواء في مصر أو في أرض الهلال الخصيب .. إلا على دليل واحد .. إذ يقول رول لقد وجدت بعض الرسومات منقوشة على جدران وادي الكاش في مصر .. تحتوي على الدليل الأثرى الوحيد على أملكه.. وادي الكاش هو أحد الوديان القريبة من وادي حمامات الذي يربط بين وادي النيل في الصعيد وبين البحر الأحمر.. لقد عثرت على عدة رسومات تظهر بها مجموعة من القوارب . بداخلها بعض الأشخاص والحيوانات .. ويتم حرق بعضها فوق الأرض .. ويظهر بعض الأشخاص داخل المراكب ترتدى غطاء للرأس يشبه ما كان يرتديه السومريون .. كما يمسكون ببعض أسلحة القتال.. مع أن هذه الرسومات التي تتضمن أية كتابات أو علامات يمكن عن طريقها تحديد هوية الأشخاص المرسومين أو العصر الذي عاشوا فيه ..

إلا أن رول حدد لها تاريخاً هو عام ٣١٠٠ قبل الميلاد.. بينما لم يعثر أى من رجال الآثار على مثل هذه الرسومات من قبل.

ومن الواضح لأي شخص ينظر إلى الصور التي نشرها ديفيد رول أن هذه رسومات حديثة العهد ولا يمكن أن يكون عمرها خمسة آلاف عام.

وبينما يتبين لنا أن رول أقام نظريته كلها على دليل وهمي من تشابه غطاء الرأس وجرد المراكب فوق الأرض .. فإن لدينا العديد من البقايا الأثرية التي يرجع تاريخها إلى مئات السنين قبل عصر مينا .. والتي تبين بوضوح أن كل عناصر الحضارة المصرية بما في ذلك ألبسة الرأس والأسلحة كانت موجودة كلها في وادي النيل وفي سيناء حتى قبل التاريخ الذي حدده رول لرسوماته.

ويرد الدكتور فتحى إدريس الأستاذ بجامعة القاهرة على مزاعم دافيد رول بقوله..

إن آدم وحواء لم ينزلا هنا.. في البداية يتضح من اسم كاتب المقال في مجلة الصنداى تايمز وهو ديفيد رول .. إنه صهيونى .. والمعروف أن الذين يعملون من الصهاينة في مجال التاريخ والأديان يركزون على تحطيم المعتقدات الدينية

وتزوير التاريخ لصالحهم ويحاولون جعل التوراة مصدراً مهماً للتاريخ والعقائد مع علمهم أنها من تدوين كهنتهم ومؤرخيهم..

وأحب أن أتناول هذا الموضوع بالنقد العلمي وأن أوضح الأخطاء التي وقع فيها ديفيد رول وهي..

١ . إن المسمارية ليست لغة بل هي خط اخترعه السومريون في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد وكتبوا به لغتهم ثم استخدمه الآريون العرب في العراق .. ثم كتبت به اللهجتان البابلية والآشورية واستعمله الكنعانيون والفينيقيون العرب في بلاد الشام ثم انتقل إلى الحيثيين في آسيا الصغرى.. كما استخدمه الفرس في كتابة اللغة الفارسية القديمة.. وظلت الكتابة المسمارية مستعملة حتى حوالي سنة ٥٠ ميلادية رغم ظهور حروف الكتابة الآرامية.

٢ . إن الإله أنكى عند السومريين والبابليين إله الأرض والمياه وقد عدته النصوص المسمارية إله الحكمة أيضاً.. وكانت الإلهة الأخرى تستشير به في المواقف الصعبة وهو يحب البشر ويطرد الجن والأرواح الشريرة من جسم الانسان ولما قدر الإله إغراق البشر طلب أنكى من اتونبشتم بطل الطوفان أن يهدم بيته ويبنى سفينة ويضع فيها من كل زوجين اثنين.. أما تحليله لاسم الكاهن اينمركار وأن الجزء الآخر من اسمه وهو كار تعنى الصيد فهو خطأ لأن كار في اللغة السومرية تعنى قسم الميناء والتجارة ومستودع البضائع للمدينة والتي كانت كلها تقع على شاطئ دجلة أو الفرات.

٣ . نهر جيحون موجود وهو يمر في عدة دول إسلامية في وسط آسيا ويصب في بحر الأورال ويسمى حالياً امو دريا وهو يبتعد كثيراً عن المنطقة التي يقصدها ديفيد رول أما النهر الذي ورد باسم هيدكيل فصحته ادجنا في اللغة السومرية، واديجلات في الأكديّة ومعناها الجارى، وهو نهر دجلة كما أن نهر ارس فهو الذى يمثل خط الحدود حالياً بين إيران وجمهورية أذربيجان وأرمينيا ويصب في بحر قزوين.

٤ . ما يدعيه ديفيد رول من الوقوف عند جبل الإله أو الزقورات وليس سيجورات فالزقورات لم تكن جبالات بل أهرامات مدرجة من الطين الذي يوضع بين طبقاته نوع من الحصى المنسوج من البوص البوارى عند العراقيين لكي يحافظ على تماسكه ويمنع انهياره، وكانت الزقورة تدعم من جوانبها بحوائط من الطوب الأحمر أو اللبن وعلى قمة الزقورة يبنى معبد المدينة الرئيسى الذى يصعد إليه بدرج ولم يكن غرف مظلمة كما يدعى ديفيد رول!

أما قصة أول مبعوث ملكى فتذكر الألواح الطينية التى تضم هذه القصة المعروفة بلحممة اينمركار الذى يرجع تاريخه إلى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد وينسب إليه بناء مدينة أوروك وحاكم ارتا وجود علاقة بين اينمركار ملك أوروك جنوب غرب الفرات وحاكم ارتا فى إيران يرجح أنها قرب دزفول فى الأهواز حالياً.

وتقول القصة إن اينمركار أراد أن يخضع له حاكم ارتا فاختر رسولا وبعث معه رسالة مدونة على لوح من الطين ولكن حاكم ارتا رفض الخضوع لابنمركار فكان على السفير أن يقوم بعدة جولات مكوكية ورغم التلف فى نصوص القصة إلا أنه يفهم منها أن أهل ارتا فى النهاية حملوا الذهب والفضة واللازورد إلى أوروك ووضعوها فى ساحة معبد انانا عشتار، وعلى هذا فاينمركار كان ملك أوروك وارتا اسم دولة مدينة كانت فى الأهواز وليس اسم جنة عدن كما يزعم ديفيد رول ورفاقه!!

٥ . كلمة أين التى يدعى ديفيد أنها تعنى الرب لم أعر فيها كتب عن تاريخ العراق القديم ما يؤيد هذا المعنى، وكان الأين ملك أو حاكم يجمع السلطتين الدينية والدنيوية فلما انفصلتا ظل يجلس على عرش لا يختلف عن العرش الذى كان يجلس عليه الحاكم خلال الألف الرابع والنصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد عندما كان رئيس دولة المدينة يسمى أين واعتقد شخصياً أن كلمة أين هذه يجب أن تنطق عين وجمعها أعيان لأنه كان عين المدينة أى أهم رجالها.

٦ . الإلهة انانا عشتار كانت ترمز للخصب والجنس وقد وصلتنا قصائد سومرية عديدة تحكى قصة الحب بين الإله الراعى تموز دموزى وعشتار وكيف

انه ضحى بالغالى والنفيس من أجلها إلى أن تزوجها وعاشا معا فى بيتهما الجديد الذى سماه الشاعر السومرى بيت الحياة. وهذا يرمز إلى أن الزواج فيه بقاء للجنس البشرى ..ولهذا كان يحتفل فى عيد رأس السنة بتمثيل هذا الزواج المقدس ..وفى النصوص تفاصيل هذا الاحتفال ولا يتسع المجال هنا لذكرها..

٧ . لقد اختلط على ديفيد رول الخيال بالواقع الجغرافى المغلوط ..لأن هذه المنطقة التى يتحدث عنها وذكر فيها مدنا كتبريز واردبيل وكندوان وبحيرتى وأن وأورميه تكون منطقة أذربيجان الإيرانية كلها ..ومنطقة قره داغ السواد الساخن لأنها منطقة جبلية تتخللها أودية زراعية خصب وينابيع مياه ساخنة وتقع جنوب غرب بحر قزوين..

هذه المنطقة التى يزعم ديفيد رول انها مهبط آدم أو جنة عدن منطقة جبلية وعرة شديدة البرودة وقد تصل درجة البرودة فى بعض السنوات ..درجة تحت الصفر وقد أشار ديفيد إلى هذا حيث قال إن سكان قرية كندوان خلايا النحل يضعون أغنامهم أثناء أشهر الثلج فى كهوف أو فى زرائب تحت منازلهم.

وإذا رجعنا للصور الجليدية التى انتهى آخرها منذ نحو عشرة آلاف عام قبل الميلاد لوجدنا هذه المنطقة فى عصر آدم كانت منطقة جليدية لاتصلح للحياة مطلقاً فما بالك بتسميتها بجنة عدن؟

وإذا كان ديفيد رول قد زعم هذا بعد رحلة فى غرب إيران وهو لايفهم لغة أهل البلاد كما قال واعتقد أنه لم يدرس تاريخها القديم دراسة تمكنه من الاستناد إليها أو الاعتماد عليها ..لقد أظهرت الدراسات العديدة التى أجريت فى أماكن متفرقة من العالم أن بداية نزول سيدنا آدم وبداية التماسل والبشرية كانت فى إفريقيا ومن إفريقيا بدأت هجرة البشر إلى آسيا ثم إلى استراليا وبعد ذلك إلى أوروبا ثم الأمريكتين..

إن الدراسات التى أجريت فى جامعات متعددة فى أمريكا وفرنسا والتى بدأت منذ نحو خمسين عاماً .. قالت: إن العينات التى أخذت من ميثات وأحياناً من آلاف من كل جنس من الأجناس كانت نتيجتها النهائية هى أن الإنسان الأول وهو

أبونا آدم وجد أول ما وجد فى قارة إفريقيا منذ مايتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ ألف عام أما بداية الانفصال الجينى ووضوح صفات وراثية حدث منذ نحو مائة ألف عام فى غرب آسيا بعد هجرة الأفارقة إليها.

ونأتى للسؤال المهم وهو: ماذا خرجت علينا الصنداي تايمز والتليفزيون الإنجليزى وكلها من وسائل الإعلام التى يمتلكها يهود بهذا البحث المشبوه؟
والإجابة إن الحقد والكراهية الإسرائيلية للإسلام وللحضارة العربية التى تعد من أقدم الحضارات تدفعهم لهذا لسببين:

الأول: هو الحقد والكراهية للإسلام فيتمثل فى أن الاعتقاد السائد بين المسلمين هو أن آدم وحواء بعد أن هبطا من الجنة التقيا وتعارفا على الأرض فوق جبل عرفة الذى أخذ اسمه من هذا الحدث. ومن هنا يعد الوقوف بعرفة ركنا من أركان الحج (الحج عرفة) ولتشويه هذا الاعتقاد أو زعزعته ادعى ديفيد رول أن اللقاء تم فى منطقة أذربيجان وليس بالقرب من مكة المكرمة..

الثانى: هو الحقد على الحضارة العربية القديمة التى تشمل الحضارات الأكدية والبابلية والآشورية وغيرها..والتى ازدهرت على مدى نحو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد فى العراق وبلاد الشام فيتمثل فى نقل بعض أحداثها وأماكنها إلى أذربيجان أيضاً ويجعلها مقراً للإله أنكى بدلا من أوروك ثم يفسر بعض الكلمات السومرية والأكدية تفسيراً لايتفق مع معانيها الأصلية لكى تتفق مع ماجاء فى التوراة ليسبغ عليها مسحة من الصدق ولونا من الحقيقة تخدم أغراضهم الخبيثة..

●● أما الكاتب الإسلامى المدقق سيف الله أحمد فضل فكتب إلى يقول:

بخصوص البحث عن مكان وجود آدم عليه السلام أقول..الجودى هو اسم الجبل الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام بنص القرآن الكريم..الكتاب الوحيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..قد كان طوفاً ضخماً وحملناه على ذات ألواح ودسر: سورة القمر. ليتسع لحوالى المائة من البشر علاوة على زوجين من كل كائن حى نبات وحيوان حيث إن البشرية لم تكن قد تمكنت

من صناعة أدوات تستطيع بها قطع أى شىء بخلاف الأخشاب وصناعة الحيا
 البدائية من فروع الشجر.. وسفينة ونوح ترقد فوق هذا الجبل منذ آلاف السنين
 فى انتظار اكتشافها لتصير دليلا على عظمة الله وصحة كتابه الذى أنزله على
 عبده محمد صلى الله عليه وسلم.. ﴿فنجيناها وأصحاب السفينة وجعلناها آية
 للعالمين﴾.. (سورة العنكبوت) ..والمعتقد أن هذا الجبل يقع ضمن سلسلة الجبال
 فى المنطقة الواقعة بين أرمينيا وأوزبكستان..بينما يبدو من العهد القديم أن عمر
 البشرية على الأرض لايزيد بحال عن سبعة آلاف سنة حتى الآن فإن معطيات
 العلم تثبت أن هذا العمر أكثر من ذلك بكثير..بل إن الانسان العاقل حسب قول
 العلماء عاش منذ اثنى عشر ألف سنة ..وهو الإنسان الذى مارس الزراعة
 والرعى حسب نظريتهم ..ويبدو أن هذا الزمن بواقف نبوة إبراهيم وإسماعيل
 عليهما السلام ..فتحن إذا راجعنا أقوال الأنبياء فيما سبق إبراهيم عليه السلام
 لانجد ذكرا لفريضة الزكاة وقد كان أول من أوصى بها هو إسماعيل عليه السلام
 ﴿كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (سورة مريم الآية ٥٥) ..ما يبين
 نشأة الملكية الخاصة فى زمانه ..أما قبله فقد كان البشر يقتاتون من الثمار
 البرية والصيد..

وقد ناقضت الحفريات كثيرا مما ذكره العهد القديم - دائرة معارف جره لير -
 كما ورد بها أيضا أن هذه الحفريات كانت - سببا فى اكتشاف مشاكل فى العهد
 القديم أكثر مما حلت من مشاكل..

وعودا لآدم عليه السلام..إنه عند هبوطه من الجنة وهى ذاتها التى وعد بها
 المتقون أنه وزوجه من المقصودين بقوله تعالى فى سورة هود ..﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا
 فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ (سورة هود:
 ١٠٨) ..هبط على روابى القدس ذلك انه ورد انه عليه السلام ظل يبكى مائة عام
 بلا انقطاع حزنا على إغضابه الله تعالى ..فتاب الله عليه ..ولو كان قد بكى
 لطرده من الجنة ماكان الله قد تاب عليه ..حيث أحسب أن ذلك كان فى المكان
 الذى يدعى الآن حائط المبكى.. وشرع الله هذا النفسك على لسان موسى عليه
 السلام اقتداء به .

ربما كانت الصخرة التي بنى عليها مسجد الصخرة هي تلك التي طرد بها
يسر من الجنة.. الله أعلم..وقد شاعت إرادة الله أن ينعم كل إنسان بجنة
نسيه يأتي له فيها رزقه دون أن يحرك أنملا .. ألا وهي رحم أمه..

أما أرض الميعاد والتي يتحدث عنها اليهود من النيل إلى الفرات فهي من
صمن جزاء الله لإبراهيم عليه السلام.. إنه قدم ابنه البكر الوحيد إسماعيل
عنه السلام للذبح راضياً مختاراً ..حيث وعده الله رب العالمين بنبي تتبارك به
كر قبائل الأرض ..رسوله للعالمين محمداً صلى الله عليه وسلم..قد تمت هذه
لسيرة فعلا أثناء الخلافة الراشدة ..ولكن اليهود يحسبونه لم يأت بعد

.....

.....

هل حللنا اللغز..؟

هل عرفنا أين نزل آدم وأين نزلت حواء..أى أرض ويأى مكان..تحت أى سماء؟

الحقيقة ما زالت في أعناق الباحثين والمجتهدين والمفسرين والعلماء. ■



أرض الرسالات..

هذه البقعة الطاهرة الساحرة المشرقة من الأرض التي اسمها مصر.
كم مشى على ترابها من أنبياء؟ وكم نبت في أصلها من رسل؟ وكم كتاب من
كس منه نزل بها بالهداية بالغفران.. بالرحمة.. بالبركات؟

وكم من المصريين عبر قرون بلا عدد سجدوا لله الواحد الأحد؟
وكم بيتاً من بيوت الله معبداً كان.. أو ديراً أو كنيسة أو مسجداً شهد للركع
السجود وسمع تراتيل وأناشيد وصلوات المصلين الضارعين الخاشعين المتعبدین
لله وحده؟

وكم نهراً من الدموع والآهات والدعوات سال وطال وحضر في تراب مصر
— ول تترقق في حب الله وعشق الله وطاعة الله والخوف من عذاب الله؟
وكم نبياً وكم رسولاً خرج من أهلها وتحدثت عنه التوراة والأنجيل والقرآن؟
وكم نبياً وكم رسولاً خرج من أهلها في زمان لا نعلمه ولم تحدثنا عنه التوراة
الأصحاح والقرآن؟

→ هروب العذراء مريم وابنها إلى مصر.

وكم رجلا صالحاً وكم ولياً من أولياء الله سار في دروبها وكم عابدا متعبدا
وحده في صومعته في ركن قصي في غياهب الصحارى والقفار عبد الواحد
الأحد خالصا مخلصا وجهه لله تعالى؟

ولا مكان ولا سؤال بعد كل هذا لمن يسأل لماذا كان الإنسان المصرى أول من
عبد الله الواحد الأحد من بنى البشر؟
ولا بأس أن نجيب بعد كل هذا.

لقد اختار الله هذه البقعة الساحرة الطاهرة الغنية من الأرض التى اسمها
مصر من دون بلاد الدنيا كلها لكى يتجلى بعظمته بجلالته فوق جبالها ولكى
تهبط فيها الرسالات وينزل الأنبياء ويظهر الرسل ويستقر الروح الأمين.

لقد اختارها الله لكى تستقبل كتابين من كتبه وكلماته التى قال الحق عنها..
﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا
بِئْتِلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩).

سيدنا إدريس عليه السلام أول نبي يهبط بأرض مصر قبل نحو ٩٥٠٠ سنة
ومعه صحفه والذى علم المصريين القراءة والكتابة والحساب والتوحيد.

وسيدنا موسى عليه السلام الذى تلقى توراته من الله فوق ألواح قدت من
صخور جبال سيناء والتى تعرف الآن باسم العهد القديم فى الكتاب المقدس.

ولقد اختار الله مصر لكل هذا النور وهذه الحظوة الإلهية وهذا الشرف
الربانى: لأن المصريين هم حفظة الدين فى كل عصر وفى كل أوان وهم حماة
الأنبياء وهم الحافظون لكتبه وآياته منذ نزول الرسالات وحتى يومنا هذا وحتى
يرث الله الأرض ومن عليها.

ولأن المصريين لم يكونوا أبداً قتلة الأنبياء كما فعلت اليهود .مع سيدنا يحيى
وذكرى الملقب عند النصارى بيوحنا المعمدان وقد كان رأسه الكريم ثمنا لعلاقة
أثمة بين سالومى وزوج أمها.

وكما فعلت اليهود مع المسيح عيسى ابن مريم عندما صلبوه بالوشاية والغدر
: نسياسة ولكن الله رفعه إليه.

ولأن المصريين هم الذين اقتدوا الدين بأرواحهم ودافعوا عنه حتى الموت كما
فعل المصريون المسيحيون الأوائل وسقطوا شهداء راضين قانعين بقضاء الله
: سم الله على ألسنتهم وفي قلوبهم حتى علت كلمة الله وفرد طائر الإيمان
حديه فوق ربوع مصر.

وعندما دخل الإسلام مصر لم يحارب المسيحيين ولم يصادر عقيدتهم ولم
يحجر على صلواتهم ولم يخرس أجراس كنائسهم ولم يهدم صوامعهم في الجبال
و نوديان عملا بقول الله تعالى في كتابه العزيز في سورة المائدة ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ
سُوسِ عِدَاوَةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
لَيْسَ قَوْلًا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَانَ مِنْهُمْ فَسَيَسِينُ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)﴾ وإذا
سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ
رَبَّنَا فَانْكَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ
يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿(المائدة: ٨٣، ٨٤).﴾

وكما قال رسول الله فيما معناه إذا فتحت مصر فاتخذوا منها جندا فإنهم
حير أجناد الله وإن لنا فيهم نسباً وصهراً.

وما زال المصريون في كنائسهم وأديرتهم ومساجدهم يعبدون الله الواحد الأحد
: وما زالت أجراس الكنائس تدق كل أحد والمآذن يرفع فيها اسم الله خمس مرات
كث يوم في نسيج إيماني اجتماعي يحسدنا عليه العالم كله ويحاول الحاقدون
نغرضون أن يوقعوا بيننا دون جدوى.

وإذا نحن أضفنا إلى هذا كله ما توصل إليه الباحثون والعلماء والمجتهدون في
أمور الدين والتاريخ والحضارات وأصل الإنسان إذا صدقت أقوالهم وأبحاثهم
حتى الآن من أن سيدنا آدم عليه السلام وأمننا حواء قد هبطا بهذه البيعة
ساحرة المضيفة الطاهرة التي اسمها مصر فأى شرف ناله التراب المصري وناله
نصريون حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

الله جل جلاله يتجلى على أرض مصر بذاته الكريمة.

وسيدنا آدم وأمنا حواء هبطا أول مرة فوق أرض مصر.. فى جبال سيناء المقدسة أو على ضفاف النيل فى نفس المكان الذى يحمل اسم القاهرة الآن وكان قبل ألف سنة يسمى «كاهى رع» وهو مكان أقدم تجمع بشرى مصرى على ضفاف النيل.

وسيدنا موسى عليه السلام أول من كلم الله ودار بينهما حوار طويل على أرض سيناء المصرية.

والتوراة ينزلها الله على سيدنا موسى فوق جبال سيناء.

وسيدنا هارون عليه السلام يصدر الله أمراً ربانياً بتعيينه وزيراً ومستشاراً لأخيه سيدنا موسى.. داخل أرض مصر..

وسيدنا يوسف عليه السلام يجلس بأمر من الله على كرسى وزارة التموين حارساً على خزائن مصر وأميناً على طعامها وشرابها من خطر الخيانة والجوع بعد أن بيع صغيراً كبضاعة لقاظلة من التجار عندما تركه إخوته القساة والغيرة تأكل قلوبهم فى بئر على الطريق المسافر من فلسطين إلى مصر.

وسيدنا إبراهيم أبو الأنبياء يمضى فى مصر سنين لا أحد يعرف عددها عندما زارها مع زوجته سارة ونشر صحفه وتعاليم دين الحق والتوحيد بين الرهبان والناس.

وسيدنا يعقوب عليه السلام رد الله إليه بصره على أرض مصر عندما جاءها ليرى ولده الذى قال عنه أخوته إن الذئب قد أكله والذئب براء من دم ابن يعقوب.

والمسيح عيسى ابن مريم جاء مصر على دابة هربياً من بطش الرومان ومعه راجلا يوسف النجار خطيب أظهر نساء الأرض أجمعين وأمضى نبى الله الذى جعله الله وجيهاً فى الدنيا والآخرة شهوراً فوق تراب مصر ورحلته المقدسة معروفة والأماكن التى زارها معروفة حتى أصبحت مزاراً وحجاً للناس كل سنة.

هذه هى مصر أرض الرسالات ومقر ومعبر الأنبياء ومهبط الكتب السماوية.

ونكن هل صحيح أن سيدنا آدم وأمنا حواء قد نزلا بمصر أول مرة بعد
خروجهما من الجنة؟

ما زال العلماء يحاولون فك طلاسم هذا اللفظ.

وما زال الباحثون يحاولون أن يصلوا إلى الحقيقة المجردة.

فماذا يقولون؟

كتب إلى الدكتور مسلم شلتوت يقول:

●● لقد ذكرتم أن مجلة الصنداي تايمز نشرت أن العالم الأثرى الإنجليزي
-بييد رول في رحلته المثيرة للجدل إلى إيران عشر على المكان الذي نزل فيه آدم
وخواء إلى الأرض أول مرة من خلال تتبع روايات العهد القديم التوراة حيث سار
حف خطوات أحفاد آدم لمعرفة مكان الجنة التي عاش فيها آدم وحواء.

وردى وتعقيبى أن الخطأ كان في خطأه مائة في المائة لهذه الأسباب:

أولاً: فمع احترامى لكل الديانات السماوية وتقديسى الزائد لكتاب الله القرآن
تكريم المنزل من عند الله بالحرف الواحد على سيدنا ورسولنا ونبينا وحبينا
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في آيات محكمة إلا أن التوراة من
ثابت أنها حرفت وزورت ودخلت فيها أهواء كثيرة، كما أن كتب التراث التي
نحكي وتفسر قصص الأنبياء والرسل ورد ذكرها في القرآن الكريم تحوى هي
لأخرى كثيراً من الإسرائيليات وهذا ثابت تاريخياً، لذلك فإن المراجع التي اعتمد
عليها ديفيد رول مراجع ضعيفة لا يعتد بها ويبدو أن الإثارة الصحفية لعبت دوراً
مهماً في رحلته غير العلمية.

ثانياً: إن نظرية النشوء والترقى والتطور التي قال بها داروين وظلت لسنوات
عديدة معتمدة في مختلف مراحل التعليم قد بدأت في الانحسار مع نهاية القرن
العشرين فلقد أثبتت التحاليل المقارنة لجزيئات دنا الميتوكوندريات لأفراد من
مختلف أرجاء العالم أن الجنس البشرى في العالم كله من أصل واحد وأن فكرة
خلق الإنسان بدأت تزيع نظرية داروين من الساحة العلمية ويتبنى هذا الاتجاه

اثننا عشرة جامعة فى ولاية كاليفورنيا بالإضافة إلى عدة جامعات فى ولاية إلينوى وبعض الولايات الأخرى، وهناك الآن ألفان وثلاثمائة مدرسة أمريكية تعتمد فى مناهجها الدراسية على فكرة خلق الإنسان بدلا من نظرية داروين.

ثالثا: لقد نشر فى المجلة العلمية Scientific America

فى أغسطس ١٩٩٧ مقال للدكتور

والاس دوجلاس أستاذ الوراثة الجزيئية ومدير مركز الطب الجزيئى فى كلية طب جامعة أمورى وحاصل على الدكتوراه فى الميكروبيولوجى ووراثة الإنسان من جامعة بيل. يتضمن المقال: أن التحاليل المقارنة لجزيئات دنا الميتوكوندريات لأفراد من مختلف أرجاء العالم مكنت تشريحياً علماء الوراثة من تتبع الهجرات الرئيسية للإنسان الحديث، وتشير الدراسة إلى أن الإنسان العاقل Homo Sapiens. نشأ فى إفريقيا قبل مائة وثلاثين ألف عام تقريباً، ولقد نقلت الهجرة الأولى بعض البشر من إفريقيا إلى آسيا قبل قرابة ثلاثة وسبعين ألف عام وقبل واحد وخمسين ألف عام تقريباً غادرت جماعة أخرى الشرق الأوسط وانتشرت فى أوروبا.

وأدت موجات عديدة من الهجرة الآسيوية إلى وصول الإنسان الحديث إلى العالم الجديد وقبل نحو أربعة وثلاثين ألف عام مضت عبر بعض البشر المتجولين سيبيريا والاسكا وهبطوا عبر أمريكا الشمالية وأمريكا الوسطى إلى أمريكا الجنوبية وشكل هؤلاء أسلاف الهنود الحمر كقبائل البيما فى أريزونا والمايا فى المكسيك وإليانوماى فى فنزويلا، وعبرت من آسيا قبل خمسة عشر ألف عام تقريباً موجة ثانية من المهاجرين أطراف سيبيريا وربما سارت بمحاذاة الشاطئ وذلك قبل أن تصل ألاسكا وتتبعثر فى أرجاء أمريكا.

كما أنه فى دراسة اعتمد فيها العلماء فى جامعتى أكسفورد البريطانية وهامبورج الألمانية على تحليل حمض الـ «دى إن إيه» للإنسان الأوروبى المعاصر اتضح أنه ينحدر من سلالة بشرية هاجرت من الشرق الأوسط إلى القارة الأوروبية منذ أربعين ألف عام، وهذا يتفق تماماً مع مقال دكتور والاس الأمريكى.

فماذا لا تكون منطقة وسط إفريقيا هي المكان الذي هبط فيه آدم وحواء
بهي جنات وارفة الظلال منذ ملايين السنين وهي أيضا منطقة جبال وبحيرات
عظمى؟

ولماذا لا يكون العلم هو منهج في التفسير إذا ارتقت النظريات فيه إلى مستوى
نحائق العلمية الثابتة.

.....

.....

آدم من طين غير طين الأرض.

وكتب إلى الدكتور سعد ظلام - رحمه الله - عميد كلية اللغة العربية بجامعة
الأزهر - آنذاك - يقول.

لسنا الآن بصدد المناقشة في موضوع التحقيق ولا فيما توصل إليه الكاتب
تكريم، ولكن نود أن نفتح معه حوارا في بعض الجزئيات التي سردها ومن ذلك
قوله «وهكذا اختلفت ألوان البشر باختلاف ألوان الطينة التي شكلت منها
أجسادهم واختلفت طباعهم وأخلاقهم باختلاف طبيعة المياه التي تكون منها
التصلصال فاختلفت ألوانهم الظاهرة منها والباطنة، فمنهم الجميل والقبيح
والطيب والخبيث وعندما اكتمل تكوين هيكل جسد الإنسان ينفخ فيه الإله الروح
من أنفاسه ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ (السجدة من ٩٠٧).

ونقف مع هذا الجزء لنقول إن اختلاف ألوان الطينة التي شكلت أجسادهم
يوحي بأنه قد حدثت عمليات خلق من طين غير خلق آدم وهذا غير صحيح
فإنه خلق آدم من طين، ثم كانت حواء من ضلعه الأيسر، ثم كان من أنسالهم
وذراريهم وليس هناك خلق من طين متعدد.

وأما اختلاف الألوان فمرده اختلاف البيئة، كما ذكر ابن خلدون في مقدمته
فله في هذا كلام طيب للغاية فضلا عن أن الهداية والشقاوة من الله ﴿مَنْ يَهْدِ

اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدُ ﴿ (الإسراء: ٨٧) ﴾ وَتَنْسُ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فِجْوَرَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿ (الشمس: ٨٠٧) ﴾ وقضية قتل قابيل لهابيل دليل على ذلك.

وكذلك الحال في اختلاف الطباع والأخلاق لاختلاف طبيعة الماء. فالرباط بينهما رباط غير دقيق ولو أنه ربط بين عناصر التربة التي تكون منها هيكل آدم وبين الأخلاق لكان أليق وأكثر قبولا.

ثم نأتى لحكاية نفخ الله الروح من أنفاسه ولو أن الباحث لاحظ التعبير القرآني لأقر بأن النفخ كان من الروح لا من الأنفاس، ثم سواء ونفخ فيه من روحه. ثم يذكر التحقيق حائط المبكى ويذكر أن سبب تسميته بذلك الاسم أنه قد بكى آدم مائة عام بلا انقطاع حزنا على إغضاب الله، ولو كان قد بكى لطرده من الجنة ما كان الله قد تاب عليه.

ثم يقول أحسب أن ذلك كان في المكان الذي يدعى الآن حائط المبكى وشرع الله هذا النسك على لسان موسى اقتداء به.

ولو قال ندماً على معصية الله لكان أفضل وأصوب، ولقد قال الله تعالى ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٣٧).

وحائط المبكى هو حائط البراق وهو الجدار الغربي للمسجد الأقصى والمسجد الأقصى بناه إبراهيم عليه السلام بعد بيت الله الحرام بأربعين سنة وجدده يعقوب ثم بنى سليمان الهيكل.

ثم تحدث الكاتب عن أرض الميعاد التي يتحدث عنها اليهود من النيل إلى الفرات فهي من ضمن جزاء الله لإبراهيم لأنه قدم ابنه البكر الوحيد إسماعيل للذبح راضياً مختاراً، حيث وعده الله رب العالمين بنبي تتبارك به قبائل الأرض رسوله محمد وقد تمت هذه النبوة وإن كان اليهود ينكرونها.

وأرض الميعاد يقول عنها اليهود ما يقولون، ولقد قيل إنها الأرض التي سيحشر الناس إليها كما قيل: إنها الأرض التي وعد الله بها رسوله والأرض التي بارك فيها الله.

كَمْ يتحدث عن الصخرة التي بنى عليها مسجد الصخرة فيقول هي تلك التي
ضرب بها إبليس من الجنة.

والصخرة كانت قد همت بالصعود خلف رسول الله عند معرجه فأشار إليها
حزير أن تثبت فتثبتت عند مكانها وبنى عليها عبدالمك قبة الصخرة ومسجد قبة
الصخرة.

والباحث وهو يحدد الزمن الذي يوافق نبوة إبراهيم وإسماعيل يقول إذا
حسنا أقوال الأنبياء فيما سبق إبراهيم عليه السلام لا نجد ذكراً لفريضة الزكاة
فد كان أول من أوصى بها إسماعيل عليه السلام ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة
الزكاة وكان عنده مرضياً﴾ (مريم).

والصلاة والزكاة لفظان لم يتحدد معناهما الشرعى الذى نفهمه الآن إلا بعد
ظهور الإسلام، فهما من الألفاظ التى استحدثتها الإسلام، وكذلك الكافر
والفاسق.

والمراد هنا ليست الصلاة والزكاة الفريضتين، بل المراد بالصوم الصمت ﴿أنى
نذرت للرحمن صوماً﴾ أى صمتاً وفى رواية لأنس صمتاً وصوماً والصلاة فى
لغة الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله عز وجل على رسوله صلى
الله عليه وسلم ثم هى الآن عبادة ذات ركوع وسجود مفتتحة بالتكبير مختتمة
بالتسليم وهذا المعنى لم يتحدد إلا بعد الإسلام.

وقوله تعالى «وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم» أى ادع لهم واستغفر لهم كما
رواه (مسلم) فى صحيحه «اللهم صل على آل النبى» ولقد طلبت امرأة من رسول
الله أن يصلى عليها وعلى زوجها فقال: صلى الله عليك وعلى زوجك ومعنى «إن
صلاتك سكن لهم» أى رحمة ووقار، ولم يتحدد معنى الصلاة الذى يستعمله
الإسلام على أنه عبادة ذات ركوع وسجود مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم إلا
فى ظل الإسلام بعد أن أصبحت الصلاة فرضاً.

والزكاة معناها الطهارة والبعد عن الأثام والردائل قال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿فقل هل لك إلى أن تزكى﴾ (النازعات: ١٨) أى تسلّم وتطيع، والكلام موجه من الله عز وجل إلى موسى وهو يأمره أن يتوجه إلى دعوة فرعون.

وقوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاه﴾ (النمى: ٩) أى أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل.. كما قال تعالى ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾ (الأعلى: ١٤، ١٥) أى طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، والزكاة المفروضة لم يتحدد مفهومها إلا بعد الإسلام.

والزكاة صفة الشيء، وما أخرجته من مالك لتطهره به.

فليس المراد بالصلاة والزكاة اللتين ذكرهما الزكاة المخصوصة والصلاة المخصوصة فى الشرع إذ لم يكن لهما وجود شرعى آنذاك، بل كان المقصود المعنى اللغوى الذى ذكرناه.

ويكون ما ترتب على هذا من الفهم الذى قصده الباحث يحتاج إلى إعادة نظر. بقى أن نقول إن الباحث استشهد بالآية الكريمة ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ (ق: ٧) ثم ذكر أنها فى سورة الأحقاف والصحيح أنها فى الآية السابعة من سورة ق.

كما أن الباحث الكريم ذكر الآية الكريمة ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً﴾ ثم ذكر أن (الآية ٥٥ من سورة مريم).

جنة آدم فى الأرض

وكتب إلى الدكتور شعراوى محمود حسن يقول:

أمر الفردوس المفقود هذا هو أمر مهم جداً بالنسبة للنصارى وهو أمر مهم جداً بالنسبة لعقيدة تأليه المسيح والتجسد والتثليث فهم يجمعون جميعاً على أن الجنة التى طرد منها آدم هى فى الأرض وقد خرج آدم من الأرض إلى الأرض والفرق أنه كان فى الجنة يأكل بلا عمل وعند خروجه أصبح يأكل خبزاً بعرقه وكده وتعبه، وهذا الفرق بين وجوده فى الجنة وخروجه منها شئ يسير من أن

يعبر الله له هذه الخطيئة التي ارتكبتها فخرج آدم وحواء من الجنة وظلت
خطيئة ملتصقة بهما وذريتهما حتى مجيء السيد المسيح الذي صلب على
تصليب من أجل أن يكفر عن خطيئة آدم ومن يؤمن بهذا الصלב فقد تحرر من
خطيئة ودخل إلى الملكوت وسيحيا ومن لم يؤمن بالصليب فسيظل بالخطيئة ولا
يسأل الملكوت وأن هذه الجنة التي في الأرض غير التي في الآخرة ويقولون إن
نبي يؤمن بأن جنة آدم هي جنة الآخرة فسيجد نفسه يوم القيامة في إيران.

﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ (إبراهيم: ٤٨).

وإنى أتساءل هل الجنة التي خرج منها آدم هي الجنة الموعودة؟ والتي وعد الله
نبتين.

وقد قرأت القرآن الكريم لأقرأ فيه آيات الجنة ووجدت أن الجنة التي وعد
الله المتقين معرفة بالمثل ﴿وقلنا لأ..م أسكن أنت وزوجك الجنة﴾ (البقرة: ٢٥)
﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ (آل عمران: ١٤٢).

﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ (آل عمران: ١٨٥).

﴿ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة﴾ (الأعراف: ١٩).

﴿كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ (الأعراف: ٤٢).

﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخيامة﴾ (الأعراف: ٤٠)

﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها﴾ (الأعراف: ٤٢)

﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ (الأعراف: ٤٤).

ويقول تعالى في سورة محمد ﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ (محمد: ٦) الآية.

أتساءل هل يمكن أن يكون من تعريف الجنة هو تعريفها بالألف واللام وجنة
آدم هنا معرفة بالألف واللام فهل يمكن أن تكون هي الجنة التي وعد المتقون؟
وذلك حين تجيء في صورة الأفراد مثل الجنة.

وهناك آيات تقول: ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾

(الفرقان: ١٥).

وإذا جمعت الجنة وصارت جنات فلا تعرف بالألف واللام مثل: ﴿ولأدخلنهم جنات﴾ (ال عمران: ١٩٥) ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات﴾ (النساء: ١٢).

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات﴾ (النساء: ٧٥). وهناك قوله تعالى ﴿لقد كان لسبأ آية جنتان عن يمين وشمال﴾ (سبأ: ١٥)

ويقول تعالى: ﴿وبدلناهم بجننتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وائل وشيء من سدر قليل﴾ (سبأ: ١٦).

ويقول تعالى: ﴿ومن خاف مقام ربه جنتان﴾ (الرحمن: ٤٦)

ويقول تعالى: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ (الرحمن: ٦٢)

وقال تعالى: ﴿أيطمع كل امرئ أن يدخل جنة نعيم﴾ (المعارج: ٢٨)

﴿وجزائهم بما صبروا جنة وحريراً﴾ (الإنسان: ١٢)

﴿فى جنة عالية الغاشية﴾ (الناشئة: ١٠).

﴿فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾ (النجم: ٣٠).

ويقول تعالى: ﴿جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب﴾ (الكهف: ٣٢).

﴿كلتا الجنتين أتت أكلها﴾ (الكهف: ٢٢).

﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله﴾ (الكهف: ٣٩).

وهى جنة فى الأرض غير معرفة بال.

وسنجد اختلافاً فى الآراء فمن تشعب بقراءة الإسرائيليات فى التوراة فسيقول إنها أرضية، ومنهم من يقول غير ذلك.

.....

.....

الأنبياء لا يعصون الله

وكتب إلى الباحث محمد بيومي الغريب يقول:

لقد عرضت عرضاً جامعاً لكل ما قيل قديماً وحديثاً عن أرض سيدنا آدم لهم إلا ما قال أهل الحقيقة وهم الذين يعلمون الحقيقة كما هي وكما وقعت وكما كانت عن مشاهدة غيبية ورؤية إلهية والمسلم لا يهمل إلا الحقيقة الإلهية ونست هذه التهويمات التي تشتت فكره وتخلخل عقيدته وقد تذهب به إلى إنكار ك ما يؤمن به.

وقد كنت موافقاً حين رددت على الآراء المزيفة وبيت انحرافها عن الحق إلا أنك كنت متعصباً لمصر شيئاً ما .

أما ما قلته في صدر البحث عن غضب الله على سيدنا آدم وزوجه وطردهما من الجنة فهو أمر يلزم الرجوع فيه إلى المسلمات الإسلامية والثوابت العقدية بالإسلام شريعة وعقيدة.

وأوليات العقيدة الإسلامية أن الرسل لا تعصى أمر الله وليس لها الصلاحية نصية الله ولا يجوز في حق الله جل وعلا أن يرسل رسولا يعلم أنه سيعصاه .

وإنما هم كما قال الله تعالى في سورة الأنبياء بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .. وهي في الرسل وليست في الملائكة كما تدعى بعض الكتب

وسيدنا آدم هو أبو البشرية كلها تتجلى فيه كل فطرة البشر وقد كان رسولا من ربي العزم الستة وهم ليسوا خمسة كما يقول من لا يعلم الحقيقة وكان تحفة الأول في الأرض .

وسيدنا آدم لم يفسد في الأرض ولم يسفك دماً مما جاء في سورة البقرة هو إنما الذي افسد في الأرض وسفك الدماء هم ابناؤه إلى يوم الدين .

والرسول الذي سجدت له الملائكة وعلمها ما لم تكن تعلم لا يعقل أبداً أنه يحس به فهذا مقام قرب كبير من الله جل جلاله وهو يسجد الله الملائكة له وهو يحس وعلم الله وسع السماوات والأرض أنه سيطرده ويغضب عليه .

ثم العقيدة الإسلامية فى الرسل هى عصمتهم فالعصمة هى الاصطفاء ولا اصطفاء بلا عصمة ولا عصمة بلا اصطفاء والله تعالى يقول فى سورة آل عمران إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران أى كل الرسل.

ثم الأمر الثانى فى العقيدة الإسلامية أنه لادخول لجنة الآخرة إلا بعد الحياة الدنيا فهى جزاء للمتقين فى الدنيا.

ودار الجزاء لايمكن أن تكون فيها شجرة ممنوعة عن أهلها لهم فيها مايشاعون.

وبذلك ندرك أن سيدنا آدم وزوجه لم يكونا فى جنة الآخرة وبالتالي لم يطردا منها ولم يأكلا من شجرة ممنوعة فى تلك الجنة وقد بينت سيادتكم حقيقة جنة الآخرة بأنها لا يخرج منها من دخلها فهى دار خلود خالدين فيها أبداً.

ثم الأمر الثالث فى العقيدة الإسلامية أن إبليس لايمكن أبداً أن يدخل جنة الخلد ويكون غيباً لو دخلها وخرج منها مادام يستطيع دخولها.

والأمر الرابع وكان ينبغى أن يكون فى مقدمة العقيدة الإسلامية أن الشيطان لا يستطيع أبداً أن يوسوس لرسول فى أمر من الأمور والرسل كلهم يرون الجن بل كلهم مبعوثون للإنس والجن فكيف يستطيع جنى أن يوسوس لرسول والشياطين هم مرده الجن من الجن والرسل ترى عالم الجن رأى العين بل إن ورثه الرسل لها هذه الرؤية.

من كل ذلك نرى أن سيدنا آدم:

- ١ - لم يكن فى جنة الآخرة.
- ٢ - لم يطرد من تلك الجنة.
- ٣ - لا يوجد فى جنة الآخرة شجرة ممنوعة عن أهلها.
- ٤ - لا يوسوس الشيطان لرسول.
- ٥ - لم يأكل سيدنا آدم من شجرة ممنوعة فى جنة فما الأمر بعد كل ذلك فيما جاء فى القرآن الكريم.

﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ (طه: ١٢١) بعد آيات كثيرة قبلها.

﴿فوسوس إليه الشيطان فأكلا منها فبذت لهما سوءاتهما﴾ (الأعراف: ٢٠).

مما يثير في الفكر غير المتعمق أن ذلك كله كان من سيدنا آدم وزوجه.

ومما يقزز النفس أن يفهم البعض أن الله كشف سوءة جسد سيدنا آدم وزوجه
أى فهم هذا أى نفس تطمئن لهذا؟

إن قوله تعالى: ﴿فبذت لهما سوءاتهما﴾ أى بدا لهما سيئات ما عملوا أى عرفا
خطأهما وما هؤلاء إلا البشر من أبنائهما ويكون اسم آدم اسم جنس لا اسم علم
فرسل الله معصومون من كل صغيرة وكبيرة.

ولكن سيدنا آدم يحمل فطرة البشرية كلها فالله يخاطب البشرية فى شخص
سيدنا آدم وزوجه ولاشئ غير ذلك.

كيف جاء خلق سيدنا آدم

خلق الله سيدنا آدم بقدره كن فيكون ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له
كن فيكون﴾ (النحل آية ٤٠) ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (يس
آية ٨٢)

هذا هو خلق سيدنا آدم فلا قطعة من الطين ولا مثل ذلك وإنما هو كما قال
الله تعالى فى سورة يس آية ٣٥ ﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت
الأرض﴾

ولكننى سقت هذا لندرك أن خلق سيدنا آدم كان فى الأرض التى نحيا عليها
وتيس فى جنة الآخرة يقول الله تعالى: ﴿الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق
الإنسان من طين﴾ (السجدة: ٧) أى مما تنبت الأرض ولذلك قال تعالى ﴿من
صلصال من حمأ مسنون﴾ (الحجر: ٢٦) أى أن حياة الإنسان على الأرض قائمة
على ما تنبت الأرض وهى طين أو صلصال حالة صلاحيتها لنمو النبات عند
متزاجها بالماء والأمر أن سيدنا آدم خلق على الأرض ربذلك لاتكون جنته فى
سبيلها إلا جنة فى الأرض وهو موضوعكم الفردوس المفقود.

ليس فى القرآن الكرىم أبدا ماىبىن موضع حىاة سىدنا آدم وهو الكتاب الذى لاىأتىه الباطل وكل ماعداه ىرد علیه وكل ماقل إنما هو اجتهاد عقلى بشرى .
والعقل البشرى لىس له من القدرة إلا ماتقدمه له الحواس الخمس وماىترتب
علیها مما فى أمور الدنیا وعلومها .

أما العقل الإلهى فى الإنسان فهو هبة إلهية یتفضل الله بها على عقول
المقرىین من عباده فهو الذى ینبغى أن نركن إلىه فى الأمور التى وراء العقل المادى
وذلك العقل الإلهى إنما ىكون فى العارفىن بالله أهل الحقیقة .

ولا أكون قد أخطأت السمع أو أخطأت الفهم عن أحد كبراء العارفىن بالله .

بأن سىدنا آدم كان فى الهند فى بلده التین التى جاءت فى أول سورة التین مع
الزیتون معاهدة سىدنا إبراهیم وطور سنین لسىدنا موسى والبلد الأمين لسىدنا
محمد صلى الله علیهم أجمعین، وهذا هو الحق فى الآیات ىجهله من ىجهله
وعلمه من ىعلمه .

اقتربنا شیئاً ما من حل عقدة الجنة التى هبط منها آدم اسم الجنس بقوله
صلى الله علیه وسلم كل مولود ىولد على الفطرة والرسل علیهم الصلاة والسلام
ىكونون فى أعلى فطرة خلقها الله عند ولادتهم بل قبل ولادتهم بل وأرواحهم
لاتزال فى عالم الغیب .

والفطرة مما فىها من أسرار إلهية ظهرت على الرسل والصدیقین والشهداء
هى جنة الإنسان الحقیقیة ولو تأملنا ماكان على أیدى الرسل والصدیقین
والشهداء والصالحین من معجزات وبركات ونفحات وروى ومكاشفات ونوامیس
إلهية یتصرفون فىها ناموساً وراء ناموس .. لعلمنا أنها جنة عالیة عظیمة لاتعد
لها جنة فى الأرض فهم فى نعیم مقیم حینما نزلوا أو حلوا تتكشف لهم الأرض
وتتفتح لهم السماوات كالإسراء والمعراج وذلك بعض معنى قوله تعالى ﴿جنة
عرضها السماوات والأرض﴾ وكما نسمع عن أهل الخطوة والذین ىصلون فى
الكعبة وىعودون إلى بلدهم فى لمحات والذین یتحدثون عن رؤیة مامضى
وماسىأتى علما لدنیا إلهياً .

وكل تلك الفيوضات الإلهية على المقربين فى الحياة الدنيا هى أسرار من جنة الآخرة فيكونون فى جنة الآخرة وهم على وجه الدنيا.

ويكون الهبوط من تلك الفطرة وفيوضاتها الإلهية بالمعصية وارتكاب السيئات ومخالفة أمر الله تعالى وذلك هو الأكل من الشجرة شجرة المعصية فتطمس تلك الأسمار الإلهية فى الإنسان وتعمى البصائر والقلوب أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور (الحج).

ولانتزال البشرية فى عماية عن تلك الأسرار فى الإنسان وفى فطرته التى ظهرت وتظهر فى المقربين من الصديقين والشهداء والصالحين بعد ظهورها فى الأنبياء والمرسلين.

ثم بعد كل ذلك أليست الفطرة هى موضع وسوسة إبليس هل يوسوس إبليس للبشر إلا ليخرجهم من تلك الفطرة من تلك الجنة العظيمة تلك الفطرة التى سجدت لها الملائكة تلك الفطرة التى فيها العلم الذى لاتعلمه الملائكة.. تلك تقطره التى فيها الخلافة فى الأرض فطرة جنة الآخرة.

إن إبليس يوسوس للرسول ولا يستطيع أن يوسوس لمن بلغت نفسه درجة تنفس المطمئنة لأنها بداية انقطاع الشيطان وعجزه عن أن يوسوس فيها فهى ذاية نفوس الأولياء والصديقين والشهداء حتى النفس الراضية والمرضية أما عوس الرسل فدرجتها هى النفس الكاملة.

وقوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ (طه:١٢١) إنما كان اسم آدم هنا اسم جنس يدل على البشر وليس على سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام.

ولنتكلم بعد ذلك كله فى بعض الحقائق التى جاء ذكرها ويكفيك جهداً مشكوراً أن صبرت على كل تلك الموزورات والمنحولات ويكفيك فخراً أن فندت سفيها.

إلا أن أمراً مزوراً سائداً في أمر هابيل وقابيل وأنهما من ولد سيدنا آدم والحقيقة نجدها في القرآن الكريم وأنهما من بنى إسرائيل فالآيات في سورة المائدة تتحدث عن سيدنا موسى في بنى إسرائيل وإذ قال موسى لقومه الآية ٢٠ من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل الآية ٣٢ وبينهما آيات وأتل عليهم نبأ ابني آدم وكلنا أبناء آدم

وأرجو أن يقرأ المسلمون المائدة ليجدوا أنها كلها نزلت في أهل الكتاب من بنى إسرائيل وفي سيدنا عيسى وهو الرسول الذى نزل لهم بالإنجيل بعد التوراة

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة﴾ (آية ٦ سورة الصف).

فسورة المائدة تكاد تكون سورة بنى إسرائيل أو صورة بنى إسرائيل.

وبالرجوع إلى الآية نجد أن الله جل وعلا كتب على بنى إسرائيل ما أوردته الآية الشريفة والله جل وعلا لا يكتب على قوم إلا مما كان منهم كيف يكتب الله على بنى إسرائيل بما كان من ابني سيدنا آدم أين إسرائيل في عصرها بين كل من خلق الله حتى يكتب عليها وحدها.

ثم أن القرى كان في بنى إسرائيل ولا يزال إلى اليوم في إسرائيل فلسطين ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقريان تأكله النار﴾ (الآية ١٨٢ آل عمران).

بقى الأمر الأخير وهو أن الله جل وعلا خلق سيدنا آدم في أرض ثمار جنة حديقة حتى يأكل منها هو وزوجه وأولاده إلى أن يتعلموا استثمار ماتبت الأرض.

وأذكر أولاً وأخيراً أنها كانت في جزيرة سرى لانكا ولا يزال قبره فيها معروفاً إلى اليوم بما قال به المرحوم أحمد عرابى باشا وما صدق به العارفون بالله من قبله.

وسيدنا آدم وزوجه لم يخرجوا من سرى لانكا ولم يفترقا إلا بالموت ولا هو بنى الكعبة ولا الملائكة.. فأرض الكعبة التى خلقها الله هى المكان المقدس المحدود فى

خلق الأرض منذ خلق الله الأرض بلا بناء حوله ولا فوقه وقد ثبت طبوغرافيا أنه مركز اليابس من الارض فى بعض البحوث الجاده.

وهذا المكان هو المرتبط بالبيت المعمور فى السماء بالنور الالهى وسيدنا ييراهيم عليه السلام هو اول من اقام القواعد حوله ليحدد المكان.

وسيدنا نوح كان فى بلدة سيدنا ادم نفسها التين فى سرى لانكا وخرج منها بالطوفان الذى لم يفرق إلا الكافرين بسيدنا نوح ولم يكن معه فى السفينه إلا الذين آمنوا به من البشر فلا حيوانات ولا وحوش ولا حشرات حتى استوت السفينة على جبل الجودى واولياء الله ليس عندهم خرائط جغرافية ليحددوا عليها مكان الجودى.

.....

.....

آدم ليس الفرعون الأول :

وكتب الدكتور فتحى الرئيس استاذ اللغة الفارسية والحضارة بجامعة القاهرة يقول.

١ - ان المفسرين المسلمين وكتبه التوراه كتبوا ما كتبوه على اساس ان العالم كان جغرافياً ومناخياً كما هو الان ولم يكونوا قد سمعوا او عرفوا شيئاً عن تعصور الجليديه التى تعاقبت على الارض والتي انتهى اخرها منذ حوالى عشره لاف عام قبل الميلاد حيث كانت المنطقه المداريه التى تشمل مصر والجزيره تعريبية غزيره الأمطار تغطيها الغابات والمراعى التى كانت تعيش عليها مختلف نواع الحيوانات التى نرى بعضها الآن مازال يعيش فى المناطق الاستوائية، وهذا تناخ يجب ان وُخذ فى الاعتبار فى الدراسات القديمه قبل التاريخ.

٢ . ان نهري دجله والفرات لم يلتقيا معاً عند القرنه إلا فى العصور التاريخيه عد الميلاد إذ كان نهر الفرات يجرى الى الغرب من موقعه الحالى وكانت تقع عليه اغلب مدن الحضاره السومريه القديمه الى أنه غير مجراه عده مرات

والتقى بنهر دجلة عند القرنة على بعد نحو مائتى كيلومتر شمال البصرة.

٣ - إن القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه رغم كثرة القصص الذى وردت فيه لم يحدد أماكن وقوع هذه القصص أو إبطالها أو تواريخها ولو شاء لذكر كل هذه الأحداث بالتفصيل، ولكن كل هذه القصص جاءت للعبارة والموعظة ولم يذكر القرآن الكريم إلا أسماء بعض الرسل وأماكن قليلة كمصر والمسجد الحرام والمسجد الأقصى وبكة ومدين لهذا فإن محاولة تعيين هذه الأماكن لن يكون أمراً هيناً ولن يضيف شيئاً للقرآن لأن علم البشر المحدود لا يقاس بعلم الله الذى لاتحده حدود.

٤ - أما عن إبراهيم عليه السلام فكان من مدينة أور عاصمة إحدى دول المدن ولهذا فهو عربى وقد دلت بعض الحفريات التى قام بها علماء العراق على مكان الحى الذى ربما كان يعيش فيه إبراهيم الخليل قبل رحلته إلى بلاد الشام ومصر.

٥ - أن نهر أراكس هو نفسه نهر ارس ولو رجعنا إلى خريطتين بالإنجليزية والعربية لوجدنا اسم أراكس بالإنجليزية وارس بالعربية الفارسية والأذرية وهو يلتقى بنهر كورا ليصبا معاً فى بحر قزوين عند مدينه نسط شاه.

٦ - كلمة أور تعنى مطلقاً مدينة وأطلقت كاسم خاص على مدينة أور فى جنوب العراق والتى كانت ثالث عاصمة للملكية بعد الطوفان ودخلت كلمة أور فى أسماء كثير من المدن مثل أورشليم مدينة السلام وأوربيل مدينة الرب وهى مدينة أربيل حالياً فى شمال العراق

٧ - أما عن نهر النيل فتاريخه الجغرافى معروف ومعلن.

٨ - وما يقال إن آدم هو الفرعون الأول فى مصر فهل المقصود به مينا موحد القطرين والذى يرجع تاريخه إلى نحو ٢٤٠٠ ق م على أقصى تقدير قلنا وماذا عن ملكى الشمال والجنوب اللذين قضى عليهما مينا واستولى على قطريهما ووحدهما فى دولة واحدة وماذا عن الملوك الذين سبقوهما والذين لانعرف عنهم شيئاً؟ وماذا عن التاريخ المصرى القديم منذ عصر جمع القوت إلى نشأة القرى

وبداية الزراعة وتدجين الحيوان ثم تكوين المدن ودول المدن، وهي فترة تستغرق على الأقل نحو ثلاثة آلاف عام لم يذكرها علماء تاريخ مصر القديمة؟

٩ . الحديث عن أن الأرض ستكون هي الجنة قد يتعارض مع مجاء في بعض سور القرآن الكريم الذي يصور يوم القيامة بقوله يوم يكون الناس كالفراس الميثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش (القارعة) إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها (الزلزله) كلا إذا دكت الأرض دكا دكا (الفجر) وغيرها كثير افبعد هذا الوصف لما سيحدث للأرض ودكها دكاً يقول قائل إنها ستكون جنة عدن وهل ضاق ملك الله بحيث تكون الأرض التي عاش عليها الإنسان ومات عليها تكون هي نفسها جنته، وإذا كانت الأرض ستتحول إلى هذا الشكل من الخراب أفلا يمكن أن يتحول كوكباً آخر أو مجموعة من الكواكب في المجموعة الشمسية يوم البعث إلى جنات؟

هذه أسئلة تعكس علمنا المحدود والله أعلم بالكون والوجود.

تاريخ الديني

. لا تاريخ البشر

وكتب إلى الباحث محمد أبوالنصر يقول.

إن تفسير السيد دافيد رول للأمر ناقص بل هو في الحقيقة تفسير باطل جملة وتفصيلا لغياب أهم نقطة تفسير ذلك الأمر بل إنه بنى بحثه على مقدرة تبشر وليس مقدرة الله فجاء تفسيره ناقصا في جوهر ولب الموضوع الذي يشتمل على أمور ثلاثة هي.

١ . القرون الأولى

٢ . عملية الهبوط ذاتها

٣ . مكان الهبوط

فجاء تفسيره للنقطة الثالثة والأخيرة مكان الهبوط كمن خيل له قفزته من الأرض إلى سطح القمر فما هو إلا خيال ليس له وجود في إلا في راس قائلة رغم مايزعم من أباطيل حول هذه الرواية.

ومدخلنا للحديث عن هذا الأمر الإلهي الدنيوي هو تاريخ الدين وليس تاريخ البشر رغم تعلق الأمر ببداية تاريخ البشر فبداية تاريخ البشرية بنزول آدم شيء والعملية في حد ذاتها شيء آخر تتعلق بالذات الإلهية وعلمها ومشيتها وعلى ذلك يكون الأمر أمراً دينياً يتعلق بالتوراة والإنجيل القرآن، هي كتب من الله عز وجل وبذلك فالتوراة والإنجيل والقرآن هي المراجع الوحيدة لهذه القصة.

ا. ولنبدأ بالتوراة وهي كتاب من كتب الله ولكن كونها حرفت أو بدلت أو ادخلت عليها مدسوسات وهي ماسميت إسرائيليات يجعلنا نترث بشأنها.

ب. الأنجيل هي كثيرة ومتعددة انتهت إلى إقرار أربعة منها هي إنجيل متى لوقا حنا مرقس، وهذا يضعنا أمام أمرين لا ثالث لهما أما أن نأخذ بهم جميعا وأما أن نأخذ منها عين اليقين بدل أن نطرحها مما قد يثير أمورا نحن في غنى عنها.

ج. القرآن هو الكتاب الباقي أمامنا تعهد المولى عز وجل بحفظه مصداقا لقوله تعالى «أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون».

ومن هنا فالقرآن مدخلنا إلى القضية المطروحة على الساحة وهي نزول آدم وحواء للأرض.

وفي البداية قالت الملائكة للمولى عز وجل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نَسْبِحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٢)

ثم نتابع الآيات الكريمة إلى قوله: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦) وبعدها مباشرة ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (آية ٣٨) ثم بعد ذلك في الآية صدر الأمر الإلهي في قوله عز وجل قلنا ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَأَمَّا يَٰأَيُّكُمْ مَنىٰ هَدَىٰ فَمَن تَبِعَ هَدَاىَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨) لاحظ هنا كلمة

هبطوا جيداً لأنها جمع ليست مثنى أى اهبطا معنى ذلك أن الهبوط لم يكن لآدم وحواء فقط.

لأننا سوف نعرف من هم الذين هبطوا من السماء بناء على الأمر الإلهي تصدر بذلك.

وهنا نعود إلى القرون الأولى والتي شهدت هبوط آدم وحواء من الجنة ضمن من هبطوا منها وشهدت أيضاً كيفية الهبوط عملية الهبوط وأين هبطوا على لأرض المكان.

إذاً نخلص إلى ثلاث نقاط هي.

١ . القرون الأولى.

٢ . عملية الهبوط.

٣ . أين هبط آدم وحواء والآخرين؟

ولنبداً بالقرون الأولى وهي مصداقاً لقول عز من قائل ﴿علمها عند ربي في كتاب﴾ (طه:٥٢) لاحظ هنا أيضاً كلمة كتاب، لأن هذا الكتاب به الإجابة عن كل ما يتعلق بالقرون الأولى على الأرض كما جاء ذلك في رد النبي موسى على فرعون عند سؤاله عنها ﴿فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ (الاية ٥١، ٥٢ سورة طه) .

وهذا العلم الذي عند الله في كتاب هذا الكتاب به أيضاً علم الخماسية وما نراك ما هي الخماسية أنها باختصار شديد خماسية الله في الخلق أى سر خلق الإلهي في عظمة إعجازه جملة وتفصيلاً وهذه الخماسية تحتاج منا إلى شرح كثير وكبير لانستطيع اختصارها الآن وليس مجالنا الآن للحديث عنها.

أما الهبوط من الجنة فقد هبط منها خمس وهم أيضاً في علم الخماسية خمسة الذين هبطوا هم الشيطان الجن آدم وحواء الملائكة.

الشيطان آدم وحواء: الأرض مستقر لهم ومتاع إلى حين.

الجن: باطن الأرض مستقر لهم.

لملائكة: فيما بين الأرض والسماء الخامسة.

هذه هى الأماكن المحددة لكل من هبط من الجنة ولكل منهم عمله ومهامه التى يقوم بها إلى يوم يبعثون المهم أن كلهم لله مصداقًا لقوله تعالى «له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء» الآية ٥١ آل عمران.

أما عملية الهبوط فهى مثل عملية الإسراء بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى والإسراء به كان روحا وجسدا كذلك هبوط أبونا آدم وحواء كان عبارة عن سباحة فى ملكوت الله كما يسبح الدم فى الجسد.

وأن جنة الخلد هى التى نزل منها آدم وحواء وهى فى الأعالي عرضها السموات والأرض وبالتالي فهى ليست على الأرض وحدها.

وبذلك يتضح أيضًا أن الفردوس المفقود ليس مفقودا لأنه لا مكان له فى الأرض وإنما موجود فى الأعالي.

ولقد نزل أبونا آدم للأرض وهو يسبح فى الفضاء ووجهه إلى الأرض؛ لأنه يريد أن يعرف المستقر الجديد له إلى حين وماذا سيفعل وأين المستقر؟

بينما أمنا حواء نزلت من السماء كمن يسبح على ظهره فى الماء ووجهها إلى الله والسماء والجنة التى خرجت منها نادمة على غواية الشيطان لهما عندما أكلا من الشجرة .

ومن هنا جاءت حكمة نزول أولاد آدم من بنى البشر إلى الأرض من أرحام أمهاتهم فى عملية الولادة فينزل الذكر وجهه إلى أسفل ناظرًا للأرض وتنزل الأنثى وجهها إلى أعلى ناظرة إلى الجنة.

أما الجن فقد هبط إلى باطن الأرض جذوة النار المشتعلة فى باطنها.

أما الشيطان فقد هبط فى جنوب شرق آسيا ومكانه معروف بالضبط .

أما الملائكة فقد هبطت أيضا وهى موجودة ومكانها أعلى رءوس البشر مباشرة حتى السماء الخامسة.

هذه هي عملية الهبوط بإيجاز شديد وهي هبوط من الجنة إلى الأرض لكل من هبط من الجنة وطريقة الهبوط.

ولكن أين هبط آدم وحواء؟

أول بيوت الله هو الكعبة المشرفة وقد بناها الملائكة بأمر الله عند هبوطهم من الجنة إلى الأرض وتولت حمايته ورعايته في أوقات الشدة ويتولى الصالحون حمايته ورعايته وعند عجزهم عن حمايته تنوب عنهم قوى تحميه من الناس والملائكة وهو محمى بإرادة الله إلى ما شاء الله.

وأول بيت بنى للناس الذي ببكة.

وطبقاً لخماسية الخالق الأعظم في خلقه وإعجازه.

وخماسية السر سر الخلق فإن آدم قد هبط في سيناء في الوادي المقدس عوى حيث طويت بذلك الهبوط صفحة، وبدأت صفحة أخرى صفحة الحياة تقية.

وهبطت حواء في بيت المقدس وسار كل في اتجاه وجهة بعد الهبوط في اتجاه الأمامى له اتجاه وجهة، فكان ذلك المسار هو تقابل الضدين، ولم يدم تغراق طويلاً حتى التقيا في عرفات.

.....

.....

ترى هل توصلنا إلى المكان الذي نزل فيه أبونا آدم وأمنا حواء أول مرة؟

الكل يؤكد أنه نزل بأرضه.

دافيد رول يقول إنه نزل شمالي غرب إيران.

نحن نقول بل نزل هنا بأرض مصر.. ومازال الباب مفتوحاً وإن كنا سنواريه عقم ولن نغلقه أبداً.. وسوف نتوقف مسافة من الزمن لالتقاط الأنفاس.. ثم عتح الباب كله على مصراعيه مرة أخرى. ■



أعمدة الحب السبعة!

كما أن الجمال ليس له وطن. وليس له دار يعود إليها كل مساء.. وليس له أب
تم أو حتى وريث.. بل هو دائماً وأبداً طائر حر طليق يرفرف بجناحيه في
سماء الكون كله..

فإن الحب هو الآخر عصفور أخضر.. غريب أبد الدهر.. فارد شراعه الوردى
يمتد بحور الحياة.. لا يفرق بين جنس ولون ودين.. ولا بين جبل وسهل ونهر.. ولا
سادة وعبيد.. ملوك وصعاليك.. ولكن له عش واحد هو الوجدان.. وعلاماته
في كل زمان وكل مكان.. دغدغة في الحواس وانفلات في دقات القلب وجنون
في تعيون وغرية وسط الخلان!

وتقد جمع المصريون.. أيام أن كانوا سادة الأرض ووجهاء الدنيا في زمان ولى
ح.. الجمال والحب في معبود واحد.. فالجمال بلا حب.. بارد مظلم يكاد
تنته الوحدة.. والحب بلا جمال كالعابدين بلا إله.. حب أخرس لسانه.. أعمى
سنه!

→ مصر هي الرسالة وهي الأمانة وهي الحب الذي غمر كل قلوب البشر؟

وكما أن الجمال امرأة.. وكما أن الحب امرأة.. والعبارة ليست لى، ولكنها للحكيماًمينوبى الذى أضاف كلمة فاضلة إلى كلمة المرأة.. فلا جمال عنده بلا فضيلة ولا حب عنده بلا فضيلة.. فقد اختار المصريون إلهة للجمال والحب وليس إلهاً. وأطلقوا عليها اسم. حتحور.

واقف على حافة الحفرة التى كشفت عن خبيثة معبد الأقصر.. معجب منبهراً مقبل متيم معاً.. تلمع عيناى بعبارة المؤرخ سيريل الديرى فى كتابه الفن المصرى.. إن المصريين بحق هم أول من قالوا للجمال.. أنت جميل.. وأول من فتح للحب داراً وقالوا له: أهلاً أنت بين أهلك ورفاقك ما دام العمر وما دامت الأيام.. فى الأيام الحلوة نحبك ونغنى لك.. وفى الأيام المرة نحنو عليك نريت على كتفك!.

واقف.. منبهراً مترقباً فوق حافة الحفرة التاريخية التى صنعتها الصدفة فى بهو أعمدة أمنحوتب الثالث فى معبد الأقصر.. الشمس حرارة ودفء فى ظهرى.. والأمل طفل وليد فى صدرى.. وأنا أرقب الريس فاروق حسنى صاحب أول معول فى الكشف الكبير ومن حوله: سومية ونوال وسناء وأميمة المفتشات الأثرىات الشابات يزلن ما علق من تراب القرون الطويلة فوق وجه تمثال المعبودة «حتحور».. إلهة الحب والجمال والرقص والغناء والفرغشة عند المصريين. قبل أن يرفعها برفق وحنان وحب بالغ إلى خارج الحفرة..

واقف صامتاً ساكناً لا أتكلم . أتأمل تمثال الملكة تى . كما أريدها ويريدها الفنان الذى يسكن صدر الوزير.

فاروق حسنى . إنها صورة طبق الأصل من تمثال المعبودة حتحور.. من منها يا ترى أخذ الجمال من الآخر.. الملكة تى أم المعبودة حتحور؟ المرأة أم المعبودة؟..

أضع ما رأته عيونى فى سؤال: أليست ملامح المعبودة حتحور والملكة تى واحدة تماماً.. كأنهما أختان أو نسختان من أصل واحد.. آسف .. من تمثال واحد؟

ويهيئ الرد طارداً عصفير خيالى إلى ما فوق سقف المعبد: إنهما لعبودتين ..
تحتور آلهة الجمال والحب والغناء. ونونيت آلهة العزم والحزم زوجة الإله مانتو
له الحرب والإقدام والتحرير عند المصريين!

أشرح .. أرسم بخيالى وأهرامات كتبتى دوائر حكايات ورويات وقصصاً . أفتح
صفحة من كتاب المؤرخ الشهير جيمس هنرى بريستد .. اقرأ ما كتبه عن الملكة تى
تت التى تجلس أمامى فى صورة المعبودة تحتور . أكاد أحفظه عن ظهر قلب.
كتبه قطعة من كتاب المحفوظات الذى كان مقرراً علينا فى الثالثة ابتدائى: هى أول
منكة مصرية عرفناها لا يجرى فى عروقها الدم الملكى الأزرق .. فهى من عامة
لتشعب .. وكان لها من السلطان وقوة العزيمة والإرادة الحديدية فضلاً عن
لجمال والدلال على زوجها الملك أمنحوتب الثالث حتى أنه لم يرد لها طلباً أبداً
فى حياته .

سألت صامت لا أتكلم .. منصت لكلمات الملكة الحديدية تى التى أنجبت
خناقون العظيم الذى أزعج أن الله اختاره من بين أنبيائه ورسله وإن لم يقصص
عينا قصته فى محكم كتابه .. وهى تشد من عزمته وتدفع الحمية دماء حارة فى
عروقه .. أنت الملك المطاع .. ودينك هو دين الله القوة الكامنة خلف قرص
شمس .. الواحد الأحد . القادر على كل شىء .. وأنا مؤمنة بك وبرسالتك .. لا
تزع كهان الإله آمون ينالون منك .. فأنت على حق وهم على باطل .. تقدم غير
حياب أو وجل .. انشر دين الله الواحد فى ربوع الأرض .. انصر أتباعك ولا
تخذلهم .. قلبى يدعو لك عيني تدمع من أجلك .. صل لله .. ينصرك .. فالله معك
حرسك يا ولدى .. ويا مليكى!

فى دهشة أسأل: ألهذا الحوار أزال أتباع أخناتون اسم الإله آمون من فوق
تماثيل الخمسة: الإله أتوم وأمنحوتب الثالث وحور محب والملكة تى والمعبودة
نحميلة تحتور؟

بمسح الأثرى محمد الصغير صاحب الكشف المثير التراب من فوق زجاج
عثرته الطبية ويقول: لقد عثرنا على التماثيل الخمسة فى هذه الخبيثة وقد
حذف من فوق كتاباتها اسم الإله آمون .. والتماثيل كلها ترجع إلى عصر الأسرة

الثامنة عشرة التى جاء فى أواخرها أختاتون بديانة الإله الواحد الأحد الذى أسماه أتون.. من المؤكد هنا ان حذف اسم الإله آمون قد تم فى عهده.. وقد قام بالمحو كهنته للتخلص من اسم آمون داخل معبد الأقصر الذى كان يعبد فيه الثالوث المقدس: آمون وموت وزوجته وخنسو ابنه.

أعود أسأل: لكن لماذا دفنوا هذه التماثيل الخمسة بالذات معا داخل ما تسمونه خبيثة معبد الأقصر.. هل وضعوها فى عجلة من أمرهم لأمر ما.. مثل غزو آشورى أو فارسى أو حتى أثيوبى أو نوبى؟.. أم لأسباب دينية تتعلق بالصراع الأبدى بين كهنة آمون وكهنة أتون؟

والجواب مبهم عباراته غامضة أبعاده.. لا أحد يستطيع أن يعرف على وجه التحديد ماذا جرى.. ولماذا وضعوا التماثيل الخمسة داخل هذه الخبيثة.. وإن كان لا تفسير لها إلا أحد أمرين ١ . الحفاظ عليها من غزوات خارجية بربرية تدمر كل شئ فى طريقها.. المعابد والتماثيل والآلهة والملوك والديانات ٢ . أو أن الكهنة أخفوها خوفاً أو حفاظا عليها باعتبارها قد أصبحت من تماثيل أتباع أختاتون.. حتى لا تقع أعين كهنة آمون عليها بعد عودتهم إلى سلطانهم الدينى فى عهد حور محب!

أعارض : «ولكن تمثال» حور محب نفسه وهو الذى دمر آثار أختاتون وحول أختاتون إلى «أفق أتون» وهى عاصمة ديانة أتون إلى أطلال.. موجودة بين التماثيل الخمسة الراقدة فى الحفرة الأخيرة مع الإله أتوم.. وله هو الآخر أمامنا وهو يقدم الخمر قرياناً لإله لا وجود له فى طيبة كلها هو الإله الأخير أتوم.. وله هو الآخر تمثال كبير يشترك مع حور محب فى قاعدة واحدة؟.

يتحول السؤال إلى لغز كبير أقرؤه على ملامح كل الأثريين من حولى..

ولكن لماذا اجتمعت الملوك والآلهة.. والعصور والأزمان.. السياسة والدين.. الحب والحكمة الحرب والجمال فى حفرة واحدة؟

فى تحليل د. فكرى حسن أستاذ الآثار المصرية فى جامعة واشنطن أن الذى وضع تماثيل الملوك والآلهة هو أمنحوتب الكاهن الأعظم لآمون وليس الملك

منحوتب الثالث.. وقد عرفنا أنه قد أخفاها عن عيونة الغرياء فى عهد رمسيس
تحادى عشر فى عام ١٠٧٠ قبل الميلاد وتعالوا نقرأ ما كتبه شاهد عيان
تواقعة.. لقد استولى الغرياء على المعبد وكنت أنا أسوق الحمير وهى ملك لأبى
هان ، وأمسك واحد من الغرياء بى وأخذنى إلى مدينة أيبب فى زمن أمنحوتب
لكاهن الأعظم لأمون وقد شاهدت الغرياء يحرقون صندوقا فى المعبد لا نعرف
مذا فى داخله؟.

أسأل: وما علاقة الحريق بتمائيل إله الملوك الخمسة ..

قال : لقد أخفى الكاهن الأعظم التماثيل المقدسة فى هذه الحفرة خوفا عليها
من الغرياء الذين لانعرفهم والذين استولوا على المعبد .. وقد كشفت من دراستى
لتراب الخارج من الحفرة أنه يضم آثار حريق قديم!
وأنا أعتقد أن الخبيثة تتكون من:

١ . الملك أمنحوتب الثالث وزوجته الملكة تى على شكل المعبودة حتحور!

٢ . حور محب وزوجته الأميرة موت نجحت على شكل المعبودة نونيت!

٣ . ثم الإله آتون الذى كان يعبد فى الشمال، حيث ولد حور محب فى القرية
تى تعرف الآن باسم قرية الشيخ فضل فى المنيا!

أسأل: وهل هناك خبيثة قوامها خمسة تماثيل فقط؟

الرد للدكتور محمد الصغير :ولكننا ما زلنا نحفر .. وسوف نوسع دائرة حفرنا
حتى أعتاب الأعمدة الـ ٦٤ غربا وشرقا .. شمالا وجنوبا .. لن نترك شبرا فى
رض بهو أعمدة الملك لقرية أمنحوتب الثالث ٦٥×٥٥ مترا دون حفر

.....

.....

واقف صامتا لا أتكلم .. ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة تطل على من فوهة هذه
حفرة التى تحت قدمى .. أى تاريخ وأية عظمة وأية حقبة من الزمان تطل
سها علينا .. صفحات مجد وفخار عاشتها الأسرة الثامنة عشرة .. بداية من
حس الأول محرر مصر من الهكسوس .. ثم حتشبسوت العظيمة أول ملكة فى

تاريخ مصر وربما فى العالم كله .. ومن بعدها تحتمس الثالث الذى يلتقبونه بنابليون التاريخ القديم.. فهو أعظم فاتح فى تاريخ البشرية ومازالت نظرياته العسكرية تدرس فى أرقى أكاديميات الفنون العسكرية فى عواصم الدنيا .. والعبارة ليست لى ولكنها للمؤرخ الأمريكى المعاصر رويوت أس. بيكر قالها لى بعد محاضرة طويلة له عن عظمة مصر فى المعبد المصرى فى مدينة سان جوزيه على الشاطئ الغربى للولايات المتحدة الأمريكية.

ثم أمنحوتب الثالث الفرعون الفنان.. الذى ورث عرشا له دعائم قوية وإمبراطورية واسعة الأطراف.. وخزائن مليئة بذهب المستعمرات والبلاد التى فتحها أجداده العظام هذا الفرعون الراقد فى تراب الحفرة أمامى لا يجسده ولكن بتمثاله المهيب .. هذا هو إذاً الملك الذى أنجب للدنيا أختاتون العظيم!

تعالوا نقرأ ما كتبه عنه د. ثروت عكاشة فى موسوعته الرائعة عن الفن المصرى تحت عنوان «العين تسمع والأذن ترى»: تبوأ مصر منذ عهد أمنحوتب الثالث الذى جمع بين القوة والرفقة مجدداً وثراء وترقياً واستقراراً وتألفت طيبة . الأقصر الآن . جلالاته وعظمته وازدهرت بما لم تعرفه مدينة أخرى فى جميع عهود التاريخ. وكان هذا العهد من أزهى العهود التى عرفتها طيبة عاصمة الإمبراطورية المصرية الكبرى»..

ولقد كان لهذا الإمبراطور العظيم معبد جنائزى كبير فى البر الغربى.. تحول الآن إلى أطلال ولم يبق منه إلا تمثالاً ممنون.. وهما يمثلان الملك أمنحوتب الثالث جالسا أمام معبده

أسأل: لماذا أطلقوا اسم ممنون على تمثالى الملك أمنحوتب الثالث؟

الجواب للدكتور محمد الصغير الواقف إلى جوارى متربياً مثلئى بالتراب الصاعد من معاول العمال داخل الخبيثة: أساطير اليونان تقول إن أجا ممنون وهو بطل أسطورى أوليمبى يونانى قد مات فى حرب طروادة. ولكنه ظهر فى مصر فى غرب طيبة فى صورة قطرات الندى على أوراق النباتات كل صباح.. بينما يخرج من التمثال الأيمن صوت أنين أثناء الليل.. قال عنه الناس إنه أنين

البطل أجاممنون حزناً وألماً.. وجاء الإمبراطور سبيروس سنة ٢٠٠ قبل الميلاد
ترميم التمثال.. فسكت عن الأنين إلى يومنا هذا.. فقد سد الشقوق التي كان
تهواء في الليل يدخل ويخرج منها باعثاً أصوات الأنين والألم!

وهذه هي إذًا الملكة تي بجمالها ودلالها وعزمها الذي لا يلين.. لم تكن من
سلالة الملوك.. بل كان أبوها سائساً للخيل في القصر الملكي واسمه يويا.. أما
أمها فاسمها تويا وقد عاشت مومياؤها حتى الآن وقيل أكثر من مرة خطأ أنهما
سيدنا يوسف عليه السلام وزوجته وقد حفر لها زوجها منحوتب الثالث بحيرة
صناعية طولها ١٨٠٠ متر وعرضها ٧٥٠ متر أمام قصرها للنزهة بقاربها الذهبى
خالص.. ووزع جمارين ذهبية نقش عليها اسمه واسمها في عيد زواجهما..
وتكهنه أى الملك ملاً قصره في نفس الوقت بأجمل بنات آسيا.. وتزوج عليها ضرة
هي الأميرة كليوجيا ابنة ملك كيتانى. العراق الآن. كما فعل رمسيس الثانى
بعده بـ ٢٠٠ سنة عندما أتى لها بضرة هي ابنة ملك الحيثيين بحجة أنه زواج
سياسى ليأمن شر أبيها على مصر..!

.....

.....

واقف صامت لا أتكلم منصتاً من على البعد وفى جوف الليل إلى ترانيم
ودعوات وتهدجات ابنهما العظيم إخناتون.. فى صلواته بعيداً فى تل العمارنة إلى
إله الواحد الأحد.. وحيداً مدثراً بأستار الليل.. متهدجاً صوته.. مرتعشاً قلبه
من خشية الرحمن:

■ أنت تملأ كل البلاد بجمالك..

■ أنت جميل عظيم متلائئ ومشرق فوق كل أرض..

■ ما أكثر تعدد أعمالك.. إنها على الناس خافية

■ يا أيها الإله الواحد الأحد الذى لا يوجد بجانبه إله آخر.

■ حينما كنت وحيداً لا شئ غيرك.. خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان.

■ ■ ■ مما يمشى على رجليه .. وما فى عليين مما يطير بأجنحته ..
■ ■ ■ فإنك تضع كل إنسان فى موضعه .. وتمدهم بحاجاتهم .. وأيامهم فى
الدنيا معدودات ..

■ ■ ■ أنت خالق البذرة فى المرأة .. والذى يذراً من البذرة أناسيا ..
■ ■ ■ وجاعل الولد يعيش فى بطن أمه .. ومهدئاً إياه حتى لا يبكى .. مرضعاً
إياه حتى فى الرحم .

■ ■ ■ وحينما ينزل من رحم أمه يوم ولادته فأنت تفتح فمه وتمنحه الحياة ..
صامت ساكت لا أتكلم . التاريخ من حولى ومن أمامى هو الذى ينطق ويتكلم ..
هذه هى إذاً تحور معبودة الحب والجمال .. الرقص والفناء .. المرح وحب
الحياة .

ولقد قرأت لحتحور التى شبهوها بالبقرة الجميلة .. أنشودة أعمدة الحب
والسعادة السبعة التى كان المصريون يتغنون بها فى عيدها وينصبون حلقات
الرقص فى أجران الحنطة .. وفى أفراح العرائس :

■ ■ ■ افرح وأمرح رجلاً كنت أو امرأة . ارقص .. غن .. حتى تنسى همومك ..
وينسى الناس همومهم معك

■ ■ ■ وزد ما عندك من مسرات وأفراح . ولكن بالفضيلة والحق ودون أن تفضب
الآلهة .

■ ■ ■ لا تدع قلبك يحزن .. لا تدع الدموع تملأ مقلتيك .

■ ■ ■ إن الناس يوماً سوف يترحمون عليك .. وأنت ساكن هامد لا تتكلم .

■ ■ ■ لا تؤذ إنساناً .. افعل الخير ولا تنتظر رداً .. وابتسم للحياة تبتسم لك .

■ ■ ■ إن ساكن القبر لا يسمع النحيب .. ولن يعيد الصراخ إنساناً من عالم الأموات .

.....

.....

التاريخ أمامى مازال يتكلم ويحكى.

هذا الجالس فى حضرة الإله أتوم..

إنه حور محب فرعون من عامة الشعب.. تماماً مثل الملكة تى.. بل هو بطل شعبي أنقذ مصر من الفوضى بعد ضياع ديانة أختاتون.. ولكنه على حد قول لكتور باهور لبيب والدكتور صوفى أبو طالب فى كتابهما معا.. «تشریح حور محب»: هو واحد من أهم المشرعين فى التاريخ المصرى القديم.. وقد جاء حور محب إلى العرش عام ١٢٣٠ قبل الميلاد بعد ثلاثة ملوك ضعاف: الملك سنخ كارم زوج ابنة أختاتون الكبرى ثم توت عنخ آمون زوج ابنة أختاتون الصغرى.. ثم الملك لكهن أى.. وبعد أن جعل معابد أختاتون فى تل العمارنة رأساً على عقب.. ولكن لم يتسن له أن يعتلى عرش مصر قبل أن يتزوج من أميرة من البيت الملكى هى لأميرة موت نجمت!

تعالوا نقرأ تشریح حور محب.. يقول النص الهيروغلىفى:

■ ■ ■ لقد أراد جلالته أن يعيد العدل إلى البلاد ويزيل الأخطاء ويقضى على لكتب.. وقد أوقف الطامعين عند حدهم.

■ ■ ■ وقضى جلالته النهار والليل يقظاً وهو يسعى إلى خير مصر. ويدرس حالات الظلم فى البلاد كلها.

■ ■ ■ وقال جلالته: يجب أن تتخذ الإجراءات ضد حالات الظلم التى ترتكب فى البلاد.

تعالوا نقرأ هذا النص فى الفصل الثانى الذى يضم ١٠ تشريعات:

■ ■ ■ إذا كان المزارع قد ملأ سفينته بالثمار والجمعة وفى هذه الأثناء اغتصب أحد الموظفين أو أحد الجنود أو أى رجل آخر من أهل البلاد قاطبة سفينة تروء. ففى هذه الحالة يطبق القانون بجذع أنفه ونفيه إلى بلاد نارو. القنطرة

— الآن !

■ ■ لقد عينت قضاة ليحكموا بالعدل بين الناس، وعينت لكل منهم مرتبا يقبضه كاملا دون تأخير.. وتعاليمى لهم: لا تصاحبوا أحدا أيا كان.. ولا تأخذوا هدايا من أحد!!

.....

.....

قالوا : نحن مازلنا ننقب ونحضر.. وقد نعثر على المزيد .. الوقت أمامنا .. لم العجلة إذآ؟

قلت: ولكن خبيثة الكرنك عثروا داخلها سنة ١٩٠٣ على ١٩ ألف تماثيل وتميمة من بينها ثلاثة تماثيل رائعة لرمسيس الثانى مازالت تطوف المدن الأمريكية حتى الآن؟

أتكلم: وهل ستكتفون بالتماثيل الخمسة؟

قالوا: لقد خاف كهنة آمون على تماثيل المعبد أن يدمرها الفرس فى عام ٣٤١ قبل الميلاد.. الذين غزوا مصر القديمة وأخذوا يدمرون كل شىء لمدة ٨ سنوات.. كان الأمير المصرى خباشا خلالها يقود ثورة مصرية ضدهم حتى جاء الإسكندر الأكبر عام ٣٣٣ قبل الميلاد ليطردهم من مصر:

قلت: وخبيثة الدير البحرى؟

الرد للدكتور زاهى حواس عبر سلك تليفون من مدينة دالاس الأمريكية: إن أمريكا كلها مهتمة بأمر الخبيثة .. ولكنى أعتقد أن خبيثة الدير البحرى تأتى فى المرتبة الثانية بعد خبيثة الكرنك.. ولقد كشفت إحدى البرديات أن هناك سرقات يقوم بها عمدة شرق الأقصر فى البر الغربى.. وشكل وزير الملك فى الأسرة ٢١ بعد الرعامسة لجنة كشفت عن تورط عمدة القرنة فى السرقات فوضعوا ٣٣ مومياء داخل خبيثة الدير البحرى وهكذا أنقذنا موميאות رمسيس الثانى ومرنبتاح وسيتى الأول وتحتمس الثالث من الضياع:

إنك لو نبشت بأظافرك في أرض مصر لأخرجت أثراً فرعونيًا،، لقد أخرجنا
٢٠٪ من آثارنا. وما زال تحت التراب ٧٠٪ من تاريخ مصر!

قلت : هذا أفضل!

أعود أسأل: وهل هناك خبيثة منسية؟

الرد هنا للدكتور محمد الصغير:

إنها خبيثة معبد الطود على بعد ١٥ كيلو مترا جنوب الأقصر.. والتي عثر
عليها عالم الآثار الفرنسي بترون دي لاروك. وكان قوامها أربعة صناديق مليئة
بالعملات والحلى الذهبية والفضية..

ولقد كتبت جريدة الأهرام أيامها أن الملك فاروق ملك مصر قد ذهب إلى
هناك حيث تسلم في حفل كبير الصناديق الذهبية والفضية الأربعة!

سأل: وهل ستبقى التماثيل الخمسة هنا في البهو إلى الأبد؟

لتجواب لمادلين الملاح مديرة متحف الأقصر المتوتبة حماسا ودكاء:

إذا استقر الرقم عند خمسة تماثيل فسوف نخصص لها جناحا في متحف
لأقصر .. أما إذا زاد ووصل إلى المائة فأعتقد أن مكانه بهو الأعمدة في معبد
لأقصر في نفس مكان الكشف الكبير!

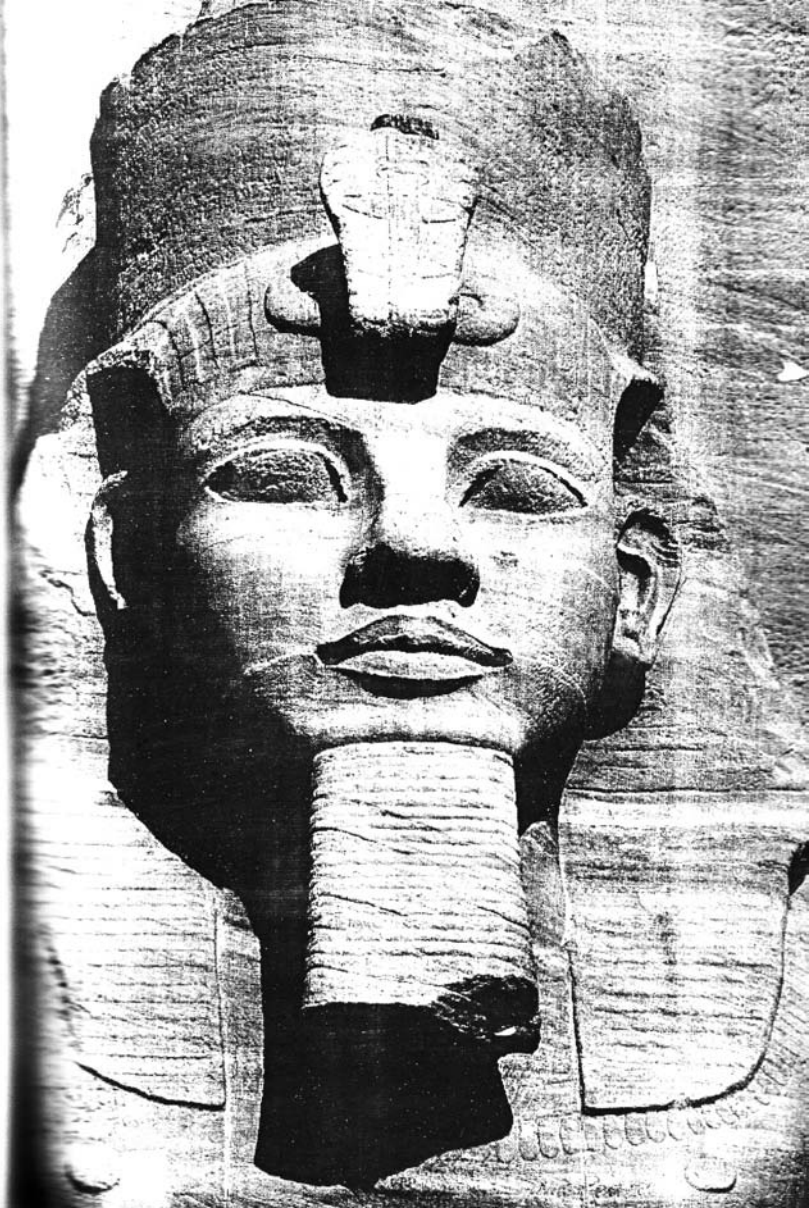
.....

.....

نسحب .. ولكن الملك «أمنحوتب الثالث الراقد تمثاله في الحفرة يذكرني
شرة من أصبعه بكلماته في كتاب «الحياة الاجتماعية في مصر القديمة»
سير فلنדרز بترى «أن من يعمل النهار كله .. لا يتمتع بلحظة متعة واحدة. كذلك
— يقضى يومه كله في اللعب والبهو. فإنه في آخر النهار لا يجد قوت يومه».

نه دستور الحياة اليومية في مصر قبل ٢٢ قرنًا من الزمان.. أأستم معى أن

عسى قد تغير كثيرًا؟ ■



الشمس تحتفل بيوم مولده!

خلال زيارتي الأخيرة لواشنطن.. قال لي وليم كالفين محرر شئون التاريخ الإنساني في مجلة تايم الأمريكية والحوار ساخن بيننا حول المواجهة بين حضارة الـ ٢٠٠ سنة الأمريكية وحضارة الـ ٧ آلاف سنة مصرية: ماذا بقى من حضارة مصر للعنبا كلها؟

قلت: أنت تعرف أن الحضارة خيط طويل يمسك المصريون بطرفه الأول وأنتم تمسكون بطرفه الأخير. ثم أن تراث مصر الحضارى يشهد بأننا صناعها ويشهد بأننا أول من علم الإنسان بالقلم.. وأول من أخرج الدنيا من الظلمات إلى النور.
قال: وماذا أيضاً؟

قلت: معجزات وأسرار والغاز ما زال العلم الذى تمسكون بآخر طرف له عاجزاً أمام طلاسماها فاغراً فاه أمام عظمتها!
قال: تقصد لغز الأهرامات وسر التحنيط..
قاطعته: بل ومعجزات تحدث حتى اليوم..

→ معبد رمسيس الثانى فى أبى سميل.

قال: كيف؟

قلت: قابلنى فى القاهرة قبل ٢١ فبراير أو قبل ٢١ أكتوبر!

قال: أى ٢١ فبراير أو أى ٢١ أكتوبر من أى سنة؟

قلت: أجل!

قال: ماذا تقصد من جوابك؟

قلت: معجزة علمية تحدث مرتين فى السنة.. يعجز كل ما لديكم من تقدم علمى ومن عقول إلكترونية وأجهزة كمبيوتر عن حسابها بالدقة والبراعة الهندسية التى صنعها بها المصريون قبل ٢ آلاف سنة!

فى القاهرة انتظرتة مرتين.. مرة يوم ٢١ فبراير من العام الماضى ومرة يوم ٢١ أكتوبر ، ولكنه لم يحضر فى المرتين.. وإن كان قد أرسل نيابة عنه صحفية أمريكية اسمها كاترين فلاينج.. شاهدت معى المعجزة مرة واحدة.

والمعجزة التى تحدث مرتين كل سنة.. صاحبها أعظم ملوك مصر على الإطلاق الذى جلس على كرسى الحكم ٦٧ سنة بحالها.. عاش حتى تجاوز التسعين من عمره ولا يعرف أحد على وجه التحديد عدد زوجاته الرسميات وغير الرسميات، وإن كان قد ترك للدنيا من نسله ١٠٠ ولد.. أقصد ١٠٠ ملك وأمير.. و ٥٠ ملكة وأميرة!

إنه فرعون مصر العظيم «زوسر معات رع» الذى نعرفه باسم رمسيس الثانى! ومكان المعجزة التى تحدث مرتين كل سنة وتكررت حتى كتابة هذه السطور ٦٦٤٢ مرات.. علم، مدار ٢٢ قرنا من الزمان.. وسوف تشاهدها الدنيا غداً فى أبى سمبل على بعد ٢٨٠ كيلو متراً، جنوب أسوان و ٢٧ كيلو متراً شمال حدود السودان!

زمان كان الأجداد العظام يذهبون إلى أبى سمبل فوق مراكب تدفع رياح الشمال شراعها على صفحة النيل العظيم فى نحو شهر من الزمن.. أما اليوم فإن الطائرة تهبط بك إليها بعد ٩٠ دقيقة لا أكثر...

ها نحن فى أبى سمبل..

ها نحن أمام أكبر معبد منحوت في الصخر على وجه الأرض.. بالحساب
هندسة نجد أن ارتفاعه عن سطح الأرض ٢٠ متراً، وعرضه ٢٦ متراً، ويمتد
عربياً في الصخور ٦٠ متراً أخرى..

من هؤلاء الذين يجلسون في مدخل المعبد؟.. تسأل مرافقتي الأمريكية..
قول: إنهم أربعة تماثيل عملاقة تمثل فرعون مصر العظيم رمسيس الثاني
حتمًا مستقبلًا المتعبدين والمصلين والكهنة والعامّة... لا تملك إلا أن ترفع عينيك
تصل إلى قمة التماثيل الأربعة البالغة الروعة التي نحتت في بطن الجبل.. على
ارتفاع ٢٠ متراً... وكان رمسيس الثاني قد تجسد فيها كلها وعلى وجهه تعبير
مض يجمع بين شموخ الفراعين وأنفة الآلهة وتواضع أهل الحكمة وتسامح
شرا!

.....

.....

أركب مع الصحفية الأمريكية آلة الزمن لنضرب معاً في أعماق التاريخ البعيد،
نضبط ساعة آلة الزمن. والدهشة ترسم علامة استفهام فوق وجه بنت الـ ٢٠٠
سنة حضارة. على عام ١٢٩٩ قبل الميلاد!

■ المكان: نفس المكان الذي كنا نقف فيه، ولكن إلى الوراء أكثر من ٢٣٠٠

سنة!!

■ المشهد: المعبد الهائل اختفى من الصورة تماماً.. النيل تكاد تلمس مياهه
فدأبنا.. نصعد هضبة عالية.. أنا في المقدمة وكاترين تتبعتني كظلي والخوف
عزج بالدهشة أخرس لسانها عن الكلام أو حتى الهمس... من هؤلاء برب
سماء؟.. تنطق الأمريكية لأول مرة.. وأضع نظارتى الطبية فوق عيني... ما

سأنا!

إنه موكب ملكي مهيب... هذا العملاق الأسمر الجالس فوق المحفة الملكية إنه
رمسيس الثاني نفسه... ومن تلك الرائعة الحسن التي إلى جواره؟... إنها

نفرتارى ملكة مصر وأجمل جميلات عصرها... يا سبحان الله... تصيح الأمريكية: ما هذا الجمال الرائع... وتلفتت إلى في دهشة وقد زال عنها الخوف والرهبة: ماذا جرى للمرأة المصرية... الآن... أين ذهب جمالها؟

قلت: إنه الدهر وهموم ٢ آلاف سنة... هو الذى صنع بها ما صنع! أمسك بيدها وأنا أهمس فى أذنها: تعالى نقترب من الموكب الملكى الذى توقف غير بعيد عنا... ولكن حذار أن يشاهدنا أحد من الحراس الأشداء الغلاظ... لنسمع ما يدور بين الملك والملكة!

قال فرعون مصر: لقد أمرت المهندسين والكهنة والفنانين والنحاتين بأن يقيموا لنا هنا فى هذا المكان معبداً كبيراً... ماذا تقولين يا مليكتى نفرتارى؟

تتظر إليه فى دلال: معبد لك وحدك أم معبد لنا معاً؟

قال رمسيس:لى... ومعبد لك إلى جواره..

نفرتارى: وهل ستضع تماثيل لى إلى جوارك فى معبدك الكبير؟

رمسيس: سوف أضع على مدخل المعبد أربعة تماثيل ضخمة لى..

نفرتارى تقاطعه بدلال أكثر: وأنا؟

رمسيس: ستكوينين إلى جانبى فى معبدى وساكون معك فى معبدك أيضاً!

ويصمت فرعون مصر العظيم لحظة وأشعة من شمس الشتاء الدافئة تضىء وجهه الملكى... تضع نفرتارى يدها فوق عينيها لتحجب عنهما ضوء الشمس... يشير رمسيس إلى كبير المهندسين الواقف غير بعيد ٥٠ يهرول الأخير إليه.. يسأله الفرعون العظيم: أرى أن تشرح لنا كيف ستقيم المعبد الكبير الذى سيضمنا معا أنا ونفرتارى.. وماذا ستسجل فوق جدرانها؟

قال المهندس المصرى الذى لا نعرف اسمه: سوف أسجل انتصار مصر على جيوش الحيثيين.. وسوف أصور الملك موتلى ملكهم يقف بعيداً... بينما أنت ابن الإله آمون واقف وسط جنودك تطلق السهام الكثيرة وجنود الإله آمون الذين نزلوا من السماء يصنعون معك النصر للإله ولك ولمصر..

ابتسامه خفيفة تظلل وجه الفرعون وهو يضع يده فوق كتف مليكته الجميلة
ينظر إلى كبير المهندسين قائلاً: وماذا عن قرص الشمس علامة الإله آمون
الذى سيغمرنى بأشعة الحياة والقوة والمجد والخلود مرة يوم عيد ميلادى ومرة
يوم جلوسى على عرش مصر؟

قال المهندس صانع المعجزة: أجل يا مولاي ورب نعمتى... لقد اخترنا هذا
التوقع بالذات من أرض مصر كلها... حيث وجدنا بعد حسابات جغرافية وفلكية
وشمسية بالغة التعقيد... إنه فى مكان ما هنا تدخل أشعة الشمس الإلهية مرتين
كل سنة... مرة يوم مولدك ومرة يوم عيد جلوسك على العرش!
وقال رمسيس: وأين هذه البقعة؟

يشير كبير المهندسين بأصبعه إلى نقطة فوق الصخر تبعد نحو ٦٠ متراً إلى
الداخل.

ويقول: إنها هناك حيث نقيم قدس الأقداس!

تتظر نفرتارى إلى زوجها فى مكر حريمى عمره أكثر من ٢ آلاف سنة: وأنا..
لا تدخل أشعة الشمس إلى معبدى يوم ميلادى ويوم عيد زواجنا؟
يسكت الفرعون لحظة ويبدو أنه فوجئ بالسؤال... ثم يشير إلى كبير
المهندسين أمراً: هل سمعت ما قالتها الملكة... افعل كل ما أمرت به؟

ابتسامه الرضا تملأ وجه نفرتارى وهى تصعد إلى المركبة الملكية... بينما
تخلف رمسيس الثانى للحظات. كانت كافية لكى يقول فيها همسا لكبير
المهندسين: "انس تماماً كل كلمة قالتها الملكة... افاهم أنت؟"

كادت الصحفية الأمريكية تكشف عن وجودنا عندما لم تتمالك نفسها وهى
تخفق على كلام الملك لكبير المهندسين "هكذا الرجال فى كل زمان وفى كل مكان..
لا يتغيرون أبداً"

.....

.....

ونحن نركب آلة الزمن سألتنى الصحفية الأمريكية: ما حكاية شعاع الشمس الذى أراد الملك رمسيس الثانى أن يدخل قدس الأقداس فى معبده مرة يوم عيد ميلاده ومرة يوم عيد جلوسه على عرش مصر، وحرّم زوجته نفرتارى من هذا المجد العظيم؟

قلت: إنها المعجزة التى جثت إلى هنا من أجلها؟

قالت: حيرتني والله يا حفيد رمسيس الثانى؟

قلت: صبرا سيدتى سوف تشاهدين كل شىء بعينيك... ولكن ألا تريدان أن نشاهد قبل أن نعود من قبل التاريخ البعيد ماذا جرى يوم مولد هذا الفرعون العظيم؟

قالت فى لهفة: ياريت!

قلت وأنا أضبط ساعة آلة الزمان على يوم ٢٢ فبراير فى عام ١٢١٥ قبل الميلاد... لا شىء مستحيل تحت سماء مصر....

تهبط بنا المركبة الزمنية داخل بهو قصر الملك سيتى الأول... فى طيبة . الأقصر الآن . عاصمة الديار المصرية...

ماهذا الهرج الذى يسود القصر الكبير... لا نستطيع أن نسأل أحداً... فلن يفهمنا أحد... طابور من القابلات . الدايات . يقتحم المشهد... وأصوات آتية من حجرة الملكة تويّا زوجة الملك سيتى الأول... تنصت كاترين جيداً ثم تعلن: هذه حالة ولادة أقسم على هذا!... إن القصر ينتظر ولى العهد . هذا هو سيتى الأول يهرول ناحية غرفة الملكة التى كفت عن الصراخ الآن... فوجئ الملك بميلاد الطفل يحمله بين ذراعيه يقبله ثم يلتفت إلى زوجته الملكة فى حنان: كيف حالك مليكتى؟

ترد فى ضعف: حمداً للإله آمون رع!

ينظر الملك إلى كبيرة الوصيفات: كيف كان الوضع؟

قالت على الفور: إنك لن تصدقنى يا مولاي فلقد أشرفت الآلهة بنفسها على
ولادة أميرنا الجديد!

ودهش الملك وقال: كيف حدث هذا؟

ردت الوصيصة: لقد سمع الإله رع صوت سيدتى فأرسل إليها كلا من الآلهات
إيزيس ونفتيس ومسختن آلهة الولادة وأمرهن بأن يحضرن ولادة أميرنا الجديد
نذى سوف يتولى حكم هذه البلاد... ثم قال لهن: "إن هذا الطفل سوف يبني
معابدكن ويقيم دوركن ويمد موائدكن بالطعام والشراب"... فحضرن مسرعات
ودخلن على الملكة وهى تتألم فجلست إيزيس من أمامها ونفتيس من خلفها
وأسرعت مسختن فى عملية الوضع وقالت إيزيس: أخرج أيها الطفل وليكن
اسمك أوسر معات رع أى رع العادل القوى... فولد الطفل فى الحال على يديها!

■ ■ هذا المشهد التاريخى طبق الأصل مما سجله بالحرف الواحد الأستاذ
جمال سالم الأمين العام بالمتحف المصرى قبل أكثر من نصف قرن.

.....

.....

نعود عبر آلة الزمن إلى أيامنا التى نعيشها الآن..

الساعة فى معصم كاترين تشير عقاربها إلى السادسة صباحاً... باق من
الزمن ٢٥ دقيقة وتحديث المعجزة...

نحن الآن على باب المعبد الكبير... أضواء ما قبل الشروق تسمح ظلمة ليل
طويل من فوق الوجوه الأربعة لرمسيس الثانى، الذى ينتظر تحية الشمس له فى
يوم ميلاده... يطلب منا عاطف رضوان مفتش الآثار أيامها أن ندخل إلى بهو
المعبد...

من أين جاء هؤلاء الناس؟

يرد العميد جمال أمين رئيس مدينة أبى سمبل أيامها: "من كل أنحاء العالم
ومن كل الجنسيات يحتفلون بهذا الحدث التاريخى الكبير".

هدأت مواكب الفراعنة بأعلامهم وبيارقهم وموسيقاهم... واستعدت جموع
الحجاج القادمين من كل بقاع الدنيا للمشهد العظيم!

همست فى أذن الأمريكية بنت حضارة الـ ٢٠٠ سنة: هذا المعبد لولا إسراع
دول العالم كله من خلال منظمة اليونسكو بإنقاذه لكان الآن راقداً تحت مياه هذه
البحيرة التى تحيط بنا!

قالت فى دهشة: كيف؟

قلت: لقد رفعنا المعبد قبل أن يفرق تحت مياه بحيرة السد العالى إلى هذا
المكان على ارتفاع ٦٠ متراً فى واحدة من أكبر المعجزات الهندسية الحديثة فى
التاريخ البشرى...

قالت: وهل شارك الأمريكيون فى هذه المعجزة؟

أردت أن أسكت من تتصور أن الأمريكيين هم وحدهم صناع المعجزات على
الأرض فقلت لها: الأمريكيون مع كل شعوب الدنيا شاركوا بأموالهم... ولكن
الألمان هم الذين قاموا بعلمهم برفع المعبد..!

الكل عيونه معلقة بباب المعبد... ويعقارب ساعته... مع التحام عقرب الدقائق
بالرقم خمسة فى كل الساعات معلناً أن الساعة الآن السادسة وخمس وعشرون
دقيقة يتسلل فى نعومة ورفق شعاع واحد يهبط فوق وجه الملك يعانقه يقبله...
فيض من نور يملأ قسما وجه تمثال رمسيس الثانى داخل حجرتة فى قدس
الأقداس فى قلب المعبد المهيّب.. إحساس من الرهبة والخوف... رعشة خفيفة
تهز القلب.. كأن الشعاع قد أمسك بك وهزك من أعماقك لثوان سحرية
غامرة... أى سحر... وأى غموض يلف كيائك كله وأنت تعيش لحظات حدوث
المعجزة... لا تملك وقتها إلا أن تصيح من فرط الإبداع: الله أكبر!

حتى الأمريكية بنت حضارة الـ ٢٠٠ سنة صاحت مع الحاضرين: الله أكبر
ولكن بلهجة "خوجاتى" ورسمت بسمة خفيفة على كل الشفاه وأيقظت منا
إحساس الرهبة والخوف والعظمة بأننا مصريون حتى النخاع!

شعاع الشمس يتكاثر بسرعة مكوناً حزمة من الضوء تضيء وجوه التماثيل لـبـيعة داخل قدس الأقداس وهى تماثيل الآلهة: حور أخنو إله منف وبتاح إله هـيـة ورمسيس الثانى نفسه مع الإله آمون إله الشمس.

وإحساس بالزهو بالكبرياء يملؤنى كالبالون أنظر إلى مرافقتى وأهمس بشعور أكثر منه كلاماً: أليس غريباً حقاً ألا تتغير حسابات الكهان والمهندسين والفنانين رجال الفلك المصريين عبر مشوار من الزمن طوله أكثر من ٢ آلاف سنة!

سوف تدخل الشمس مرة أخرى إلى معبد رمسيس الثانى تحتفل بعيد جلوس الصرعون العظيم.. قال لى اللواء قدرى عثمان محافظ أسوان يومها: إنه سيكون احتفالاً عالمياً هذه المرة ستحضره الشخصيات العالمية والسياح من كل أنحاء العالم... سوف ينقله القمر الصناعى إلى العالم كله ولكن فى عيد جلوسه يوم ٢٢ أكتوبر القادم.

عندما علمت الصحفية الأمريكية بالخبر قالت: وهل سنشاهد الاحتفال فى أمريكا قلت لها: ليس أمريكا وحدها ولكن كل دول العالم أجمع! سكت لحظة وقالت: أفضل أن أبقى لأشاهده بنفسى! ■



لوغاريتم عمره ثلاثة آلاف عام!

لا شيء فى هذه الدنيا يمكن أن نقول عنه إنه مؤكد وقاطع ولا جدال فيه.. إلا كلام الله.. وكلام الله هو الحق وهو الصدق وهو العدل..

والله هو الشاهد الحى لكل ما جرى فى الدنيا منذ بداية الخليقة وحتى قيام الساعة.. وإذا كان كل شهود العيان من الأنبياء والبشر الذين عاشوا وقائع اليوم نشهود يوم أن انشق البحر وغرق فرعون وجنوده.. قد رحلوا عن الدنيا ولم يتركوا خلفهم ولا حتى قصاصة ورق واحدة تكشف عن سر فرعون الخروج..

وإذا لم تكشف لنا الأيام أو حتى القرون القادمة عن لوحة أو بردية أو تمثال وحتى مومياء تحدثنا عن لغز هذا الفرعون الغامض..

فإنه - وصدقاً - لن نعرف حلاً لهذا اللغز إلا يوم أن يرث الله الأرض ومن

عليها!

→ سيدنا موسى عليه السلام وليداً كما تخيله الرسام تحمله جارية من الماء وتقدمه إلى زوجة الفرعون.

فإنه - حقاً وصدقاً - مهما كشف العلماء عن سواعدهم وانتحروا بحثاً وتقيباً
فإننا لن نحصل يوماً على مفتاح اللغز!

وليس هذا إغراقاً فى بحر من التشاؤم.. ولكنه - على الأقل - هو الحقيقة الآن
بعد أن وصلت قافلة العلم والتاريخ إلى باب موصد بالضربة والمفتاح.. وكل ما
يفعله الباحثون أمام الباب الحديدى الذى يطاول الجبل ارتفاعاً.. هو تقليب
أوراق الكتب القديمة وغرس العيون فى المخطوطات التى أصفر منها الوجه بعد
أن بلغت من العمر عتياً.

وكل فريق منهم يؤكد أنه عثر على سر اللغز.. ولكنهم يكتشفون فى الصباح أن
ما عثروا عليه مجرد أضغاث أحلام!

لقد سافر فريق من العلماء فى رحلة علمية أثرية طويلة تابعوا خلالها.. رحلة
الخروج من تراب مصر وحتى وصلوا إلى ما سادا وسدوم.. وذهبوا إلى دمشق
والقدس.. ودخلوا سيناء.. وأمضوا شهوراً طويلاً بين جبالها ووديانها المقدسة..
وعادوا وفى جعبتهم وعقولهم اكتشافات مثيرة..

من يدري.. قد تحدث معجزة - وإن كان عصر المعجزات قد ولى وذهب -
وتمسك الدنيا بطرف خيط يقودها إلى حل هذا اللوغاريتم التاريخى الذى بلغ
أرذل العمر!

فى أول دراسة مقارنة لما جاء فى كتاب الله وما قاله المؤرخون العظام
والأثريون الذين أفنوا عمرهم انحناء على الرمال بحثاً عن الحقيقة - يؤكد
الباحث المدقق محمد يوسف خليفة - أن ما جاء فى القرآن الكريم الذى أنزله
الله قبل أكثر من ١٤ قرناً من الزمان يطابق تماماً ما قاله المؤرخ المعروف جيمس
هنرى بريستد فى موسوعته «تاريخ مصر منذ أقدم العصور» عن فرعون موسى
وحالة مصر السياسية والاجتماعية والدينية فى عهده، وهى مشاهد ينفرد
القرآن بها، ولم تشر إليها التوراة أبداً رغم ما يزعم الزاعمون من أن التوراة هى
المرجع الوحيد للقرآن الكريم!

كل ما قالته التوراة عن فرعون موسى ما جاء فى سفر الخروج: «وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات وتهد بنو إسرائيل من العبودية»

ولكن القرآن الكريم يختلف مع التوراة هنا مؤكداً أن فرعون الاضطهاد هو فرعون المجادلة هو فرعون الفرق... بل إن جميع أوصافه التى انفرد بها القرآن الكريم تنطبق على رمسيس الثانى.. والكلام هنا بالأدلة والبراهين:

●● يروى القرآن الكريم عن فرعون موسى أنه ادعى الألوهية ويعتبر نفسه كبير الآلهة التى كانت تعبد معه فى مصر فيقول عنه فى سورة النازعات (فحشر قنادى فقال أنا ربكم الأعلى) ويروى عنه فى سورة القصص (وقال فرعونون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى) ويقول المؤرخ جيمس هنرى بريستد فى كتابه «تاريخ مصر» منذ أقدم العصور عن رمسيس الثانى (وأول ما ظهر هذا الاعتقاد - عبادة فرعون - كان فى أيام المملكة الوسطى، لكنه أصبح الآن عاماً ويصف القرآن الكريم فرعون موسى بالتعالى والتفاخر والتعظيم فيروى فى سورة الزخرف: (ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى أفلا تبصرون؟)

●● ويقول المؤرخ هنرى بريستد عن رمسيس الثانى: (ومما لا جدال فيه بأنه كان صاحب بنايات شاهقة وهذه الصفة أرفها القرآن الكريم مع صفة قوم ثمود الذين وصفهم بأنهم كانوا بارعين فى نحت الجبال واستخدام أحجارها الضخمة فى بناياتهم العالية فيروى فى سورة الفجر: «وتمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد» (والأوتاد هى الجبال أو ما يماثلها من شاهق البنائيات وهى لفنة عجيبة من أعاجيب القرآن الكريم.

●● ويقول هنرى بريستد عن رمسيس الثانى: (ويدهى أن العمارات الشامخة التى شيدها رمسيس الثانى تطلبت مجهودات عظيمة وعمالاً كثيرين..)

●● ويروى القرآن الكريم عن فرعون موسى بأنه كان مسرفاً مبدداً للأموال فيقول فى سورة الدخان: (ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين من فرعون أنه كان عالياً من المسرفين).

● ويروى عنه أيضاً فى سورة يونس: «إن فرعون لعال فى الأرض وأنه لمن المسرفين»

● ويروى عنه أنه قال لموسى وهارون: أنا ريكم الأعلى!

● ويقول هنرى بريستد عن رمسيس الثانى: وليلاحظ أن النفقات الباهظة التى أنفقها رمسيس لم تقتصر على نصب المسلات وإقامة المعابد بل شملت أيضاً الأوقاف الكثيرة التى حبسها على مستخدمى تلك المعابد.

وقد قال جلالته عن معبد العرابة إنه شديد من الحجر الجيرى الجميل وجعل أفاريز أبوابه من الجرانيت وأبوابه من النحاس الممزوج بخليط من الذهب والفضة، وملا المعبد بكل ما يحتاج إليه من مآكل وأغنام وإوز وخبز ونبيد وفاكهة.

ويروى القرآن الكريم عن حالة مصر الفرعونية فى عهد موسى أنها كانت فى منتهى الرخاء وأنها كانت من أكبر دول الأرض، إن لم تكن أكبرها على الإطلاق، فيقول فى سورة الدخان: «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين»

● يقول الله تعالى فى سورة غافر على لسان مصرى آمن بموسى ودافع عنه: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (صدق الله العظيم) (سورة غافر: ٢٩)

والتعليق: إن المصريين فى عهد موسى كانوا ظاهرين فى الأرض وهم كذلك فى عهد رمسيس.

● ويقول المؤرخ هنرى بريستد عن حالة مصر الاجتماعية فى عهد رمسيس الثانى: «أن مائدة فرعون حوت أندر الزينات وأدوات الترف من قبرص وحيفا وأشور وبابل وبلاد ما بين النهرين و كان فى حوزته كثير من العجلات الثمينة وعدد وافر من الأسلحة ذات الرعوس الذهبية من صناعة فلسطين وسوريا وقد حوت الاسطبلات جياد الخيل الواردة من بابل وأحسن الغنم الواردة من مملكة

تحيشين وصار لكل وجيه مصرى سفينة شراعية بالبحر الأبيض المتوسط تحضره حاجاته من آسيا».

● ويروى القرآن الكريم أن جنة فرعون موسى قد لفظها البحر وانتشلها مصريون فيقول في سورة يونس مخاطباً فرعون في لحظة غرقه: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِدُنْكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ (صدق الله العظيم) (سورة يونس: ٩٢)

وهناك رأى معاصر يقول إن فرعون موسى لم يموت غريقاً بدليل القرآن تكريم الذى يقول له (فاليوم ننجيك بيدنك) والنجاة تشمل دائماً الإنسان الحى، ولا يمكن وصف انتشال جثة الغريق بأنه نجاة فالنجاة من الغرق معناها نجاة إنسان حياً لا ميتاً..

وفى ظل هذا الرأى تكون نجاة فرعون إذلالاً كبيراً له وهو يرى جميع جيوشه تغرق فى البحر أمام عينيه، ثم يرجع لعاصمة ملكه فريداً ذليلاً ليموت مهزوماً.

أما إذا أخذنا برأى لفظ البحر لجنثته، كما يرى معظم المفسرين للقرآن تكريم، فإنه من المعروف أن جثة رمسيس الثانى موجودة ومعرضة ضمن جثث قبر الفرانة بالمتحف المصرى.

● وقد رحل رمسيس الثانى عن الدنيا بعد أن عاش ثلاثة وتسعين عاماً بحكم خلالها سبعة وستين عاماً كما ذكر العلامة بريستد وغيره من المؤرخين: هى أطول فترة حكمها ملك فى التاريخ من ١٢٩٢ قبل الميلاد إلى ١٢٢٥ قبل الميلاد، وهى فترة كفيلة بأن يولد ويتربى فى بيته النبى موسى ثم يذهب إليه: إطلاق بنى إسرائيل فيعايره، هذا كما ذكر القرآن الكريم فى سورة الشعراء: قال ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين).

كل ذلك يؤكد بصفة قاطعة أن رمسيس الثانى هو فرعون موسى ويبرهن عن سماوية القرآن الكريم فمن أين لمحمد النبى العربى هذه المعلومات الغريبة عن مصر الفرعونية فى عهد موسى التى لم تشر إليها توراة اليهود؟

● ومن أين لمحمد النبى العربى هذه التفاصيل الدقيقة عن ذلك الفرعون ضل حكمه وبذخه وكثرة بناياته وترفه واستبداده وادعائه الألوهية وملكه عريض وجشعه الشديد مما لم تذكر طرفاً منه توراة اليهود؟

●● ثم يجيء القرن التاسع عشر الميلادي فيؤكد خلاله الأثريون هذه الأوصاف بالكامل على أحد فراعنة مصر الأقدمين وهو رمسيس الثاني.

حقاً أنه وحى إلهي ومن أصدق من الله قولاً.

●● أما الذين يتشبثون بالقول القائل بأن مرنبتاح بن رمسيس هو فرعون موسى فنقدم إليهم ما سجله المؤرخ بريستد من أن مرنبتاح المذكور قد قام في السنة الثالثة من حكمه لمصر بحملة لتأديب العصاة في المستعمرات المصرية في آسيا ومنهم بنو إسرائيل في فلسطين مما سجله مرنبتاح على آثاره التي جاء فيها أول ذكر لبنى إسرائيل على الآثار المصرية حيث يقول بريستد بالحرف الواحد:

(وفي السنة الثالثة من حكم مرنبتاح حوالي سنة ١٢٢٢ قبل الميلاد هبت ثورة عارمة بمستعمرات مصر الآسيوية، واشترك في هذه الثورة قبائل بنى إسرائيل وأهالي غربي سوريا وفلسطين التي كانت خاضعة لمصر ولقد كانت الصدمة التي وجهها مرنبتاح للعصاة شديدة تمكن خلالها من إخضاع فلسطين وكانت قبائل بنى إسرائيل ضمن المعاقبين. والمعروف أن هذه القبائل قد استوطنت فلسطين كما المحنا سابقاً، ولا بد أن هذه القبائل قد اتحدت وكونت قوماً عرفوا باسم إسرائيل أيام مرنبتاح

كما سجل بريستد وغيره من المؤرخين أن فترة حكم مرنبتاح لمصر هي عشر سنوات من ١٢٢٥ قبل الميلاد إلى سنة ١٢١٥ قبل الميلاد وهي فترة لا يمكن أن تستوعب الحوادث الجسام التي نسبها القرآن الكريم لفرعون موسى، ومن هنا يتبين لنا من استقراء حوادث التاريخ العظمى وآيات القرآن الكريم مطابقتها في قصة فرعون وموسى وصدق الله العظيم في وصفه للقرآن الكريم بقوله: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»

.....

.....

وإذا كانت قصة سيدنا يوسف من أجمل قصص القرآن الكريم، فإن قصة سيدنا موسى هي أكثرها إثارة ويكفي ما فيها من معجزات إلهية لم تتكرر أبداً عبر التاريخ الطويل لرحلة الأنبياء على الأرض..

لقد قام فريق من العلماء بإعادة مرحلة الخروج مرة أخرى بداية من البحيرات المرة وحتى ما سادا وسدوم في شمال فلسطين والعلماء هم: فلتس جلوك وجوردون جاسكيل وبروفسور روبرتسون وحددوا كل المواقع التي تحركت فيها قافلة الخروج قبل ٢٢ قرناً، وأعدوا دليلاً كاملاً يتضمن يوميات الرحلة الطويلة التي امتدت عشرة أيام عندما وصل القوم إلى الوادي المقدس الذي هو وادي ستر بعد مسيرة يوم واحد من جبل حورب...

ومن هنا يمكن القول إن جبل موسى هو الذي كلم موسى ربه من فوقه..

ولقد علق أحد كبار أخبار اليهود على هذا الكشف المثير بقوله:

إن ما اكتشفه العالم الأمريكى صحيح، ولكن ماذا فعل واليهود يحجون من القرن السابع الميلادى وحتى اليوم إلى جبل موسى ويصعدون ٢٨٠٠ درجة للوصول إلى القمة التي يعتقدون أن الله كلم موسى من فوقها، وتلقى منها الرسالة والوصايا العشر حتى أصبح هذا الجبل مثل الكعبة عند المسلمين... وإن إعلان هذه الحقائق اليوم سوف يخيب آمال كل يهود العالم!

والآن ما الذي أعادت به آخر قافلة علمية تابعت رحلة الخروج موقعاً بعد موقع ونهبت إلى سيناء ودمشق وفلسطين؟

هل وصلنا حقاً إلى حل لهذا اللوغاريتم الصعب؟

●● ولكي نتناول هذا الموضوع بطريقة علمية نؤكد أن المنظر الوحيد الموجود على الآثار المصرية الذي يظهر قوم فلسطين هو ذلك المنظر الذي يرجع إلى عهد سوسرت الثاني - ١٨٩٨ قبل الميلاد - أن جاء في عهده قبيلة من الكنعانيين صور حالها على حوائط قبر حتوم حوتب حاكم إقليم معروف باسم إقليم الوعل في عصر الوسطى..

وهؤلاء الكنعانيون عددهم ٢٧ فرداً ملابسهم زاهية ملونة ولحاهم مرسله ويحملون معهم محاصيل أثبت أنها من فلسطين مثل دهن الزينة، ويتقدم هؤلاء القوم رجل مكتوب اسمه باللغة الهيروغليفية (أبشا)... وقد حاول بعض المؤرخين أن يشبهوا هذا الاسم باسم إبراهيم ويحاولوا أن يшиروا إلى أن اسم (أبشا) هو اسم سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وفى الحقيقة فإن اسم هذا الزعيم هو اسم عبرى، ولكن لا نستطيع أن نقطع بصلة سيدنا إبراهيم بهذا الاسم..

كل الأدلة المكتوبة تؤكد أن فرعون موسى قد جاء قبل الملك مرنبتاح وهذا هو الدليل المكتوب الوحيد الموجود فى الأثر الذى يحمل اسم إسرائيل ويعرف باسم لوح إسرائيل، وهو موجود حالياً فى المتحف المصرى، وقد عثر عليه داخل المعبد الجنائزى للملك امنحوتب الثالث الذى يقع خلف تمثالى ممنون بالبر الغربى بالأقصر، ولكن هذا الأثر يرجع إلى عصر الفرعون مرنبتاح بن رمسيس الثانى الذى تولى الحكم وهو شيخ طاعن فى السن.

وقد حدث أن هاجم مصر بعد تولى مرنبتاح الحكم مباشرة فى عام ١٢٢٣ قبل الميلاد شعوب البحر يتزعمهم أمير لىبى كان يحقد على مصر وملوكها، ولكن مرنبتاح تصدى لهؤلاء المعتدين وهزمهم شر هزيمة وطردهم من البلاد.

وفر الأمير اللىبى هارباً مخلفاً وراءه الخزى والعار حتى وصفوه بأن ريشته وقفت على الأرض وهو يضر هارباً من هيبة وقوة الفرعون!

وحدث أن كتب شاعر مصرى قديم قصيدة مدح فى مرنبتاح بعد أن طرد هؤلاء القوم.. أشار إلى أن مصر تنعم بالخير على يد مرنبتاح بعد أن طرد الغزاة. وأن مصر تعيش فى سلام مع مملكة خيتا، وذلك منذ معاهدة السلام التى أبرمها أبوه رمسيس الثانى مع ملكها، ثم أشار الشاعر إلى أن شعب إسرائيل لم يعد لهم وجود. وترجمة هذا النص بأن ذريتهم انتهت من مصر بمعنى أنهم غير موجودين فى مصر فى عصر مرنبتاح..

وقد كتب الشاعر هذه الأبيات تمجيدياً في حياة مرنبتاح، أى أن شعب إسرائيل قد خرج من مصر قبل مرنبتاح، خاصة وأن القرآن الكريم قد أشار إلى أن الفرعون قد غرق، وأن الله سبحانه وتعالى نجاه ببذنه.

إذاً لا بد أن نستبعد أن مرنبتاح هو فرعون موسى، خاصة لوجود نص مكتوب على اللوحة التى تعرف بلوحة إسرائيل والتى أيدنا ما فيها بما جاء ذكره فى القرآن الكريم.

كما أن هناك حقيقةً أخرى تشير إلى أن فرعون موسى من الدولة الحديثة وليس قبلها، ونحن هنا أيضاً نعتمد على القرآن الكريم فى تأييد هذه الحجة... فسوف نجد أن القرآن الكريم قد ذكر فى قصة سيدنا موسى كلمة فرعون..

أما فى قصة سيدنا يوسف فلم يشر إلى كلمة فرعون إطلاقاً..

ولتوضيح ذلك أن كلمة «فرعون» عام ١٥٧٠ قبل الميلاد تقريباً، أما ما قبل ذلك منذ الأسرة الأولى حتى الأسرة ١٧ فيعرفون باسم الملوك.

وقد اتفق علماء آثار سوريا وفلسطين حالياً على أن فرعون موسى هو رمسيس الثانى، وذلك للآثار التى تركها اليهود بعد رحيلهم من مصر، وتحليل هذه الاكتشافات بالكربون ١٤ ودراستها أنها تعود إلى فترة نحو ١٢٢٢ ق.م.

وقد أيد ذلك العالم الأثرى الأمريكى جيمس برتشارد، وأيضاً الدكتور جيمس سور، وهما من المتخصصين فى تلك الفترة بل وحددوا الأماكن التى استقر فيها موسى وقومه بعد خروجهم من مصر.

وفى القرآن الكريم ما يثبت أن الفرعون الذى ربه موسى عليه السلام هو ذلك الفرعون الذى خرج موسى وقومه فى عهده.

وليس صحيحاً بأن هناك فرعون للفرق «فرعون للخروج».

فقد حكم رمسيس الثانى مصر فى سن الثلاثين شاب قوى صغير متزوج ولكن لم ينجب بعد أطفالاً، لذلك فقد طلبت زوجة الفرعون أن تأخذ هذا الطفل الذى عثر عليه فى اليم، وبعد أن كبر موسى عليه السلام وضرب المصرى حتى الموت

وهرب إلى فلسطين ثم تزوج هناك وفى أثناء عودته، تحدث معه الله سبحانه وتعالى وأشار إليه أن يذهب إلى فرعون لأنه طغى.

وكان واضحاً من رد موسى عليه السلام أنه يخاف أن يذهب إلى مصر، لأن فرعون سوف يقتص منه لأنه قتل مصرياً بأن لكزه بيده، لذلك فقد طلب أخاه هارون لكى يذهب معه... وهذا يؤكد بأن الفرعون الذى حدث فى عهده مصرع المصرى مازال يعيش فى مصر ويحكم البلاد لأنه إذا حدث ومات الفرعون وجاء فرعون آخر فسوف ينسى ما حدث فى عهد سلفه.

ومما لاشك فيه فإن الكلمة الأخيرة فى هذا الموضوع لن تأتى إلا بالعثور على نص أثرى مكتوب يوضح لنا اسم فرعون موسى.

.....

.....

هل وجدنا مفتاح اللغز؟

أم أن المفتاح مازال مفقوداً مع رفاقه من مفاتيح الألفاظ المحيرة التى لم نعثر عليها حتى الآن؟

ولسوف يظل تاريخ مصر يحمل أستار الغموض كله فى صفحات كثيرة منه.. ويحمل علامات استفهام كبيرة فوق صفحات كثيرة منه.. ويحمل مغالطات وافتراءات لمؤرخين حاقدين ولهواة مغامرين بل وأفاقين ومحتالين لا هم لهم فى الدنيا إلا تزوير التاريخ المصرى واللعب بمقدرات الشعوب والتجنى على صنمى الأحداث..

وإذا كنا نحاول هنا أن نعيد ترتيب أوراق التاريخ المصرى فإن الهدف والمقصد هو كسر أقلام الدخلاء وإبعاد أنوف المغامرين والحاقدين عن تشويه كل ما هو جميل ورائع فى تاريخ مصر.. وسحب علامات الفخار من بين أيدي المصريين.

إن الدفاع عن مصر وشرف مصر ومجد مصر بالأقلام والأوراق أبلغ وأعظم من الدفاع عنها بالحديد والنار..

وقديماً جداً قال أمينوبى الحكيم لابنه:

●● ليتك تحب مصر مثل الشجرة الحانية على ظلها.

●● ليتك تحب مصر مثل الأم القلقة على وحيدها الغائب.

●● ليتك تحب مصر مثل حب المريض للعافية.

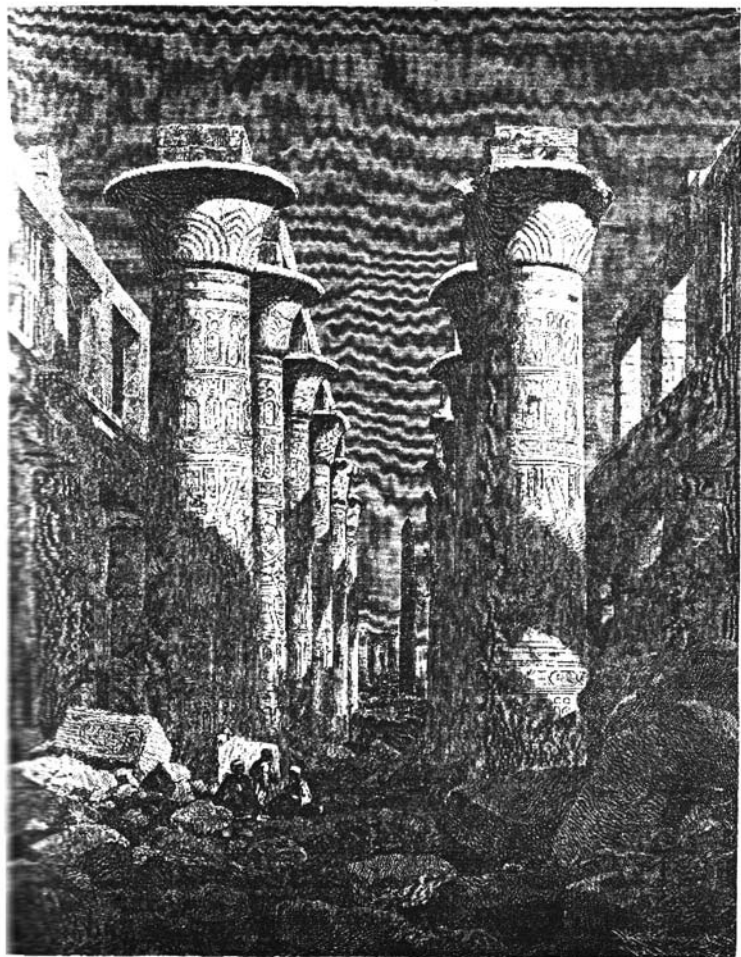
●● ليتك تحب مصر مثل حب الله للعبد الصالح.

أيها المصرى لقد آن لك وأنت سيد التاريخ أن تقول كلمتك للدنيا ..

أيها المصرى لقد آن لك أن تنفخ غبار الحقد من فوق تاريخك.. أن تطرد
سحب الكراهية التى كتبوا فى ظلها صفحات كاذبة مارقة من تاريخك..

أيها المصرى لقد آن لك أن تمسك أنت وليس غيرك بالأقلام والأوراق وتعيد
بالحق والصدق ترتيب أوراق التاريخ المصرى...

■ إنه مشوارك ومشوارنا معاً ■



وطار بنا البالون فوق وادى الملوك!

آخر ما كنت أتوقعه أن يصل إلى صوته عبر سلك تليفون من الأقصر.. وكنت قد تركته قبل أقل من أسبوع واحد على شاطئ المحيط الهادى فى لوس أنجلوس آخر محطة لى فى أمريكا قبل عودتى إلى القاهرة!

قال لى الدكتور زاهى حواس عالم الآثار المصرى: هل ركبت بالوناً من قبل؟

قلت: وكم عدد الذين ركبوا البالون فى العالم كله؟

قال: إذا موعدنا العاشرة من صباح غد فى مطار الأقصر!

رحت أضرب أخماساً فى أسداس والطائرة المصرية تحوم لتهبط فى مطار الأقصر: أى بالون هذا الذى سأركبه لأول مرة؟... وإلى أين يطير بنا؟

أفتعت نفسى بأنها مجرد مزحة أو دعابة... ولكن فى مطار الأقصر كانت فى انتظارى مفاجأة لم تكن فى الحسبان!

→ معبد الكرنك بريشة فنان إيطالى زار مصر فى القرن قبل الماضى.

وجدته فى ركن قصى من أرض المطار يملأ الصورة كلها بالونا شامخ القامة أبيض لونه يمسك على الأقل عشرة رجال شداد بالحبال التى تشده بقوة إلى الأرض خوفاً من أن يفلت فيضيع فى الفضاء!

من حوله التف أربعة أمريكيين: الدكتور كنت ويكس قائد المجموعة وزوجته كاتى والمليونير الأمريكى بروس لودفج والدكتورة ريتا فريد أستاذة التاريخ المصرى بجامعة ممفيس الأمريكية... ووجهان مصريان: الدكتور جمال مختار عالم المصریات... وصاحب تليفون نص الليل الدكتور زاهى حواس!

قالوا لى فى عبارة واحدة: تركب معنا...

استجمعت كل شجاعتى وكأنتى سأركب سفينة نوح وقلت: توكلت على الله!

رحت أسأل: أیه الحكایة؟

قالوا: ستعرف كل شىء بعد أن يصعد بنا البالون فى الجوى!

وبدأت أتسلق حبال البالون بمساعدة ثلاثة من أشداء الأقصر... وبدأ الآخرون فى الصعود بالترتيب: د. كنت ويكس... د. ريتا فريد وتشارلى دوج قائد البالون ومهندس الأجهزة الإلكترونية... وسألت: والباقون؟ قالوا: البالون لا يتسع إلا لأربعة فقط... والثلاثة الباقون سوف يعبرون النيل بالقوارب إلى وادى الملوك.. ليكونوا فى انتظارنا، حيث أجهزة الرادار والسونار!

كان هذا اللقاء الثانى لى مع ريتا فريد التى قابلتها قبل أسبوعين فقط فى معرض رمسيس الثانى فى مدينة ممفيس الأمريكية... التفتت إلى صاحبة الوجه الطفولى والقوام المشوق النحيف قائلة: لا تخف... امسك فقط بحافة هذه السلة التى نركبها فهى مشدودة جيداً إلى هذا البالون الضخم الملىء بغاز الهليوم!

قلت: وغاز الهليوم هذا أهو قابل للاشتعال؟

يرد تشارلى دوج قائد البالون: بالطبع... وهو أكثر غاز قابل للاشتعال فى العالم، ولا يستعمل إلا فى الهالونات الطائرة والمناطيد فقط!

قلت فى نفسى وأنا أحبس خوفى العظيم فى صدرى: الله يبشرك بالخير يا

شيخ!

بنعمومة شديدة بدأ البالون صعوده فى الهواء بعد أن تركه الرجال السمر
الشداد يفلت من بين أيديهم.. لتبدأ أول رحلة لى بالبالون!

والبالون يتجه غرباً إلى النيل ماراً فوق معبد الأقصر... وراح الهواء الساخن
يغح وجوهنا نحن الأربعة... وأنا لا أكاد أصدق - وتذكرت وأنا أمسك بقوة بحبال
البالون وإلى جوارى ريتا فريد لا أثر لخوف فى عينيها، وإنما فرحة غامرة كأنها
سببة إلى عريسها لأول مرة.. تذكرت طائر الرخ العظيم فى رحلات السندباد فى
قصة ألف ليلة وليلة .. عندما ربط نفسه فى مخالفته ليطير به هارياً من أفاعى
وادي الزمرد!

- يا رفيقى لم أطق صبراً.. قلت للبروفسور كنت ويكس.. إلى أين بحق السماء
نحن ذاهبون؟

قال وهو يخلع منظاراً مكبراً من فوق عينيه: نحن فى طريقنا إلى أول مقبرة
يتم الكشف عنها فى وادي الملوك!

قبل أن أقاطعه قال: أول مقبرة بعد توت عنخ آمون!

قلت: تعنى أنكم بسبيل الكشف عن أول مقبرة تظهر إلى الوجود فى وادي
نوك بعد آخر مقبرة تم اكتشافها فى عام ١٩٢٢ على يد هوارد كارترا..

قال وهو يومئ برأسه علامة الموافقة: أجل هذا ما أعنيه بالضبط..

قلت: ولماذا البالون إذًا؟..

قال: لأنه الذى سيكشف لنا كل شيء!..

قلت: من فوق؟..

قال: نعم..

قلت: أسهل كثيراً أن تذهبوا وتحفروا فى وادى الملوك ووادى الملكات... أولستم تعرفون مكان المقبرة التى تقولون عنها إنها أول كشف عظيم من أيام مقبرة توت عنخ آمون!..

قال فى ثبات حسدته عليه: مسألة الحفر والتنقيب فى وادى الملوك أصبحت الآن صعبة للغاية... ولكن العلم الحديث وضع بين أيدينا أحدث الأجهزة المتطورة التى يمكنها أن تسمع وترى ما تخفيه المقابر التى لم تكتشف بعد!

قلت: تقصد نفس الأجهزة التى قاموا بتركيبها فى الهرم الأكبر للبحث عن حجرة خفية لم تكشف عنها الأيام بعد؟

قال: تماماً!..

قلت: طيب.. إن ما فعله العلماء الفرنسيون والعلماء اليابانيون بكل ما معهم من أجهزة لم يكشف بعد أى أسرار لم نكن نعرفها عن خفايا الهرم من قبل!..

قال بنفس الثبات الذى أحسده عليه: النتائج لم تظهر بعد... ولكن الأجهزة كشفت عن وجود فراغات لم نكن نعرفها.

قلت: ولكن الفرنسيين واليابانيين لم يصعدوا فى بالون مثلكم؟

قال: هذا صحيح... ولكننا هنا نكشف كل خبايا مقابر وادى الملوك والملكات كلها، وهى مساحة شاسعة... وهم هناك وضعوا أجهزتهم داخل الهرم الأكبر وحده!

قلت: أنتم إذا تمسحون البر الغربى للنيل هنا فى الأقصر!

قال: أجل ونحن نرسم بذلك أول خريطة علمية بالغة الدقة لكل مقابر البر الغربى كله.

قلت: وماذا تفعلون اليوم بالذات مادمتهم قد انتهيتهم من رسم الخريطة الشاملة للبر الغربى؟

قال: بنفس الثبات: نحن بصدد الكشف عن خفايا أول مقبرة نعثر عليها بعد توت عنخ آمون.

قلت: أين؟

قال: فى وادى الملوك على بعد أمتار قليلة من مقبرة رمسيس الثانى!

قلت: كيف؟..

قال: أجهزة السونار والرادار تكشف عن وجود فراغات أو توابيت أو أثاث وأى شيء تصطدم به الأشعة وتعود لتسجيل كل شيء على شاشة السونار!

قلت: وماذا قالت الأجهزة؟

قال: لم تقل كلمتها بعد!

.....

.....

البالون الطائر كأنه بجعة برية بيضاء يحلق فوق وادى الملوك الآن... كل تعيون مسلطة على التلال والكثبان الرملية تحتنا... نحن لسنا بعيدين عن لأرض كثيراً فالبالون يطير ببطء وهدوء فى ظل شمس يونيو الحارقة على ارتفاع لا يتجاوز بحال الألف متر... كل شيء تحتنا واضح كل الوضوح... أطفال قرية القرنة يلعبون فى حوارى القرية لعبة الاستغماية... يلعبونها فى الظل... كن فى الشمس المحرقة لا أحد يجرؤ على اللعب أو المشى سوى تلك المرأة التى لا نعرف ملامحها أو حتى من هى، من السواد الذى يلصقها من رأسها حتى قدميها هى تركب حماراً يتيماً يئن من لهب الطريق!

ذهب الخوف وتبخّر مع الهواء الساخن الذى نشمه... وتحول الأمر إلى شيء شبه باللعبة التى يلعب بها الطفل فى يوم العيد... وأدخلت فى روعى أننى كمن يركب مرجيحة الهواء... أو سفينة فى بحر العجائب والغرائب فى مدينة والت - يزننى فى لوس أنجلوس...

تصبح ريتا فريد وهى تشير إلى خيمة بيضاء منصوبة فى وادى الملوك: هذه يا عزيزى... إنها خيمة المجموعة العلمية التى تنتظرنا بالأجهزة!... ونظرت إلى خيمة التى ظهرت تحت البالون على بعد ألف متر كحمامة بيضاء حطت لتوها على الرمال الساخنة...

وقلت: ولكن أين باقى الرفاق؟

قال بروفوسور كنت ويكس: إنهم بالقطع تحت الخيمة هرباً من الشمس أو ربما ذهبوا إلى المقبرة نفسها!

قلت: أين؟

قال: على بعد أمتار من مقبرة رمسيس الثانى...

وأشار بأصبعه إلى جماعة تتحرك ببطء وسط المقابر بينهم امرأة تلبس برنيطة حمراء وقال: هذه برنيطة زوجتى أنا أعرفها والباقون هم بقية المجموعة العلمية!

أسأل: ماذا تحت هذه الخيمة البيضاء؟

قال بروفوسور ويكس: إنها أجهزة السونار والرادار التى تعمل مع أجهزة التصوير التى نعملها الآن فى البالون...

البالون يصور كل شئ ويرسل الصور والذبذبات تبعاً إلى أجهزة الرادار والسونار التى تظهرها على شاشة خاصة، وتسجلها فى نفس الوقت فوق شرائط ممغنطة.

قلت: إذا البالون هنا مع الأجهزة العلمية داخل الخيمة على الأرض يصنع دائرة التعامل التى تصنعها الطائرة الحربية مع أجهزة التوجيه الأرضية؟

قال: لقد قلت ما أريد قوله تماماً!

قلت: ولكن ماذا قالت أجهزتك عن المقبرة الجديدة التى تريدون كشف أسرارها الآن؟

قال: نسأل المحطة الأرضية باللاسلكى؟

وأنشغل مع ريتا فريد ريثما ينتهى البروفوسور من اتصالاته فى حوار جانبي حول عدم زواجها حتى الآن، أسكتتنى فى آخره بعبارتها الحاسمة: الزواج يا عزيزى يقتل الحب، وأنا أعيش الآن قصة حب فلماذا أفقده أو يفقدنى بالزواج نحن سعداء هكذا!

غريبة أمر هؤلاء الأمريكيين!

البالون الأبيض مازال يطير فوق وادى الملوك.

يتهلل وجه البروفسور ويكس فجأة وهو يكرر عبارة واحدة مع المحطة الأرضية: السونار قال إنه توجد فراغات كبيرة وعميقة داخل المقبرة... عظيم، فلنهبط الآن يا تشارلى!

وفهمنا أن المقبرة إذًا تحوى بداخلها على حجرات وفراغات... وربما توابيت وتمائيل أيضًا!

وبدأت رحلة الهبوط بالبالون...

وإذا كان الصعود بالبالون ناعمًا ومريحًا.. فإن الهبوط هو رحلة المخاطر الحقيقية... فأنت لا تستطيع أن تتحكم فى البالون مثلاً... فالريح هى سيدة الموقف هنا... لا أريد أن أطيل... يكفى فقط أن أقول إنه بعد نحو ٤ ساعات من محاولة الهبوط والفشل نصيباً فى كل مرة... دفعتنا الرياح لتعبر النيل شرقاً كما جننا ونهبط مع آخر شعاع للشمس فى غيط برسيم يملكه الحاج مرتضى المراعى!

ولولا أننا نجحنا مع أولاد الحاج مرتضى الخمسة فى ربط البالون بالحبال إلى شجرة توت أرسلها الله لنا على قمة الحقل لطار البالون وضاع هو الآخر فى الهواء!

قبل أن ينطقوا بكلمة حمد الله على السلامة قلت للباقي من المجموعة العلمية: هل حقًا قالت أجهزتك إن المقبرة التى تريدون كشف أسرارها تضم حجرات وفراغات خفية؟

قالوا: أجل!

قلت : الحمد لله... لم تضع رحلة المخاطر سدى!

.....

.....

قال لنا نبيل إسماعيل مدير فندق الونتر أيامها ونحن جلوس فى صالون الملك
فؤاد الأول: عندى لكم مفاجأة الليلة سوف تنسيكم كل ما جرى لكم فى رحلة
البالون... الليلة سوف تشاهدون فرقة أسوان للفنون الشعبية..

وسهرنا كلنا مع الفرقة وعشنا ساعات مع فنون مصرية عريقة خلبت لب ريتا
فريد وكنت ويكس وأسأل زاهى حواس: ماذا لو نرسل هذه الفرقة إلى فيلاديفيا
لتشارك فى أعياد الدستور الأمريكى؟

قال: وهم فى أمريكا مستعدون لإرسال تذاكر السفر فوراً!

ويميل المليونير الأمريكى بروس لودفج الذى يعشق الآثار المصرية ودفع من
جيبه الخاص ٥٠٠ ألف دولار لتمويل هذا الكشف الجديد على أذن الدكتور جمال
مختار... ويتبادلان حديثاً ضاحكاً بضع دقائق.. قبل أن يستأذن المليونير
الأمريكى فى الصعود إلى غرفته فقد مضت ٢ ساعات تأخير على ساعة نومه...

أسأل الدكتور جمال مختار: ماذا يريد منك؟

قال ضاحكاً: أبداً كان يسألنى هل حادث البالون اليوم له علاقة بلعنة
الفراعنة؟

قلت: وماذا قلت له؟

قال: قلت له لا يوجد شيء اسمه لعنة الفراعنة...!

ولكنه عاد يسألنى: ولكن ما رأيك فيم حدث للورد كارنتون الذى مول اكتشاف
هيوارد كارتر لمقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢؟

وقلت له: تقصد عندما مات فى القاهرة فجأة بعد الكشف العالمى مباشرة...
وقالت الصحف الإنجليزية أيامها: إن أفعى الكوبرا لدغته... والسر لعنة
الفراعنة!

قال المليونير الأمريكى: أجل!

قلت له: لا تهتم ولا تشغل بالك أنت الآن مقبل على كشف عظيم... اذهب يا
رجل ونم ملء جفونك!

.....

.....

والليل لم يسحب بعد آخر خيوطه السوداء... والفجر مازال معلقاً بين السماء
والأرض... وأنا فى غزفتى المطلة على معبد الأقصر بين النوم واليقظة... لا
أدرى أحلم هو... أم حقيقة؟

أطل على بقامته المديدة ولباسه الملكى وتاجه الذهبى... وراح يقترب من
سريرى وهو يقول بلهجة أمرة: استيقظ يا هذا فأنا ملكك جئت أسر فى أذنك
ياأمر العظيم!

تنبعت لفورى وأنا أتأمل ملامح أحد الفراعين العظام وقلت: أهلاً بك يا
مولأى... ولو أن المكان ليس على قدر المقام!

قال: لا بأس... أنا على عجل من أمرى وليس لدى وقت أضيعه..

قلت فى أدب شديد: تفضل يا مولأى!

قال: ألا تعرفنى يا هذا؟

قلت: أنت الفرعون العظيم!

قال: أى فرعون تقصد؟

سكت ولم أجد ما أقوله... أخرج من حزامه ورقة بردى وضعها أمام عيني
وقال: اقرأ ما بها ودعنى أسمعك!

الورقة مكتوبة بالهيريروغلفية... ورغم قلة حيلتى فى هذه اللغة إلا أننى
ستجمعت شتات كل ما أعرفه عنها ورحت أقرأ: أنا فرعون مصر رمسيس الثانى
... هذه الديار ابن الإله آمون رع أنذر كل من يدخل مقبرة أولادى وأحفادى...

وإذا لم ترجعوا فإن جيوشى لا ترحم ورجالى قساة غلاظ لا يعرفون إلا لغة
السيف والرمح والدم!

قلت: أنت إذا رمسيس الثانى؟

قال فى صوت جهورى أمر: تأدب يا هذا أنا الفرعون وما أنت إلا أحد
رعيتى!

قلت: أسفى وندى يا مولاي... ولكن هل تريدنا أن نرحل؟

قال: فوراً!

قلت: لك الأمر والنهى ولك منا السمع والطاعة!

وأرفع رأسى لأجده قد اختفى مع أول شعاع ضوء يرسله الفجر إلى حجرتى..
رحت أؤنب نفسى وأضرب كفا على كف لقد كان أمامى ولم أسأله سؤالاً حير
الدنيا بأسرها ولا يزال: هل هو حقاً فرعون الخروج؟

.....

.....

والزورق الأخضر يعبر بنا النيل إلى البر الغربى.. لم يغب رمسيس الثانى عن
عينى لحظة فلقد شاهدته وحدثته.. ربما كنت الوحيد على ظهر هذه الدنيا الذى
رآه وجها لوجه.. ولكننى لم أخبر أحداً.. بالقطع لن يصدقنى!

أمام المقبرة تجمعننا كلنا.. لم نكن وحدنا كان معنا فريق من العمال.. أمهرهم
وأكثرهم خبرة بالحفر داخل المقابر الأثرية.. فإن ضربة خطأ من فأس واحدة قد
تهدم فى غمضة عين تاريخ جيل بأكمله!

محدثى يومها هو د. زاهى حواس.. قال وهو يجلس إلى جوارى على حجر
جبرى وظهرنا إلى صخر الجبل: هذه المقبرة هى أول مقبرة يتم الكشف عنها فى
وادي الملوك بعد مقبرة توت عنخ آمون فى عام ١٩٢٢.. ولم نعرف بعد اسم
صاحبها! لأنها مغطاة بالرمال حتى السطح ولا يظهر منها إلا الأعمدة الـ ١٦ التى
تراها أمامك..

ويشير بيده إلى باب مقبرة مغلق منذ زمان طويل: هذه هي مقبرة أعظم
فراعين مصر على بعد ١٥ متراً لا غير من هنا.

وأسال: تقصد رمسيس الثانى.. لقد كان معى بالأمس وحذرنى من دخول
هذه المقبرة!

قال: ماذا تقول؟

قلت: لا تهم، يبدو أن آثار حادث البالون لم تتركنى بعد!

أسال: وكم مقبرة لم يتم الكشف عنها في وادى الملوك حتى الآن؟

قال: ثمانى مقابر.. ثلاث منها ذكرها المكتشف الألمانى لبيسيوس عام ١٨٢٢
ولكن حتى هذه اللحظة لم نعرث إلا على واحدة فقط تلك التى نجلس أمامها الآن!
ولأول مرة أسمع صوتها إنها زوجة قائد المجموعة العلمية بروفيسور كنت
ويكس، وهى سيدة ضاحكة السن دائماً.. قالت موجهة حديثها إلى الدكتور جمال
مختار: من صاحب هذه المقبرة فى رأيك يا دكتور مختار؟

يقتررب الرجل منا وهو يبحث فى ذاكرته عن إجابة لهذا السؤال الصعب:
هناك احتمال قوى حتى الآن بأن هذه المقبرة لأحد أبناء رمسيس الثانى أو لعدد
من أولاده.. ثم قال لها: ألا تعرفين يا سيدتى أن رمسيس الثانى ترك خلفه من
-ريته ١٥٠ ولداً و ١٠٠ بنت وأن عدد زوجاته ومحظياتها لا يعرف لكثرتهن..

قلت مقاطعاً: أنا أعتقد أنها مقبرة لأبناء رمسيس الثانى كما قلت يا دكتور!

تسألنى زوجة المكتشف: لماذا أنت واثق هكذا من هذه الحقيقة؟

قلت: أنا تأكد ولكن!..

وبالطبع لم أجرو على أن أذكر شيئاً عما قاله لى رمسيس الثانى بدمه ولحمه
ليلة البارحة!

.....

.....

ومعاول العمال طالعة نازلة فى مدخل المقبرة.. وأمامهم أيام تطول أو تقصر حتى يرفعوا تلال الرمال التى تغطيها بأعمدتها الستة عشر.. ولن يعرف أحد سرها إلا بعد الدخول إلى حجرتها الخفية التى كشف عنها البالون الطائر.. أتلفت حولى بحثا عن المليونير الأمريكى بروس لودفج فلا أجده.. أسأل أين هو يا ترى؟

قالوا: لقد طلب منا أن نتركه منذ هذا الصباح وحده فى غرفته فى الفندق! تسلل إلى قلبى إحساس قوى بالقلق.. لقد حذرنى رمسيس الثانى قبيل الفجر أه لو كان قد فعلها فعلا مع الرجل الذى يصرف على الكشف كله! وقلت لريتا فريد: أنا ذاهب إلى الفندق لأمر لا تسألينى عنه الآن أتاتين معى؟ قالت: لم لا!

وركبنا مع الأسطى عبد الراضى السيارة اللاندروفر إلى العبارة التى نقلتنا عبر النيل إلى البر الشرقى.. أمسكت بيد ريتا ونحن نصعد سلالم الفندق عدواً.. وهى لا تعرف ماذا جرى.. إلى غرفة المليونير لودفج.. طرقتنا الباب لم يجب أحد.. طرقتنا بقوة لم يفتح أحد.. نزلت مسرعاً إلى المدير نبيل إسماعيل أسأله: هل رأيت مستر لودفج..

قال فى هدوء: لقد استقل طائرته الخاصة وعاد إلى بلاده.. وترك لكم هذه الرسالة!

فتحت ريتا الرسالة وراحت تقرأ بصوت مسموع: «أسف لسفرى المفاجئ لقد قضيت ليلة لم يغمض لى فيها جفن وأنا أقرأ كتابا عن لعنة الفراعنة كتبه كاتب المانى وقال فيه إن لورد كارلتون المليونير الإنجليزى الذى مول اكتشاف هيوارد كارتر لمقبرة توت عنخ آمون قد مات فى فندق شبرد فى القاهرة بعد الكشف بأيام.. وأن الأنوار قد انطفأت فى الفندق قبل موته بثوان.. أسفى الكبير للزملاء وحتى نلتقى فى لوس أنجلوس، حيث انتظر نتائج الكشف أولا بأول!»

تسكت ريتا وعلامة استفهام كبيرة قد استقرت فى عينيها الزرقاوين..

اسأل نبيل إسماعيل: هل انطفأت الأنوار عندكم في الفندق الليلة الماضية؟..

قال نبيل وريتا في نفس واحد: هذا صحيح قبل الفجر بيضع دقائق!

قلت: لقد فعلها رمسيس الثاني!

قالت ريتا: ماذا تقول؟

قلت: لا شيء.. لا شيء يا عزيزتي! ■



نحن نعبد إلهاً مصرياً خالصاً

لست من هواة المبالغة.. ولست من دعاة التهويل..

ولست بفرشاة التلوين.. والتزويق ممسكاً.. ولا بجيتار الوهم والخيال عازفاً ومغرداً! ولكن شاء قدرى.. أن أكون على موعد مع أغرب ما يمكن أن يصدقه عقل إنسان.. تجولت بعيني وسجلت بأذني.. وعشت بكياني كله تجربة قد لا تتكرر في العمر إلا مرتين..

لا تفتحوا أفواهكم انبهار.. فوقت العجب والتعجب لم يحن أوانه بعد.. لقد ركبت سفينة مصرية.. هي أخت غير شقيقة لسفينة الحب الأمريكية.. تحركت مع التيار صعوداً في مياه النيل من أسوان وحتى ضاحية المعادى عند بوابة القاهرة الجنوبية.. لم أكن وحدي.. كان معي ٧٥ إنساناً تفرقت جنسياتهم بين دول العالم أجمع.. أنهم مجرد شريحة من بين ١٧ مليون إنسان يسكنون الدنيا الواسعة تركوا ديانتهم التي ولدوا بها وتربوا عليها.. هكذا تقول جوازات سفرهم التي لا تكذب.. أما خانة الدين: لا شيء..

→ ابو الهول هل هو سر الكون كله؟

أداروا عقارب الزمن إلى الماضى البعيد.. أبعد مما يتصور بشر.. ووقفوا
داخل قرون وسنوات ما قبل الميلاد.. واختاروا آلهة المصريين القدماء ودياناتهم..
وقالوا: هذا هو ديننا.. وهؤلاء هم آلهتنا!

وقالوا: ماذا صنعت لنا ديانات الأجداد ومعتقداتهم؟ الخراب والدمار
والحروب والجوع والكوارث التى لا تنتهى.. نريد حبا وسلاما لكل البشر.. نريد
أمنا وعيشا طيبا لعائلة الإنسان على الأرض..

وقالوا: لقد كفرنا بكل شيء.. طلقنا ديانتنا ومعتقداتنا التى فشلت فى زرع
شجيرات الخير والسلام والأمان فوق كوكب الأرض الذى نسكنه وجئنا هنا نبحث
عن جذورها وأوراقها وثمارها على أرض مصر.. ووجدناها ولن نتركها أبدا.. ..

وقالوا: لقد ضاعت خطانا فى دروب الأرض ومسالكها.. وتاه منا الطريق ولم
نجد السلام والخير والعدل.. إلا عند آلهتكم.. رع وأون.. وعند نبيكم أخناتون
أول من عرف الله وحده.. أو يوحى من الله، وأول من قال قبل كثير من الأنبياء
والرسل: لا إله إلا الله الواحد الأحد..

وقالوا: على هذه الأرض التى تعرفها الدنيا باسم مصر.. خرجت بعد تراتيل
أخناتون.. مزامير داود وتوراة موسى.. بالسلام تدعو.. بالمحبة تنادى بالأمان بين
كل البشر تبشر وتقول..

وقالوا: لقد جئنا نصلى شكرا وعرفانا للآلهة «ماعت» إلهة الحق والخير عند
المصريين التى تحكم بالعدل والقسطاس بين البشر..

وقالوا: إن خلاص الدنيا من شرور بنى الإنسان لن يكون إلا هنا فوق تراب
أقدس مكان.. وأكثر بلاد الدنيا نقاء وطهارة ورحمة وحبا.. مصر.

.....

.....

والليل ستار العاشقين وكاتم أسرارهم يلقي بغلالة رقيقة من الغموض فوق
المركب المصرية التى يراها إنسان على الشاطئ كقطعة من نور تسبح فوق مياه

النيل.. تذكرت كلمات الممثل العالمى تشارلتون هيوستون لى نحن فى مدينة
مغفيس على شاطئى الميسيبى أشهرأنهار القارة الأمريكية: «ليس فى الدنيا
أجمل من رحلة بالفلوكة على صفحة نيلكم العظيم».

مستنداً بظهرى وتعب عام بحاله إلى سور المركب ومعد ساقين ممدودتين
على أريكة مريحة.. وإلى جوارى جلست مليونيرة أمريكية فى الواحد والأربعين
من عمرها استحلفتى بالآلهة المصرية «ماعت» آلهة الحق والعدل والجمال إلا
أذكر اسمها.. كانت ترتدى جلياباً مصرياً فى لون البرسيم صنعته وطرزته بنات
إسنا فى صعيد مصر.. نظرت إلى وفى عينيها وفى نبرات صوتها إحساس عميق
بالآمان والسلام: لقد إلى بلدكم لكى ارد جميلها فى عنقى!

قلت: أى جميل هذا؟

قالت: أنا مصابة السرطان!

قلت فى إشفاق: لا حول ولا قوة الا بالله..

قالت: لا تقلق فقد شفيت الآن منه.. والسبب آلهتكم المصرية!

قلت: لا تزيدنى حيرة فوق حيرتى!

قالت: لقد حضرت إلى مصر فى العام الماضى.. وأمضيت ليلة كاملة داخل
نهر الأكبر أصلى وأدعو للخالق الذى وضع سر الكون كله داخل الهرم..

قلت مقاطعاً: أى سر تقصدين يا عزيزتى؟..

قالت: إن قوة جبارة من خارج هذا الكون ترسل إشعاعها طوال الوقت
ليلتقطها الهرم الأكبر ويفرغ شحنات الأشعة المغناطيسية إلى داخله.. ولقد
تعرضت لهذه الشحنات الكونية ليلة بطولها..

قلت: وماذا حدث بعد ذلك؟

قالت: ذهبت إلى أمريكا وكشف على الأطباء بأحدث ما لديهم من أجهزة..
وقالوا.. لقد ذهب السرطان إلى غير رجعة!

قلت: ألم يعرفوا سبب ضياعه..

قالت: لقد وصفوا ما حدث بالمعجزة الإلهية التي لا تتكرر أبداً:

قلت: ولهذا جئتُ ترددين جميل مصر ودينها فى عنقك!

قالت: أجل.. فانا أحب كل المصريين.. وأحبك أنت.. وأحب هذا الجرسور

الأسمر الذى يقدم لنا الكركديه الساخن الذى نشره الآن؟

سكت لحظة كأنها الدهر أقلب حكايتها فى رأسى: نظرت إلى فى دهشة وقد وجدتني أكاد لا أصدق المعجزة التى وقعت لها: أنت المصرى دما ولحما لا تصدقنى.. ماذا يقول الأعراب إذاً ولكن تعال معى إلى حجرتى أريك ملفا كاملا بالتحاليل والأشعة وتقارير أطباء مستشفى ميرلاند الأمريكى.. كلها لا يوجد سرطان بالمرّة!.. قلت: دون الذهاب إلى حجرتك أنا أصدقك تماماً!

قبل أن يلمس أول شعاع من شمس الصباح زجاج قمرتى تسللت إلى سطح المركب لأشهد صلوات العابدين لأديان الأجداد القدماء.. كلهم وكلهن فى خشوع وخضوع يرتلون دونما صوت تراتيل لا أعرفها ولم أسمعها من قبل.. وجوه الجميع فى اتجاه مشرق الشمس.. التى بدأت تطل علينا فى غلالة ورديّة اللون فى الوقت الذى هب الجالسون وقوفا وأيديهم ناحية القرص الغارق فى حزمة العافية تحية وإجلالا لمشهد الآلهة العظام عند المصريين القدماء..

تركتهم لصلواتهم وتراتيلهم.. وأرسلت عيوني إلى التلال الرمادية البعيدة التى تخفى خلفها تل العمارنة تعبر نيلها الآن المركب المصرية هنا مدينة أخناتون العظيم.. رحت أنصت فى خشوع بالغ إلى ترتيل هذا الفرعون الذى عرف الله قبل كل البشر وهو واقف أمام قرص الشمس رمز الإله أتون رب السماوات والأرض خالق الكون كله.. وأكاد أسمعوه وهو يرتل وخيط من الدموع ينساب من عينيه:

يا خالق الحب فى الأرض.. يا رازق الطير فى السماء.. يا حى يا باق.. يا مالك كل الوجود.. سبحانك ربى الواحد الأحد.. يا من تسبح بحمده كل المخلوقات.. امنحنى القوة والقدرة لنشر الخير والسلام على الأرض.. واحمنى من ضعفى ومن شرور النفس اللوامة.. أنت علام الغيوب..

يخرجنى من سرحانى البعيد صوت بياتريس دومنجو الفتاة الهندية الأصل الأمريكية الجنسية وهى تقول لى: إيه يا مصرى.. لماذا لم تصل معنا؟..

قلت لى صلاتى ولكم صلواتكم؟..

قالت: أمسلم أنت؟

قلت: نعم..

قالت: وإلام يدعو الإسلام؟

قلت: إلى عبادة الله الواحد الأحد.. وإلى الخير والسلام بين كل البشر لا فرق بين غنى وفقير قوى أو ضعيف أسود أو أبيض..

قالت: أعذرنى.. فإذا كنت قد سمعت عنه إلا أننى لم أدرسه أو أجلس لمن يدرسه لى..

قلت: ما ديانتك أنت؟..

قالت: أبى كان كاثوليكيًا وأمى كانت هندية حمراء تدين بدين أجدادها من قبائل الشيروكو!

قلت: والآن؟

قالت: لا دين لى.. أنا أؤمن فقط بالسلام والعدل بين البشر.. لقد تركنا ديانات الآباء والأجداد.. ورجعنا إلى الديانات القديمة لكى ننقذ البشرية من الكوارث والحروب والضياع!

قلت: لماذا أنت ناثرة مثل النمرة المتوحشة؟

قالت: بل هادئة تمام الآن تحت شمس مصر وبعد رحلة عذاب طويلة..

قلت: أى عذاب تقصدين؟

قالت: طلقنى زوجى الأمريكى بعد كثير من الضرب والإهانات..!

قلت: ماذا بقى من أسرتك الهندية الأصل؟

قالت: أمى فقط... أما أجدادى كلهم فقد ماتوا برصاص الأمريكيين.. ألا ترى
معنى أن هذا العالم هو عالم شرير.. القسوة سلاحه.. والبغض والكراهية دينة
وصلاته؟

.....

.....

كل شيء.. هادئ المركب الذى فى لون اللبن الصباح وعباد الآلهة المصرية
والقرى التى بدأت تتشاءب على الشاطين أصبح الآن غارقا فى ضوء شمس
الصباح.. شدتى من أعماق عينان صغيرتان هما البراءة بعينيها.. كانت ترقبان
فى ابتسامة زهرة ندية تحركات عدسة «الكاميرا» المعلقة بكتفى.. ضغطت على
الزر.. لأسجل لقطة للطفلة الجميلة الصغيرة.. باتريشيا.. هكذا سمعت أباه
يناديا.. اقتربت منها أكثر كانت هناك ملاء بيضاء صغيرة تحيط بساقها.. هبت
نسمة خبيثة أطارت الملاء.. ليسقط قلبى فى قدمى.. الصغيرة بلا قدمين!

أبعدت عيونى وأنا أمضغ المى.. جلست على أول كرسي فى طريقي.. منعت
بقوة خرافية دمة كادت تسقط من عيني وأنا أربت على خد أجمل طفلة ممكن
أن تشاهدها عينك.. قلت مداعبا..: أزيك يا حلوة؟

قالت: أزيك أنت!

نسيت أن أقول إننى نطقت عبارتى بالعربية ورددت هى بالعربية أيضا.. قال لى
والدها وهو مهندس إلكترونيات أمريكى الجنسية: إنها قصة قديمة.. حادث
سيارة فقدت هى قديمها.. وفقدت أنا أمها!

قلت فى نفسى: يا رياح الحزن توقفى!

تابع هو حديثه بلا أية نبرة حزن: إنها تسير الآن على ساقين صناعتين.. لا
تتصور مدى سعادتى الآن!

قلت: فى دهشة: أية سعادة تقصد؟

قال: لقد أمضت باتريشيا ليلة كاملة داخل قدس الأقداس فى معبد رمسيس الثالث فى البر الغربى فى الأقصر. وهى الآن تستطيع أن تمشى وحدها دون الاستعانة بالمكازين!

لأعقب بكلمة واحدة.. واصل هو حديثه إلى: إنا معابدكم فيها سر غريب أنا تؤمن الآن إيماناً كاملاً بآلهتكم المصرية!

قلت: أى آلهة تقصد؟

قال: الإله أوزوريس.. إله الخير عند المصريين.. أليس هو من تقطعت أوصاله بفعل أخيه «ست» إله الشر.. ثم قامت زوجته إيزيس بتجميعها مرة أخرى.. أكاد تجزم بأن ما حدث لأوزوريس قبل أكثر من خمسة آلاف سنة حدث لابنتى باتريشيا قبل أيام قليلة أصبحت تمشى وحدها.. ألسنت معى أنها معجزة إلهية؟ قلت: معجزة بكل معنى الكلمة!

هبطت سلالم ثلاثة طوابق إلى غرفة فى الدور الأول.. جاءت جلستى فى مواجهة.. شاب شديد السمرة كأنه واحد من أبناء صعيد مصر.. قدم نفسه إلى.. ما زالت جالندو.. مكسيكى الجنسية أعمل فى تدريس الحضارة المكسيكية فى الجامعات الأمريكية.. أنا أؤمن تماماً بأن هناك صلة رحم قوية بين حضارة مصر القديمة وحضارة المكسيك.

سكت لحظة وهو ينظر فى عينى ليتحسس تأثير كلماته.. ولما وجد تشجيعاً منى واصل حديثه: إن إلهكم أوزوريس وإلهنا كوتز كواتل ينزلان معاً إلى الأرض هذا الشهر وبالذات يومى ١٦ و ١٧ أغسطس ليزرعاً معاً يدا بيد بذور السلام على الأرض!

قلت: ومن أجل هذا فأنتم هنا فى مصر؟

قال: نعم ولكن أخوة لنا فى جماعة السلام يقومون بنفس التراتيل والصلوات حتى أقمناها هنا تحت سفح الهرم.. فى ٢٦ مدينة دنيا وتاريخية.. فى أمريكا والمكسيك والهند والصين وأستراليا وبيرو واليابان واليونان وجزر هاواي!

لقد أنقذنا بصلواتنا العالم كله من كارثة كادت تؤدي به!

التفت إلى صاحب الصوت.. شاب لا يتجاوز الأربعين من عمره ذقنه سوداء طويلة.. وملامحه نفس ملامح صديقنا المكسيكى الذى قدمه إلى بقوله: زعيمنا الروحى جوزيه وأرجيوليس.. وقفت أحيى الزعيم الذى تابع كلامه وهو يلتهم طبقا من البيض المقلى بالبصل.. أن معتقداتنا وفقا لحساباتنا الدينية والفلكية القديمة تؤكد أن الأرض كانت ستقسم إلى أقسام صغيرة تتطاير فى الفضاء لولا أننا أنقذنا الدنيا من الدمار بصلواتنا..

قلت: زدنى علما يا أبانا الروحى؟..

قال: لقد مرت الدنيا بأربعة عصور تنتهى دائما بكارثة.. مثل حدوث فيضان يغرق الأرض ومن عليها مثلما حدث أيام نوح.. أو رياح صرصر عاتية أو نيران تهبط من السماء.. وقد تم تدمير العالم أكثر من مرة؟

تدخل بطبقها وحديثها الدكتورة لندا ونوتورست أستاذة علم السياسة والدراسات المستقبلية فى جامعة ولاية كاليفورنيا: لقد تجاوزت الخمسين من عمري.. وأصبحت عضوا فى جماعة السلام من خلال الرجوع إلى أديان ومعتقدات الماضى.. إن السلام على الأرض لن يتحقق إلا إذا تخلص البشر من شرورهم وأنانيتهم، وتجمعوا فى رباط واحد مقدس يدعو للخير والسلام لكل شعوب الأرض.

تنضم إلينا بقياراتها وغنائها هذه المرة.. إنها ستيفانى أرلانسون أجمل ما يمكن أن تقع عليه عينيك من نساء.. يتوقف الحاضرون عن المضغ والبلع.. الحاسة الوحيدة التى تعمل الآن هى حاسة السمع.. الغناء من فم ستيفانى والعزف لها أيضا:

السلام بيتى وعنوانى.. والأمان دارى وموطنى.. لا وقت الآن لنضيعة فى الحروب لا وقت الآن إلا للحب والصدافة بين الشعوب، ضعوا أيديكم فى أيدي بعضكم.. ضعوا عناقيد الزهور فوق أعناقكم.. غنوا للدنيا غنوا للحياة.. غنوا للسلام.. غنوا للحب..

الجميع يغنى من خلف ستيفانى ومعها للحب والسلام.. للخير والحق والجمال.. والبهجة والمرح راية صفراء ترفرف فوق كل الرعوس..

أسأل ستيفانى: أمغنية أنت؟

قالت: أنا لست مغنية ولكنى أؤمن بالغناء لفتح أبواب القلوب..

أنا أمريكية لا تسألنى عن عمرى.. لا توجد امرأة طبيعية فى هذه الدنيا تقول لك عن عمرها.. وإذا قالت فلا بد أن تخصص منه على الأقل عشر سنوات.. لقد درست البيانو فى شيكاغو وأنا فى السادسة ودرست الكمان وأنا فى التاسعة.. وأنا الآن أعمل موديلاً محترفة.. وممثلة أدوار كوميدية!

قلت: أنت إذا تبشرين بالسلام بالغناء؟

قالت: أجل.. وسوف آحى حفلاً موسيقياً أمام أبى الهول الذى كان أمير العدل من أجل الخير والسلام!

الباخرة التى تشبه أوزة بيضاء حطت لترها فوق صفحة النهر.. تبعد حريوم صيف ساخن.. فوق ظهرها تناثر عباد الآلهة المصرية حول حمام السباحة الصغير.. يطفئون نار شمس الظهيرة بالقفز فى المياه الباردة.. الميكروفونات المعلقة فى كل مكان على السطح تحمل إلى أذنى موسيقى غريبة لم أسمعها فى حياتى أبداً.. كأنها قادمة من الماضى البعيد..

أسأل مرافقتى لويزا ستيفنسون الأسترالية الأصل التى تزوج أبوها الجندى الإنجليزى من أمها الأسترالية فى الإسكندرية فى الحرب العالمية الثانية: من صاحب هذه الموسيقى الغريبة؟

قالت: إنها موسيقى فرعونية أصيلة.. وضعها جيم بيرنهولتز.. وتلفتت بعينها تبحث هنا وهناك.. ثم صاحت: جيمى.. تعالى من فضلك..

ينضم إلينا شاب فى الثلاثين من عمره.. ترك أحيته تنمو بسواد شعرها كما تشاء..

قلت له: أنت صاحب هذه الموسيقى؟..

قال: نعم إنها موسيقى فرعونية!..

قلت: هل نقلت نغماتها من نوتة موسيقية فوق جدران المعابد المصرية؟..

قال: كلا.. ولكنى سمعتها بأذنى داخل المعابد الفرعونية..

قلت: كيف؟..

قال: كنت أجلس وحدى داخل المعابد والمقابر والأهرامات.. وأنصت إلى أصوات الجدران والصخور.. إن الموسيقى لا تموت أبدا ولا تضيع.. بل تظل داخل أماكن عزفها.. حتى لو مات كل العازفين.. وتكسرت آلاتهم الموسيقية!!

تطل علينا من عند السلم رأس سيدة عجوز بشعرها الأبيض ونظارتها الطبية.. أغمض عيني وافتحها عدة مرات.. أحقا ما أرى.. إنها أجاثا كريستي أشهر مؤلفة روايات بوليسية فى العالم.. ولكننى أتذكر أن أجاثا ماتت منذ سنوات..

تقترب منا يقدمها إلى جيم بيرنهولتز بقوله: بروفيسور تيوادورا ويلز من جامعة كاليفورنيا!..

قلت لها وأنا أرسوم ابتسامة خفيفة على شفتى: لو لم أكن أعلم أن أجاثا كريستي قد رحلت عن الدنيا لقلت إنها أنت!..

قالت: يا ليتنى كنت فى مثل شهرتها!..

قلت وأنا أنظر إلى الرجال والنساء من حولى شبه عرايا حول حمام الشمس: قرأت لأجاثا كريستي قولا مشهورا تقول فيه إنها تنظر إلى أجساد الناس شبه عرايا حولها على شاطئ البحر.. على أنها جث ميته.. فكيف تنظرين إليها أنت الآن؟..

ردت بصوت عالٍ وقالت: أراهم يتمتعون بالصحة والعافية وبشمس مصر التى لا تغيب أبدا!..

سألته: لماذا أنت هنا؟..

قالت: لأسجل أفكار هؤلاء القوم عن قرب!..

قلت: وماذا وجدت؟..

قالت: إنهم يعودون إلى الماضى البعيد لعلهم يجدون فيه سعادتهم التى تنسوها فى حياتهم اليومية.. وماداموا سعداء بهذا.. فلنتركهم فى سعادتهم!..

قلت: وما هذا الكتاب الذى تحملينه معك؟..

قالت: إنه كتابى البرد تحت النار..

قلت: وماذا تقولين فيه؟..

قالت: لقد لاحظت فى حديثى معك أنك متوتر دائماً!

قلت: هذا صحيح؟..

قالت: فى مواقف كثيرة من الحياة يشعر الناس أنهم تحت النار مثلك تماماً.. و بمعنى آخر يصبحون عرضة لضغوط شديدة.. وفى هذه اللحظات يفقدون السيطرة على أعصابهم ويخلقون مواجهات غير مجدية.. وفى أمريكا على سبيل لمثال فإن عدداً لا يحصى من ساعات العمل والإنتاج يضيع هباء كل عام نتيجة مواقف الصراع والمواجهة والتوتر والمشاحنة والمجادلة!

قالت: والحل؟..

قالت: لقد أصبحت الحاجة ملحة لتغيير أنماط الاتصال بين البشر والبحث عن أنماط بديلة تحل مشكلاتهم.. إن اختيار الأسلوب المتلائم للتعامل مع المشكلات يحقق نجاحاً ملحوظاً فى حلها على أن يؤخذ فى الاعتبار احترام المرء للآخرين كوسيلة ضرورية تذيل أى مواقف صعبة معهم.. فليس كل الناس عبيداً عندك أو لا يفهمون شيئاً وأنت وحدك العالم ببواطن الأمور!..

قلت: صدقت يا أجانا.. آسف أقصد يا تيودورا!

.....

.....

وسط هذا الجو الأسطوري الحالم.. أمضيت ليلة لم يغمض لى فيها جفن..
احتار منى العقل فى حل لغز هؤلاء القوم الذين هجروا ديانتهم ومعتقداتهم
ورجعوا إلى أبعد نقطة فى الماضى.. وراحوا يتلمسون السلام والأمان والبركات
عند كهان الفراعين القدماء..

بمجرد أن لامست المركب المصرية «سيتى الثالث» شاطئى المعادى.. وتم توصيل
«فيشة» التليفون بالشاطئ.. حتى سارعت بالاتصال بهم.. من أجد عندهم
الجواب لسؤالى المحير..

بعد ساعتين.. جمعتنا جلسة طويلة تحت سفح الهرم.. وأمام أقدام أبى
الهلول... الدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار أيامها والدكتور جمال مختار
عالم المصريات والدكتور زاهى حواس الذى يحمل أول رسالة دكتوراه عن
أهرامات الجيزة..

قلت لهم: لست وحدى الذى يريد أن يعرف ما هى حكاية هؤلاء القوم

كان البادئ فى الحديث هو الدكتور أحمد قدرى: ليست هذه هى المرة الأولى
التي يعتقد فيها الناس كل أنحاء الدنيا.. بقوة الأهرامات وتأثير المعابد المصرية..
فهناك من يعتقدون فى أن المصريين ليسوا هم بناء الأهرامات.. بل قوم جاءوا من
الفضاء الخارجى.. أو من قارة أطلانتس المفقودة هم بناء الأهرامات.. وهناك
من يعتقدون فى القوة الخفية للأهرامات.. فإنك لو وضعت مثلا قطعة من اللحم
داخل الهرم فإنها تعيش مدة أطول!..

قلت: ما حكاية اللحم هذه؟

الرد للدكتور زاهى حواس: اسمحوا لى أن أحكى تجربة قمت بها عام ١٩٧٧
أمام بعثة من وكالات الأنباء العالمية.. لقد وضعت قطعة من اللحم داخل الهرم

بيضت قطعة مماثلة داخل مكتبي المجاور للهرم الأكبر.. وبعد يومين وجدنا اللحم الموجود داخل الهرم فى حالة سيئة جدا أكثر من اللحم الموجود داخل محرتى!

يتكلم الدكتور جمال مختار: إذا كان المصرى القديم يعرف قوة تأثير الأهرامات فلماذا اخترع التحنيط ووضع الجثث المحنطة داخل الأهرامات.. فلا تتفان الشكل الهرمى هو شكل دينى بحت وليس له أية صلة إطلاقا بقوة الهرم!

وأقول: مازال سؤالى بلا جواب.. ما حكاية هؤلاء القوم الذين يزيد أتباعهم على الـ ١٧ مليون إنسان فى كل أنحاء العالم وتركوا دياناتهم واتجهوا إلى آلهة نصريين القدماء؟

الدكتور أحمد قدرى يتكلم: هؤلاء الناس الذين تركوا دياناتهم إلى الحضارات القديمة كحضارة مصر وحضارة المايا المكسيكية وحضارة بيرو وحضارة الصين هم يرددون التراتيل القديمة لإحياء هذه الحضارات التى سادت ثم بادت.. إن هذا كله يدل على أن هؤلاء الناس يريدون اللجوء إلى قوة هذه الحضارات وديانات القديمة لإحلال السلام فى العالم بعيدا عن دياناتهم.. ولكن كيف يتزعمون بالتراثيل والتعاويد القديمة التى كان يقوم بها القدماء.. إن هذا لا يمكن تصديقه لأننا لا نعرف ماذا كانوا يقولون داخل معابدهم؟

قلت: ولكن من الممكن يحصلون على التراتيل من فوق جدران المعابد؟

قال: من قال إن هذه التراتيل موجودة على جدران المعابد والأهرامات.. لأن كل ما هو موجود داخل هذه المعابد هو اعتقادات المصرى القديم فى الطرق والوسائل التى سوف يقابل فيها الآلهة فى الحياة الأخرى!

قلت: إذا هؤلاء الناس يقومون بأعمال واعتقادات غير علمية؟

قال: هذا صحيح تمام!

أسأل: لماذا يعتقد العالم كله والأمريكيون بالذات فى القوة الهائلة للأهرامات والديانات المصرية القديمة ولا يعتقد فيها مثلاً المصرى ابن البلد وهو أولى بهذه المعتقدات قبل غيره؟

الجواب هذه المرة للدكتور جمال مختار والدكتور زاهى حواس: إن قوة الحضارة المصرية وشموخها وعظمتها لها التأثير الأكبر على هؤلاء الناس.. فنحن شعب اله آلاف عام قدمنا لهذا العالم علما وفنا ومعرفة وقدمنا ديناً وحضارة وقدمنا خيراً وحبا وسلاماً.. لهذا فإن كلمة مصر لها سحر غريب يسلب لب كل أجنبى.. وآه لو زار مصر ولو مرة واحدة!

.....

.....

ماذا بقى من رحلة الغرائب والعجائب؟

ماذا بقى من حكايات الناس الذين سحرتهم حضارة مصر وآلهة مصر وديانات مصر؟

للحق فقد بقى الكثير..

بقيت حكايات من يعتقدون أن المصريين ليسوا هم بناء الأهرامات ولكن الذين بنوها هم شعب أطلانتس القارة المفقودة!!

وبقيت حكايات من يعتقدون أن تحت قدم أبى الهول اليمنى سجلات وأسرار وتكنولوجيا قارة أطلانتيس التى غرقت تحت مياه المحيط؟

وبقيت حكايات من يعتقدون فى أن كل المعابد المصرية من فيلة وحتى أهرامات الجيزة كل واحد منها يمثل جزءاً من أجزاء جسم الإنسان، وأن كل معابد مصر وأهراماتها ما هى إلا جسد حى لإنسان واحد؟

ويقيت حكايات من يعتقدن أن هناك سرداً خلف لوحة الحلم بين مخلصى أبى الهول يّدى إلى معبد كامل تحت أبى الهول نفسه!

ويقيت حكايات الأمريكين وجنونهم الغريب بكل ما هو مصرى.. ولقد تعدت فى المكتبات الأمريكية خلال زيارتى الأخيرة لأمريكا أكثر من ألف كتاب كها تتحدث عن سحر الأهرامات والقوة الغامضة التى تكمن داخلها..

أنا لا أريد أن أقول لأحد يعتقد فى القوة السحرية لمصر والمصريين ولآلهة مصر وكهنتها ومعابدها.. لا تفعل ذلك.. أبداً أن نتركهم يحبون مصر ويعتقدون بها مازالت وستظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. أرض المعجزات! ■



الرمال تبوح بأسرارها!

❖ اتجاه بوصلتنا هو الغرب.. ❖

بعد ثلاث ساعات طويلة أذنت الشمس للمغيب ودخلت السيارة إلى واحة حضراء نخيلها وارف ظلالتها متدفق ماؤها.. ليقول لنا عم سيد: حمدا لله على سلامة..

هذه هي الواحات البحرية إذًا.. لا تكاد تتصور أنك في لحظة زمن تنتقل من بحشة والغربة وبحر الرمال إلى الخضرة والحياة وزقزقة العصافير وتدفق الماء في جدول صغير.. وكلب صغير ينبع وامرأة مكلمة بالسواد من رأسها إلى قدميها.. تحمل أعوادا من سعف النخيل في طريقها إلى دارها المبنية من الطوب الأخضر.. وبوابة الفندق تفتح فاهها لندخل إلى واحة أخرى.. ولكن من صنع إنسان من طوب وحجر ومصابيح وكراسي وأرائك وأجهزة تلعب بالجو من ساخن إلى بارد.. ومن بارد إلى ساخن!

→ بحر الرمال في الواحات البحرية يكشف عن كنوزه الغارقة ؟

أيقظنى زاهى حواس فى السابعة صباحاً حتى لا يفاجننا الحر وشمس
الواحات.. ونحن وسط المقابر والصخور والرمال.. قلت: يا فتاح يا عليم رجعنا
للسقا من جديد!

عندما خرجنا من الفندق الذى غيرنا اسمه من «ظلال النخيل» إلى فندق
«المومياوات الذهبية» اكتشفت أننا لسنا وحدنا.. بل معنا وفد كبير قادم من
الغرب من ألمانيا وأسكتلندا وفرنسا وأمريكا.. ومعهم خبراء فى السياحة
والصناعة داخل أتوبيس كبير مكيف.. انطلقنا نحن بالعربة الجيب.. زاهى وأنا
ومن خلفنا الأتوبيس المكيف بركابه.

وصلنا إلى موقع فى قلب الرمال بعيداً عن العمران والخضرة وجداول المياه..
نزلنا كلنا والتفنا فى دائرة صغيرة حول المكتشف الأكبر الذى يرتدى قبعته
الشهيرة التى عرفه بها الناس على شاشات التلفزيون فى مصر والعالم..

سألناه: أين نحن الآن؟

قال: أنتم فى وادى المومياوات الذهبية..

تلفتنا حولنا لم نجد إلا رمالا وصخورا وترابا وعظاما متناثرة هنا وهناك..
وأثين من الخفراء يتشاءبان داخل كوخ من الخوص وسعف النخيل.

عرف زاهى فيما نفكر. وقال لنا: كل شئ ستجدونه تحت هذه الأرض التى
نقف عليها!

يقطع بانوراما المشهد واحد من سكان الواحات يركب حماراً ومن خلفه امرأة
متشحة بالسواد تسير على قدميها.. لا يظهر منها إلا وجهها.

نسى الجميع الكشف والمكتشف وحديث المومياوات الذهبية.. وأمسكوا براكب
الحمار والمرأة التى تسير خلفه.. ترى هل هى زوجته؟.. وهل يركب الرجل
وتمشى المرأة؟

قلت: الرجل فى الريف عندنا يركب والمرأة هى التى تمشى وهى سعيدة بذلك
راضية كل الرضا.. ولو سألتموها ل قالت: يا عيب الشوم، أركب أنا وراجلى
يمشى.. ما يصحش أبداً!

يسألون عالم المصريات: هل كان الحال هكذا أيام الفراغنة؟

قال : المرأة طوال عمرها تضع الرجل فى حياتها بعد الإله مباشرة. وهى مضطعة له كل الطاعة ولا تعصى له أمراً.. فهو السيد.. وهو الأمر وهو النهار وتكن المصرى كان، يحافظ على كرامة زوجته ومكانتها فى البيت.. ويطعمها ويستقيها ويكسيها.. ويأتى لها بالعطور والنبيد والجمعة لتأكل وتشرب وتهنأ .. وكان يحبها ويدللها ويعطيها كل حقوقها ولا يطلقها إلا بمعروف.. وبعد أن تأخذ كل نصيبها حتى تعيش عيشة كريمة.. وكان لها حق ميراث الرجل.. وهى التى تشرف على أرضه وتجارته إذا رحل .. وتصيح الوصية من بعده على أولاده وينتته..

ولكن دعونا من هذا كله. إلى الذى خرجنا من أجله.. وإن كان هذا الحمار نذى يركبه هذا الرجل الذى مضى أمامنا كان سبباً فى الكشف عن وادى نوميوات!

تسأله سيدة ألمانية: هذا الحمار بالذات؟

قال: بل أخوه أو ابن عمه . كان يمتطيه حارس المنطقة الأثرية المجاورة لمعيد إسكندر الأكبر فى جولة تفقدية لحالة الأمن فى المنطقة.. وفجأة تعثرت أرجل نحمار الأمامية .. وهبطت فى فجوة بالأرض.. وسقط الحارس على الأرض ولكنه نهض سريعاً.. ليكتشف أن أرجل الحمار قد كشفت عن مقبرة أسفل لأرض وعرف ذلك من الرائحة الغريبة المنبعثة من الفجوة التى صنعها سقوط نحمار!

وانقلبت الدنيا رأساً على عقب .. وجئت إلى هنا لأقود فريق العمل للكشف عن واحد من أهم الاكتشافات الأثرية المصرية فى هذا القرن.. لم يسبق لأحد أن كتشفها من قبل..

أسأله: ولا حتى اللصوص؟

قال: ولا حتى اللصوص.. إنها مقبرة بكر. أنا أول من نزل إليها كما نزل كارتر عام ١٩٢٢ إلى مقبرة توت عنخ آمون..

يتقدمنا المكتشف صاحب القبعة العريضة إلى وادى الموميאות. هبطنا درجاً هابطاً يوصلنا إلى ممر ضيق في آخره غرفة واسعة منحوتة في الصخر.. قال لنا زاهى: هذه هي المقبرة.. طولها ٧٥ متراً وعرضها ٤٠ متراً..

الموميאות مرصوفة فوق مصاطب ارتفاعها نحو ٤٠ سنتيمتراً عن الأرض.. أكثر من خمسين من الموميאות لرجال ونساء وأطفال.. بل إن بعض الموميאות كانت فوق بعضها البعض!

أسأل: هل هي مقبرة جماعية؟

قال: أجل.. فهى مقابر أسر بالغة الثراء عاشت.. فى العصر الرومانى قبل نحو ١٨٠٠ سنة..

قلت: يعنى الموميאות هنا لأناس ليسوا من الأمراء أو الحكام أو الوزراء؟..

يرد: بل من عامة الشعب.. ومن الطبقة الثرية.. وكان عدد سكان الواحات أيامها نحو ٣٠ ألفاً.. لم يزدوا إلا ١٥ ألفاً عبر ١٨ قرناً.. وهو عدد سكان الواحات الآن!

أسأل: من أين جاءهم الثراء وهم فى واحة فى قلب الصحراء.. وهم كما نراهم الآن يا دوب يجدون لقمة العيش؟!

قال: لقد كان النبيذ بمختلف أنواعه هو المصدر الرئيسى للدخل لسكان الواحات البحرية فى العصر الرومانى.. ويبدو أن نبيذهم كان ذا شهرة واسعة. سواء نبيذ العنب أو البلح. ولقد عثر فى منطقة الحيز على مصنع ضخّم للنبيذ ملحقً بالقصر الرومانى وملايين من كسر الفخار، الذى كان يستخدم فى تعبئة النبيذ.. بالإضافة إلى قلعة ضخمة لا تزال أسوارها المشيدة بالطوب اللبن تقف شامخة شاهدة على عصر من من الثراء، كان لتجارة النبيذ السهم الوافر فيه.. الأمر الذى ساعد كبار الشخصيات والملوك بالواحات البحرية على العيش فى عيشة راغدة. وكذلك إعداد مقابر خاصة لعائلاتهم والصرف على تحنيط موميواتهم وتزيينها بالرسوم والمناظر الجنائزية المذهبة.

وكان النبيذ ينقل من الواحات حتى البهنسا فى المنيا ثم ينقل إلى مدينة
صحیح المركز التجارى المهم. الذى كان يربط صعيد مصر بدلتا النيل.

علامات الإعجاب وآيات الانبهار تظهر على وجوه القادمين من الغرب.. ولعل
حمل ما لفت انتباههم وهم يلتقطون الصور والأفلام.. طريقة لف المومياء
تضاف الكتانية.. وذلك بعد انتهاء عملية التحنيط.. حيث الطريقة الهندسية
سريعة التى تلف بها المومياء والتى تؤكد أنها تمت على يد أناس محترفين فى
المجال.. وبعض هذه المومياوات وجدت مذهبة حيث يوجد قناع Mask من
الفضة على وجه المومياء فوق اللثائف يظهر ملامح الوجه وتفاصيل الباروكة أو
الأسود العينين.. وهذا القناع مذهب ملون أيضاً باللونين الأبيض والأسود العينين
بحواجب والألوان المتعددة البراقة فى منطقة رداء الرأس.

ويهبط هذا القناع حتى الصدر حيث صورت عليه المناظر الدينية المتعددة
التي تمثل آلهة العالم الآخر ومشاهد تقديم القرابين ووجود الآلهة الحاميات
صاحب المومياء.. وذلك إلى جانب المناظر المصورة على التوابيت الخشبية..

تسأل راوية رشيد ابنة المهندس رشيد محمد رشيد وزير الصناعة، وكانت
فيها طالبة فى الأكاديمية البحرية: لقد غير الفنان المصرى القديم بين ما يميز
سراة عن الرجل بأن وضع ثديين من الجص الملون فوق صدر الأنسة. هل هذا
صحیح؟

المكتشف يرد: استنتاج سليم تماماً..

تسأل: هل فحصتم هذه المومياوات بأشعة إكس مثلاً لتعرفوا أصلها وفصلها؟
قائلاً: لقد تم بالفعل جلب مومياء من هنا وذلك لفحصها ودراستها بمعمل
نجيزة، وأطلق على المومياء اسم مستر إكس..

تسأل: ولماذا لم تطلقوا عليها اسم مستر خنوم أو مستر خنسو.. يعنى اسم
فرعونى أوحتى مستر زاهى!

نضحك كلنا للقفشة.. ويفاجئنا المكتشف صاحب القبعة العريضة بقوله: أنت
تضحكون الآن فى وادى الضحك والفرغشة والانبساط والمرح.

قالوا فى نفس واحد: ياه.. أين هو؟

قال: من أروع ما عثرنا عليه هنا فى وادى الموميאות.. تلك الأوانى التى صور
عليها الإله بس إله المرح والسعادة بهيئته الطريفة التى يمثل عليها فى صورة قزم
قصير القامة رأس أسد ضخمة..

ويبدو أنه كان لـ «بس» دور كبير فى الواحات البحرية.. يؤكد ذلك ما كشف عنه
من معبد خاص بعبادته مشيد من الطوب اللبن.. ويشتمل على العديد من
الصالات المعمدة والحجرات، والتى يبدو أن مراسم وطقوس الأعياد والاحتفالات
كانت تجرى به.. ومن هذا المعبد تم الكشف عن أروع تمثال للإله بس فى مصر
كلها.. التمثال من الحجر الرملى الملون، ويمثل بس بهيئته القزمة مرتدياً جلد
القرود..

كان تعليق السيدة الألمانية قبل أن نصعد إلى أعلى حيث الشمس والنور: -
أجمل وجوه الموميאות التى رسمها الفنان المصرى.. وجه المرأة كامل الماكياج
بالرिमيل وأحمر الخدود والماسكارا.. والأطفال وجوههم بريئة مزينة..

والرجال فيهم صلابة وحزم وإصرار!

يسأل القادم من بلاد البرد والضباب فى أسكتلندا: كم من الموميאות عثرت
عليها هنا؟

قال زاهى: الرقم كبير جداً.. ٢٣٤ مومياء حتى الآن ومن المتوقع أن يصل إلى
عشرة آلاف مومياء.. قلت: دول عدد سكان مدينة بحالها!

قال: إنها أضخم جبانة أثرية فى تاريخ مصر كلها!

نخرج إلى السطح.. إلى النور.. إلى الشمس.. ندوس بأقدامنا على بقايا
عظام مختلطة بالرمال والحصب، يمسك الفرنسى بعظمة ساق ويقول: هذه عظمة
ساق إنسان.. مؤكداً!

قلت مازحا: دى عظمة ساق لص من لصوص المقابر . لم يستطع الهرب بما
— رقى!

قال: طيب.. وفك الحمار هذا.. من أين جاء؟

يرد زاهى حواس بمكر: يا سيدى ما تدقش.. ده فك الحمار الذى كان يركبه
عس الآثار..

نضحك كلنا لقفشته..

.....

.....

اننصف النهار.. شمس الواحات تلسع الوجوه.. الكل يرتدى غطاء الرأس من
رانيط وطواقى ولاسات.. حتى الهدهد الجميل الشامخ الرأس الذى أبلغ سيدنا
سليمان عليه السلام بما يفعله قوم الملكة بلقيس ملكة سبأ . احتفى من أشعة
شمس بأوراق الشجر..

قال زاهى: لدى نسخة حقيقية من الموناليزا!

قال الرفاق فى دهشة: لوحة على جدران مقبرة تشبه الموناليزا؟!

قال: بل امرأة جميلة فى تابوتها عاشت قبل نحو ١٨٠٠ سنة..

قالوا: نريد أن نشاهدها .

قال: نحن ذاهبون إليها..

نهبط بضع سلمات حجرية توصلنا إلى ممر طويل، ثم إلى صالة مستطيلة..
وفى داخل الحوائط كانت ترقد المومياءات كل واحدة تحمل قناعاً عليه ملامح
وجه المومياء بتصوير واقعى رائع.. كان أجمل ما عثر عليه فى هذه المقبرة
مومياء لطفل صغير عمره لا يتجاوز الثالثة.. يرقد إلى جوار أبيه وأمه.. وعلى
وجهه قناع يصور الطفل كما لو كان يبكى!

تقول السيدة الألمانية والدموع فى عينيها فى تأثر بالغ: يالطول بكاه.. طفل
صغير مازال يبكى طوال ١٨٠٠ سنة!

يسأل القادم من بلاد الضباب والبرد الشديد: ولكن أين الموناليزا؟

قال: لقد كانت هنا ..

يسأل الجميع فى صوت واحد: وأين ذهبت إذا؟

قال: إنها راقدة الآن فى أمان فى قاعة الموميאות فى مدينة الباويطى

عاصمة الواحات البحرية ..

قالوا: نذهب إليها ..

نصعد مرة أخرى إلى السطح .. تاركين نحو إحدى عشرة مومياء كلهم من

أفراد عائلة واحدة عاشت هنا قبل ١٨ قرنا من الزمان ..

نحن الآن فى قاعة الموميאות فى مدينة الباويطى .. كلنا يقف فى خشوع

وادب وانبهار أمام الموناليزا .. هى سيدة مصرية على وجهها قناع جميل تتميز

بالأنف الطويل والشفاه الرقيقة المصبوغة بأحمر الشفاه والعيون الواسعة المحلاة

بالكحل .. ونظرة غريبة من عينيها فيها أسرار وغموض . كانت عيون السيدة تنظر

إلينا ونحن نسألها من أنت؟ .. وهى تسألنا بدورها من أنتم؟ .. ومن أين أنتم ..

ومن جاء بكم إلى هنا؟ .. أسئلة طارت فى الهواء بلا جواب!

ولأننا فى عالم كله نساء فى نساء .. تقود فيه المرأة العالم كله .. سواء رضيت

أم لم نرض .. فقد كان اليوم كله هو يوم المرأة حتى التى رحلت عنا قبل ١٨٠٠

عام ..

يعلن المكتشف الأكبر أننا فى طريقنا الآن إلى زيارة رسمية لزوجة حاك

الواحات قبل ١٨ قرنا .. والذى اسمه: جد . خنسوا يوف عنخ ..

تسأل التلميذة النجيبة القادمة من الإسكندرية: وما اسم هذه السيدة الجمينة

زوجة الحاكم الميجل؟

قال : اسمها ناعس ..

قلت فى انفعال : يا أختى اسمها ناعسة.. وهو اسم زوجة نبي الله أيوب عليه
السلام. صحيح أنها ليست زوجة النبي أيوب ولا زوجها هو نبي الله أيوب.. لأننا
سمع أن سيدنا أيوب أكثر الرجال صبراً فى التاريخ كله.. كان حاكماً للوحدات
بحرية!

تعبط مرة أخرى عبر سلم خشبى إلى قلب مقبرة ناعسة زوجة حاكم
تحت.. الذى حكم الواحات البحرية فى عصر الملك أحسن الثانى إبان الأسرة
السيدة والعشرين التى حكمت مصر قبل ٢٥٠٠ عام..

نحن الآن فى موقع الشيخ سوبى بمدينة البايوطى عاصمة الواحات البحرية.
- فى زاهى حواس على مفتش الآثار: فى الكشافات يا محمد ؟

يتحول المكان إلى كتلة من النور بعد إضاءة الكشافات.. يشير المكتشف الأكبر
- تابوت أمامنا من الحجر الجيرى.. الذى أحضره المصرى القديم من محاجر
سنة مسافراً على ظهر مركب فى النيل حتى البهنسا فى المنيا.. ثم جره خلف
حمير إلى هنا مسافة تزيد على ٢٠٠ كيلو متر عبر طريق النبيذ.

تابوت بداخله ناعسة زوجة الحاكم.. ولكن داخل المومياء كانت هناك مفاجأة
- يقول المكتشف الأكبر لم أتوقعها..

نصمت أصبح سيد الموقف.. فردنا إيريالات أذاننا حتى سقف المقبرة لنعرف
- كانت تخفى مومياء ناعسة!

قال وهو يستند بظهره إلى حجر كبير: لقد عثرنا داخلها على قطعة ذهبية
نقية.. تميمة بديعة الصنع من الذهب الخالص.. فريدة فى نوعها. تمثل اسم
ملك واح إيب رع وهو عبارة عن قلب يعلوه قرص الشمس. وقد قام المصرى
قديم بتشكيل اسم الملك على هذه التميمة.. حيث شكل الجزء العلوى من القلب
- يمثل كلمة واح بالهيراوغليفية. ثم القلب ويعنى إيب ثم قرص الشمس وهو
.. وبالتالي يكون اسم الملك واح إيب رع.

عثرنا على خاتم جميل من الذهب حول إصبع السيدة الجميلة من الذهب الذى يمثل أوزوريس إله العالم الآخر. وثلاثة جعارين منها جعران كبير للقلب، بالإضافة إلى تماثيل من الأحجار الكريمة المختلفة من الفيروز الأماديست واللازوارت.. منها واحدة بديعة الصنع تمثل رأساً قاعدة ذهبية.

.....

.....

ما زلنا نخطو بأقدامنا فوق رمال الواحات البحرية على مسافة ٢٦٥ كيلو مترا إلى الغرب من القاهرة..

أسأل المكتشف الأكبر: لماذا لم تأخذنا حتى الآن إلى حاكم الواحات البحرية لتتعرف عليه ونكون فى شرف معيته؟

قال: أنت دائماً تسأل بعد أن نكون قد أعدنا الإجابة عن سؤالك..

قلت: تقصد أننا فى الطريق إلى حاكم الواحات البحرية؟

قال: هذا صحيح.. وأسمه كما قلنا من قبل جد خنسو بوف عنخ.. وقد كان حاكماً قويا من الحكام الكبار الذين يعمل لهم حساب إبان حكم الملك أحمر الثانى.. وهو أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين التى حكمت مصر قبل ٢٠٠٠ سنة.

الشمس مازالت ساخنة.. والقبعات فى انتظارها فوق الرعوس.. وصل الركاب إلى قلب مدينة الباويطى عاصمة الواحات البحرية ليعلم المكتشف الأكبر أنه الآن فى جبانة الشيخ سوبى..

أسأله: من هو الشيخ سوبى هذا؟

قال: إنه ولى من أولياء الله الصالحين.. ومن المتصوفين المعروفين. جاء إلى هنا مع الفتح الإسلامى.. وعندما مات أقاموا له ضريحاً فوق قبة صخرية فى منطقة مقابر الأسرة السادسة والعشرين.

نشهد أمامنا بيوت سكان الواحات البسيطة قليلة الهمة. قصيرة القـ
مجرد دور واحد من الطوب اللبن.. وأسقف من الخشب والبوص وأعواد الشجر
بيوت كثيرة مهدمة أو أزيلت بالكامل.. فى مكانها آبار تفتح فاهها تشير إلى
موقع حفر وكشف جديدة.

جلسنا تحت عشة خفير الموقع.. وهى المكان الظليل الوحيد فى المنطقة
نريحة التى لم أجد فيها بنى آدم واحد .. أو حتى جرو صغير ينبج..

يتكلم زاهى حواس كعادته قبل أن ننزل إلى أعماق المقابر: لقد سبقنى . إلى
هذا الموقع أستاذى وأستاذ الأجيال الأثرى د. أحمد فخرى رحمه الله.. الذى
تخف عن ثلاث مقابر هنا الأفراد من الأسرة الحاكمة. وهى مقابر تاتى وتنفـ
بـنـتار.. ثم توقف الحفر هنا نحو نصف قرن حتى تعثرت قدم حمار فى وادى
سـمـياوات.. لنعود كلنا إلى هنا من جديد.. وقد أزلنا عددا من البيوت المقامة
حصـة فوق المقابر الأثرية. وعوضنا الأهالى التعويض المناسب .. ولسوف نزيل
سـمـ من البيوت بحثا عن باقى أفراد أسرة حاكم الواحات.. وهى مكونة من ١٦
سـمـ .. وعشرنا حتى الآن على سبعة منهم.. وكلنا نعرف اسم الحاكم واسم زوجته
سـمـ أو ناعسة.. كما تقول.. وهى زوجته الثانية.

قاطعـه: علشان كده لما ماتت دفنـها فى مقبرة ثانية!

نهبط سلما خشبيا من عشر درجات.. إلى حفرة فى باطن الأرض وتقدمنا
سـمـ الأكبر فى خفة النهـد ورشاقة الغزال.. كأنه يتتزه على الكورنيش.. بينما
حـمـ نحاول أن نجد موطننا لقدمنا وسط الكتل الحجرية والرمال..

مصـابيح كهربائية أضاءت لنا الطريق .وبدأنا ندخل فى سرداب سرداب وراء
سـمـ ب.. لتوقف تحت سقف حجرة مزينة بصور طائر العقاب فاردا جناحيه مع
سـمـ لصاحب المقبرة.. والآلهة المصرية. وعلى جدار آخر نقوش بالخط
سـمـ يغلفى نقرأ منها فصلا من فصول كتاب الموتى..

سـال: اقرأ لنا يا سيدى.. هل لهذا الحاكم أخطاء أو خطايا كتبها على جدران
شـرة حتى يغفر له الإله الأعظم؟

قال: أجل.. هذا صحيح.. وهو يتضرع إلى الإله أن يغفر له بعض أخطائه
ولكنه لم يكتبها صراحة!

ينظر المكتشف الأكبر إلى فتحة صغيرة فى أسفل الجدار ويقول: سوف ندخل
كلنا من هذه الفتحة الصغيرة.. وكانت مهمة صعبة استقبلتها المجموعة النسائية
بترحاب شديد.. قبل أن ندلف إلى ما وراء هذه الفتحة الضيقة.. سألتناه عن
سرها؟

قال: عندما وصلنا إلى هذه الحجرة لم نجد شيئاً لا خلفها ولا بعده
فاحترنا هل هذه هى نهاية المقبرة فعلاً.. وأين تابوت حاكم الواحات البحرية؟

لم يكن يخطر ببال أحد من أفراد البعثة أن أحد جدران هذه المقبرة قد يخفى
وراء حجرة دفن الحاكم اللغز عندما أزلنا كتلة حجرية صغيرة من أحد الجدران
أثناء عمليات التنظيف.. ظهرت هذه الفتحة الصغيرة. وكنت أول المتسللين خلف
لأجد أمامى حجرة دفن الحاكم الذى حيرنا طويلاً..

تسللنا كلنا واحداً بعد الآخر. النساء فى المقدمة لنجد أنفسنا أمام تابوت كبير
يكاد يبتلع الحجرة بأكملها.. وهو تابوت من الحجر الجيرى ربما حصل عليه
هدية من الملك أحمر الثانى.. حيث كانت محاجر طرة من الأملاك الملكية التى
لا يمكن لأحد أن يستخدمها دون إذن الملك نفسه.. وكان التابوت مكتوباً عليه اسم
الحاكم وألقابه التى حصل عليها فى حياته: الأمير الوراى الحاكم الكاهن
أوزير.. ولا تدرون كم واجهنا من متاعب ونحن نعمل فى إزالة بودرة صفراء ذات
رائحة كريهة بل وقاتلة تملأ الحجرة حتى السقف. ولكننا بالهمة والعزم أزلناه
خلال أسبوعين.. وجاءت مشكلة رفع غطاء التابوت الضخم.. وقد استعنا بالريس
أحمد الكريتى فى فتح التوابيت الضخمة. وبعد ٦ ساعات كاملة تم فتح التابوت.
وبداخله عثرنا على تابوت أصغر من الألباستر.. بداخله كانت المفاجأة الكبرى
فى انتظارنا. عندما كشف التابوت الثانى عن الهيكل العظمى لحاكم الواحات
اللغز فى حالة سيئة!

ترك الحاكم فى موقعه الذى اختاره بعد أن قدمنا له مراسم التيجان

ترك الحاكم فى موقعه الذى اختاره بعد أن قدمنا له مراسم التبجيل
تتجيد. ثم سعدنا إلى النور والشمس .. إلى الجو القائظ.. لتحملنا العربية
سيفة فى طريق عودتنا بعد يوم مضمّن إلى الفندق المريح.. تحت ظلال النخيل.
فى الطريق يسأل القادم من أسكتلندا: أين تمثال الإله بس القزم المهرج
عحك؟

قال: إنه فى المتحف مع مومياء الموناليزا.

يعود يسأل: نذهب إليه لكى يخفف عنا عناء هذا اليوم الشاق!
عندنا مرة أخرى إلى المتحف لتأمل تمثال الإله بس إله الضحك والفرشة.
قدماء المصريين.

بس أمامنا يكاد يضحك. عمره مع الضحك والفرشة والمرح والتسلية نحو
سبعة آلاف عام متصلة.. ومصر عمرها نفس المشوار.. ولكن مع الهم والغم
حروب والغزاه والكرب العظيم.. ولأن الإنسان المصرى طوال عمره مظلوم
سجور فقد خلق لنفسه إلهًا للضحك اسمه الإله بس!

لأن عرفنا لماذا المصريون دائماً يضحكون ويسخرون!

.....

.....

كعادته أيقظنى رفيق الطريق فى السابعة صباحاً.. بعدها بساعة كان
توبيس المكيف ينطلق بنا فى طريقه إلى واحة الفرافرة على بعد نحو ١٦٠ كيلو
سراً إلى الغرب من الواحات البحرية.

أسال: إلى أين نحن ذاهبون يا قائد الفريق؟

قال: إلى بحر الرمال البيضاء.

فى الطريق الطويل قلت لرفيق الرحلات والسفر: ألم تلاحظ أن الحمار كان
سماً مشتركاً بينك وبين كارتر مكتشف توت عنخ آمون.. رغم أن المسافة بينكما
حز ٨٠ سنة؟

قال ضاحكا: تقصد الحمار الذى كان سبباً فى كشف توت عنخ آمون
والموميאות الذهبية..

قلت بالضبط .. ولكن الفرق بينهما أن هذا حمار صغيرى.. وهذا حمار
بحراوى..

قال: لا تنس أن هذا الحمار المصرى هو الذى حمل الحضارة المصرية على
ظهره!

قلت: لماذا أطلقت على الموميאות هنا . الموميאות الذهبية؟

قال: لأنها مغطاة برقائق من الذهب..

قلت: هل صحيح أنها مقابر للناس كلها . يعنى لعامة الشعب؟

قال: ليس لعامة الشعب وحدهم.. ولكن لكبار القوم والحكام والتجار والناشر
الميسوطين . يعنى الأغنياء..وكما قلت لك فإن مظاهر الثراء كانت واضحة من
بسبب رواج تجارة النبيذ .. حتى أن تجار النبيذ بنوا مقابر رائعة لهم.. أما عامة
الشعب فقد كانت لهم مقابرهم البسيطة المتواضعة!

.....

.....

الشمس فى الخارج ترفقت بنا قليلا فسحبت بعضا من حرارة شعاعها..
ونحن ننزل من الأتوبيس المكيف إلى رمال الصحراء.. تحملنا عربات جيب قوية
قادرة على الغوص فى بحر الرمال..

ليس سهلا على الإنسان ركوب عربة تشيله وتحطه وتهبده وهى تجرى بسرعة
فوق الرمال الناعمة لمدة ساعة كاملة. ولكن رغم المشقة كان للجبال والجمال
والتلال وبحور الرمال فعل السحر.. فى مسح المشقة الجميلة حتى وصلنا إلى
قلب بحر المرمال البيضاء..

شهد مع شمس الغروب لوحة لا يشعر بجمالها إلا من شاهدها وعاشها
— وبكيانه.. ويملاً عيونه وعقله من هذا الجمال البكر، الذي مازال على حاله
— خلقه الله قبل أكثر من مائة مليون سنة!

هوز برية متحجرة.. وأقماع سكر من الحجر الجيري الأبيض الناعم الملمس
حـ وتلال وأهرامات صنعتها يد الخالق وأبو الهول نفسه وجدناه رابضاً على
— نحو خمسمائة كيلو متر من القاهرة فى قلب الرمال.. ولكنه هذه المرة من
— خالق سبحانه وتعالى.

ركب مرة أخرى السيارات القوية الرباعية الدفع موغلين فى قلب الصحراء
— حرة.. إلى مكان بين أربعة جبال شاهقة.. ويتوقف الركب ليعلن قائد
— مدبرة: لسوف نقضى ليلتنا هنا!

قلنا : هنا!

قال : نعم..

قلنا : لن نعصى لك أمراً!

انحرفنا قليلاً إلى اليمين لنجد أمامنا فندقاً من الخيام الجميلة الملونة.. كل
— فيه سريران.. وقاعة للطعام على هيئة مظلة تحملها أعمدة على هيئة أغصان
— التوتس ومسدل عليها تندات ملونة.. وجلسات عربية فوق الرمال.. وفرقة
— موسيقية تعزف وتغنى للإنسان والشمس والهواء والقلوب العذراء.

كأننا فى حلم أو فى مدينة صحراوية فى ستوديوهات السينما فى هوليوود..
— بهذه المصابيح الكهربائية حولت المكان إلى قطعة من النور..

كان العشاء مثيراً.. خروفاً مشويماً فى حفرة موقدة تحت الرمال...

حول مائدة طويلة كان جلوسنا... تحدثنا كثيراً.. ولكن ما دام هنا طعام

وشواء.. فقد كان الحديث كله عن المرأة..

قال المرشد السياحي الشاب: أنا عمر زوجي عشر سنوات ومازلت أعيش في شهر غسل متصل!

قال الفرنسي: الحب ينتهي يا عزيزي بعد سنة من الزواج!

وقال الأسكتلندي: إذا تزوجت امرأة تحبها تدلت وتمنعت وتكبرت وتجبرت.. وإذا تزوجت امرأة تحبك عذبتك غيرة وشكا!

وقال رجل الأعمال المهندس رشيد محمد رشيد قبل أن يصبح وزيراً للصناعة أمام زوجته المصرية: مهما فعلت للمرأة فهي لا تحمد الله أبداً.. وإذا قدمت لي كل شيء وقصرت يوماً واحداً في شيء.. نسيت كل شيء وكان جوابها: هو إنت عملت لي حاجة أبداً!

لم تغضب الزوجة المصرية الصابرة المثابرة واكتفت بابتسامة على وجهها..

وعقب الفرنسي أمام زوجته الألمانية: هذا صحيح تماماً..

وقالت زوجته الألمانية: لماذا يتأخر مادام يقدم كل شيء.. فعليه أن يستمر في عطائه.. ولا يقصر أبداً.. إلا إذا مرض أو أفلس أو مات!

سألوا حامى حمى الحضارة المصرية: وماذا عن المرأة الفرعونية؟

قال: كانت الحب كله والحنان والأدب كله والطاعة كلها... وكانت تعشق المرح والفرشة ولا تنكح على زوجها أبداً..

قلت: أمال إيه اللي جرى لحفيدتها بس!

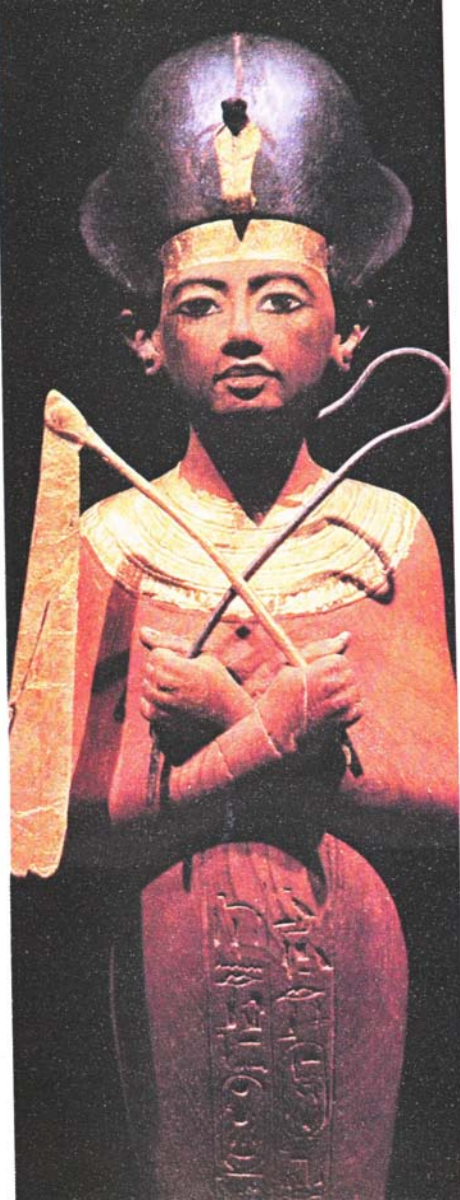
.....

.....

وكننا لم نتم ليلتها

سابتنا لعنة الفراغنة فجاءت بعاصفة أطاحت بالخيام كلها.. وبتنا ليلتنا

حس العربات وسط الجبال الموحشة! ■



أنا المصرى

لم أكن أتخيل وأنا الذى يتيه فخرا وخيلاء بعظمة أجداده ومجد بلاده.. أن هناك هوساً وجنوناً وافتتاناً وعشقاً حتى النخاع بهؤلاء الأجداد العظام أكبر كثير مما نحمله لهم نحن الأحفاد.. إلا عندما هبطت طائرة الموكب الملكى نصرى فى مطار روما.. واستقبلتنا أمة لا إله إلا الله من الطليان الفرنجة بزفة إعلامية صحفية تليفزيونية لا مثيل لها عند سلم الطائرة..!

الأضواء تلمع والفلاشات تبرق وعدسات المصورين مصوية إلى وجوه ملوك مصر العظام الذين هبطوا السلم، وهم يرتدون لباسهم الملكى والتيجان المرصعة فرق رؤوسهم تضوى وتشرق فوق أرض القياصرة والأباطرة الذين دانت لهم الدنيا قبيل الزمان بزمان...

فى المقدمة الملكة حتشبسوت بجمالها الذى لا يقاوم.. وكما وصفوها فى زمانها: أجمل من أى شىء آخر يمكن أن تراه فى حياتك.. وهى تستند إلى ذراع ملك أحمر الأول محمر مصر من الهكسوس الرعاة الغزاة.. ومن خلفها

→ كنوز توت عنخ آمون بهرت العالم كله.

أمنحوتب الثانى وأمنحوتب الثالث والذى شهد عصره أعظم نهضة فنية مصرية وإن كانت له شهرة أكثر فى عالم الحرير.. ومن بعدهما حور محب القائل الشجاع الذى اعتلى عرش مصر فى وقت محنة وزمن عصيب بعد أن انهارت دولة أخناتون وتعاليمه ودينه الذى يدعو إلى عبادة الإله الواحد الأحد... وفى آخر الطابور كان من أزعج أنه رسول من الرسل الذين أرسلهم الله إلى الناس بالسلام والحق والعدل والحب والفضيلة وإن لم يذكر ضمن من ذكرهم القرآن الكريم فى قصصه.. كان أخناتون ساهماً ولكن ليس متجهماً.. النور يشع من وجهه والرحمة والسكينة فى عينيه..

الكل من قبيلة الميديا الغربية تركوا الملوك الذين صنعوا أمجاداً وانتصارات وبنوا حضارة نضرة على أكتافهم طوبى من فوق طوبى.. والتقوا من حول الملكة القوية القادرة المتمكنة القاهرة بجمالها وسلطاتها وعرشها.. يحاولون إجراء أول حديث تليفزيونى فى العالم مع من قهرت الملوك والزمن الدسائس.. وقهره الحب وحده!

قلت لرفيق رحلتى الزميل العزيز مفيد فوزى: لا أحد يعرفنا هنا يا عزيزى ومكاننا فى هذه اللحظات بين المتفرجين!

قال بلهجة التحدى والحماس والثقة التى لا تفارقه أبداً: المصريون يا عزيزى لا يجلسون أبداً فى مقاعد المتفرجين. نحن أسياد العالم بحضارتنا ومازلنا وم يجرى أمامك الآن هو أبلغ دليل على ما أقول!

ألمح علامة انزعاج وقلق وخوف فوق وجه قائد الرحلة الملكية ممدوح الدماطى مدير المتحف المصرى وهؤلاء الملوك والملكات أمانة فى عنقه حتى يصل بهم إلى بر الأمان فى ملتقى الفراغت على أرض البندقية.. سألته بلهفة: ما الخبر؟

قال: لقد اختفى أعظم ملوك مصر قاطبة رمسيس الثانى.. ومعه ابنه الملك مرنبتاح.. ربما لم يهبطا بعد من الطائرة..!

قلت: وربما ذابا وسط الزحام!

قال فى هلع: تبقى ليلة لم يطلع لها فجر!

قال رفيقنا الثالث الدكتور هشام الشريف، وهو واحد من أعظم العقول
نصرية: ربما اختطفاهما رجال الميديا ولهم آلاعب شيطانية فى هذه المناسبات
أعرفهم جيدا!

أخذتني الحيرة على جناحيها الأغبين.. هل أذهب معهما لكي أبحث عن
عظم ملوك وابنه المفقودين فى مطار روما؟

أم أبقى هنا إلى جانب الجمال الذى تمثله ملكة مصرية عاشقة أقامت الدنيا
وتم تقعدها قبل خمسة وثلاثين قرنا من الزمان.. وأتابع حديثها إلى تليفزيونات
نعالم؟

وينتصر الجمال على القلق...

وقفت أتأمل الجمال المصرى الملكى وهو وفى أبهى زينة وأجمل حلة وأروع
غناء.. وأضواء تليفزيونات العالم تحاصره بالصورة والسؤال بلا هوادة.. والملكة
نصرية واقفة ثابتة رابطة الجأش قوية الحجة سريعة البديهة لبقة العبارات
فيقة اللفظات أسرة النظرات ساحرة البسمات..

سألوها: لماذا كل هذا الكره بينك وبين الملك تحتمس الثالث؟

قالت: من خلال مترجمها والناطق بلسانها ممدوح الدماطى : لقد كان صغيراً
على الحكم وكنت أنا كبيرة وقادرة على إدارة دفة البلاد بحكمة وعقل .. وقد كنت
أحكم قبل أن يشاركنى هو فى الحكم حتى من أيام أبى الملك تحتمس الأول
وزوجى الملك تحتمس الثانى.. وقد فرضوه زوجاً على حسب التقاليد الملكية ..
وقد اصطدمت طموحاتنا معاً.. امرأة طموحة إلى أبعد حدود تريد أن تحكم
بجدها وملك شاب يريد أن يعتلى العرش وحده!

سألوها: هل حقيقة قد أحببت المهندس الذى اسمه سنحوت الذى شيد لك
معبدك الذى نعرفه اليوم باسم معبد الدير البحرى على الضفة الغربية من نيل
الأقصر؟

قالت بكلمات كلها تنهيد: لم أكن أعرف أن الحب عندكم عيب وخطيئة .. وأجدادكم الرومان كان الحب بينهم مشاعرا، ومتاعا وبلا حدود وبلا قيود .. ثم إنكم تحملون الأمور أكثر من طاقتها .. المؤرخون عادة بعد انقضاء زماننا يحاولون دائما أن ينبشوا في بطون الأحداث لكي يسلطوا الأضواء على علاقة بين ملكة ومهندس معبدها .. وقد كان مقرباً منى بالطبع طوال فترة عمله في بناء المعبد العظيم الذي مازال قائماً حتي يومنا هذا .. وكنا نلتقي كل يوم تقريبا ،، وربما في اليوم الواحد عدة مرات.

يكررون السؤال في جرأة دون احترام لمشاعر امرأة كانت ملكة على مصر نريد إجابة واضحة وصريحة.

هل كانت بينكما قصة حب حقيقية أم لا؟

قالت فيما يشبه الغضب المكتوم في صدرها وإن لم يظهر على ملامحها مكنونات الصدور: لا يحق لأحد أن يطلع عليها . هذا شأنى وشأنه .. إذا أراد هو أن يقول شيئا هذا حقه .. أسألوه؟

قالوا: أين هو الآن. هل حضر معك؟

الرد من الحارس والحامى والمرافق: لا لم يحضرا!

أنهت الملكة حثشبسوت الحوار الدرامى بقولها: اتركونا نسعد فوق أرضكم وفي ضيافتكم وسوف نلتقى معاً فى البندقية مع ملوك وملكات مصر العظام الذين قدموا للعالم أعظم ما عندهم من فن وعلم وأدب وشعر وغناء وموسيقى وبناء وطب وحساب وفلك ودين .. أما الحب فهو الذى جعلنا نصنع كل هذا، ونقدم كل هذا للعالم كلها .. أما ما يحرك القلوب ويوقظ المشاعر فهو من حق أصحابه فقط .. والحب كما تعلمون إذا كشف عنه الغطاء تحول إلى سراب ووهو وقصاصة ورق بلا خطوط وبلا كلمات!

انتهى المؤتمر الصحفى لأول ملكة مصرية خرجت من قلب التاريخ لتحدث العالم على شاشات التلفزيون وعبر الأقمار الصناعية .. والغريب أن أحداً له

يشتت إلى أنه كان من حولها ساعة اللقاء ملوك عظام حكموا وسادوا وحققوا
نتصارات وسطروا اسمهم فى كتب التاريخ .. وكانوا ملء سمع الزمان وبصره ..
حمس الأول وأمنحوتب الثانى وأمنحوتب الثالث وحمور محب وأخناتون العظيم!

.....

.....

لا أعرف كيف تمتزج الفرحة بالقلق..

الفرحة للاستقبال الأسطورى للملكة حتشبسوت فى مطار روما .. والقلق الذى
يكل بالصدور لفقدان اثنين من أعظم ملوك مصر قاطبة .. رمسيس الثانى وابنه
مرنبتاح .. كأنهما فص ملح وذاب وسط موجات الزحام فى مطار روما!

لأن رفيق الطريق والرحلات والأسفار فى المدن والأمطار قد تخلف عن السفر
معنا إلى ملتقى الفراعنة فى فينسيا لأنه كان مشغولا بالإعداد لرحلة الروبوت
تصغير فى قلب الهرم الأكبر .. للكشف عما خفى من الغازه وخفاياه .. فقد قلت
فى نفسى: لماذا نقلق نحن هنا فى روما وهو خلى البال فى القاهرة .. فلنزعجه
وننص عليه راحة باله بخبر اختفاء ملكين من ملوكه!

اتصلت به عبر الساحر الصغير الذى اسمه المحمول وأخبرته باختفاء الملكين
فى مطار روما ..

قال بانزعاج شديد: كيف حدث هذا؟ .. وأين كنتم؟ .. وأين ممدح الدماطى
نستول الأول عن الملوك والملكات المسافرين بصحبته إلى فينسيا؟ .. أخبرونى أولا
بأول بتطورات الموقف .. وإذا لم تصلوا إلى حل وتعثروا عليهما فى خلال نصف
ساعة فسوف أبلغ الإنترنت للبحث عنهما . إن كل العيون تترصد بآثار مصر
الخالدة .. ولسنا على استعداد لكى نفقد اثنين من أعظم ملوك مصر كلها؟ ..

ولأن القاق إذا تقاسمه أكثر من فرد يصبح هيناً وليناً ومقبولاً ..

فقد شعرت بعد أن تكلمت مع د . زاهى حواس عالم المصريات والأمين العام
لهيئة الآثار بشيء من الراحة وكأنتى قد أزحت حجراً من فوق صدرى.

أخبرت ممدوح الدماطى بمكالمتى مع د. زهى حواس الذى قال: كان الأفضل
ألا نزرعه بهذا الخبر غير السار.. حتى نفقد الأمل بالعثور على التائهيين!
قلت: خليك مع حتشبسوت ورفاقها من ملوك مصر فى استراحة الدرجة
الأولى حتى أعود إليك بالخبر اليقين..

رحت أجرى هنا وهناك ومعى الصديق سعيد قاعود وهو مصرى مقيم هنا فى
إيطاليا منذ أكثر من ربع قرن ويطلق عليه المصريون هنا عمدة روما.. وبعد بحث
وجرى وصعود مصاعد وركوب قطارات كهربائية بدون سائق.. وجدنا زحاما ومة
وهيصة.. قال سعيد: إنهما هنا بالتأكيد..

نفتنا خلال الزحام فإذا بنا نجد الملكين التائهيين ومعهما مفيد فوزى
ود. هشام الشريف يحيطان بهما.. واحد يمسك بذراع الملك، مسيس.. والثانى
يمسك بذراع الملك مرتبتاح..

سألت: ما الخبر؟

قال مفيد فوزى: لقد أخذهما اثنان من الصحفيين وتسلا بهما وسط الزحام
إلى هذا المكان البعيد لكى يتحدثا إليهما وقد اختارهما بالذات!

أسأل: لماذا؟

الجواب للدكتور هشام الشريف: المسألة واضحة وضوح الشمس.. لقد
اختارهما صحفيان إيطاليان من الدارسين للتاريخ المصرى.. هما يريدان أن
يعرفا أيا منهما هو فرعون الخروج؟

قلت: اليهود بالذات يهتمون بهذه النقطة.. لأنها تقودهم إلى هذا الادعاء
الكاذب الذى خرج به علينا مناحم بيجن رئيس الوزراء الإسرائيلى حينما زعم أن
أجداده هم بناء الأهرام، ولأن قوم سيدنا موسى عليه السلام كانوا فى مصر فى
أيام بناء الأهرامات، وأنهم شاركوا فى بنائها بوصفهم عبيداً للمصريين!

أسأل: وبماذا أجاب الملكان؟

قال الدكتور هشام الشريف صحيح أننى عضو فى المجلس الأعلى للأثار
: لكننى لا أتكلم الهيروغليفية ..

ولأن أحداً لا يعرف الهيروغليفية هنا فالمكان يتكلمان لغة لا يفهمها أحد ولا
حتى نحن!

انشقت الأرض وأخرجت من باطنها أكثر العالمين بلغة الفراعين العظام .. وكان
: ما نتمناه الساعة نجده هنا فى روما ..

جاء ممدوح الدماطى وقد تقطعت أنفاسه من العدو فهو المسئول الأول عن
سلامة ما فى جعبته من ملوك وملكات مصر فى رحلتهم إلى أرض البندقية .
ينفرحته بالعثور على الملكين التائهين جلس على أول مقعد وهو يحاول أن يلتقط
نفسه الضائعة .

قال مفيد فوزى: اتصل بزاهى حواس وأخبره أننا قد عثرنا على الملكين:
قلت: خليه يقلق شوية ولنراقب معا حوار الصحفيين الإيدئاليين مع الملكين
عظيمين...

سأل الصحفيان: أيكما الملك الذى تحدثت عنه التوراة فى سفر الخروج؟
قلت فى نفسى دون صوت: ها قد ظهرت هويتكما!
قال الملك رمسيس الثانى عبر مترجمه: لا أعرف عما تسأل .. أنا لم أقرأ
توراة التى تتحدثان عنها!

قال الصحفيان ألمعت أنت يا مولانا الذى طرد اليهود من مصر؟
قال رمسيس الثانى: نعم وقد تبعتهم حتى وصلوا إلى آخر الحدود المصرية ..
يسأل الصحفيان: إذا أنت يا ملك الملوك فرعون الخروج؟
قال: إذا أردتما أن أكون فرعون الخروج فأنا فرعون الخروج وقد قمت بطرد
يهود من مصر كما تحسبون أنتم فى أعوام ما قبل التاريخ ..
د . ممدوح الدماطى يتدخل: نحو عام ١٢٨٠ قبل الميلاد أن لم تخنى الذاكرة ..

الصحفيان يعودان يسألان: ولماذا لا يكون ابنك الملك مرنبتاح هو الذى قاد حملة خروج قوم موسى من مصر؟

مرنبتاح يتكلم لأول مرة: كل ما يقوله أبى حق وصدق.. ولا أستطيع أن أخالف أبى الملك العظيم فى رأي أو قول أو أمر وقد تعلمنا أن نطيع آباءنا وألا نرد لهم كلاماً أو قولاً أو أمراً.

الملك رمسيس الثانى يتكلم: من كثرة ما حاربت ومن كثرة ما دخلت فى معارك فترة حكمى التى استمرت أكثر من ٦٧ عاماً لم أعد أتذكر الآن من حاربت ومن هزمت ومن طردت من أرض مصر.. ولكن الذى أتذكره جيداً أننى أمرت بطرد اليهود العبيد من بلادى وطاردتهم حتى أخرجتهم من كل الديار.

مرنبتاح يتكلم: أما أنا فأذكر أننى أكملت مسيرة والدى الملك العظيم ابن الإله بتاح وقضيت على آخر فلول لهذه الشرذمة من البشر الذين كانوا يعبثون فى شئون مصر الداخلية. وقد استوليت على بلاد الحيثيين كلها وضممتها للملكى وصولجائى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من مصر.. وكان على الحكام فى فلسطين والبلاد المجاورة أن يدفعوا الجزية لمصر كل سنة عدداً ونقداً وحبوباً وهدايا ومشغولات وعبداً.

قلت للرفاق: حتى هذه اللحظة لا أحد يعرف من العلماء أو المؤرخين أو الباحثين فى التاريخ إيا منهما هو فرعون الخروج؟

د. هشام الشريف يتكلم: القرآن الكريم قال فى إحدى آياته: ﴿فاليوم ننجيك ببندك لتكون لمن خلفك آية.﴾ وقد نجاهما الله وحفظ مومياء كل منهما.

ممدوح الدماطى يتكلم: وهما محفوظتان عندى فى متحف الآثار داخل غرفة المومياءات.. هما سليمتان تماماً. ولكن أيهما الذى أخرج اليهود من مصر.. لا أحد يعرف على وجه اليقين!

مفيد فوزى يتكلم: بإحساسى أنا أميل لأن يكون الملك رمسيس الثانى أعظم ملوك مصر قاطبة هو فرعون الخروج..

هذا مجرد إحساس. إحساس صحفى قد يكون صادقا وقد لا يكون!
سأل الصحفيان رمسيس الثانى: ألم يشارك اليهود فى بناء الهرم الأكبر.
رمسيس الثانى ضاحكا: كيف والهرم كان موجودا قبل هجرة اليهود إلى مصر
نحو ألف سنة!

لم يتوصل الصحفيان الإيطاليان إلى جواب شاف من الملكين.
مفيد فوزى يذكرنى: ألم يتكلم د. زاهى حواس بعد؟
قلت وأنا أضغط على مفاتيح المحمول وأطلب رقمه فى القاهرة:
كفاية عليه كده.. لقد قلق بما فيه الكفاية..
جاءنا صوت زاهى حواس من القاهرة بعد أن عرف بخبر العثور على الملكين
تائبين فى مطار روما: الحمد لله ورحلة سعيدة وخلوا بالكم!

.....
.....

لأن الرحلة من روما إلى فينسيا مجرد ساعة زمن على الطيران الداخلى
فقد أخذوا الطائرة الصغيرة من ركابها وخصصوها للملك مصر وملكاتهما ونحن
معهم بالطبع.

مقدمة الطائرة تتجه شمالا فى طريقها إلى فينسيا.. طلب ملك الملوك
رمسيس الثانى ان يجلس مفيد فوزى إلى جواره بوصفه المحاور المصرى الأول..
بينما اخترت أنا الملك امنحوتب الثالث الذى شهد الفن والأدب والشعر
والموسيقى والطب والعمارة فى عصره أعظم أيامه.. وإن كنت قد اخترت هذا
الملك العظيم بالذات لغرض فى نفس يعقوب.. ألا وهو أنه كان له غزوات
وانتصارات فى عالم آخر هو عالم النساء.. وقد قدر بعض المؤرخين أعداد
الحريم فى قصره بأكثر من ألف امرأة!

ولكى لا نترك حثشبسوت المتوجة الجالسة على عرش القلوب شرقا وغربا
تجلس وحدها فى مقدمة الطائرة.. فقد تطوعت الزميلة مشيرة موسى بأن
تجلس إلى جوارها لتؤنس وحدتها. ولتقترب من مكنونات صدرها.

بينما اختار الزميل د. هشام الشريف الملك القوي حور محب لكى يجلس إلى
جواره..

يسأل مفيد فوزى ملك الملوك. أريد أن أعرف منك فيما افنيت عمرك الطويل
الذى تجاوز التسعين عاما. من بينها ٦٧ عاما أمضيتهما ملكا على مصر.. ماذا
فعلت طوال هذه السنين.. وماذا فعلت بك السنون؟

الملك رمسيس الثانى يتكلم وممدوح الدماطى يترجم: إنه تاريخ طويل لا يمكن
أن أحكى لك ماذا فعلت طوال ٦٧ سنة من حكم مصر.. إنه يحتاج إلى مسلات..
مفيد فوزى: دعنى أساعدك وأهون عليك مشقة التذكر والعودة إلى الماضى
البعيد.. ولنبدأ بحروبك وانتصاراتك؟

الملك رمسيس الثانى يتذكر: لقد أمضيت عمرى كله محاربا لم أهدأ لحظة
واحدة. لقد حاربت الآسيويين واستوليت على مدنهم وجاءت إلى مدن بابل وخيت
منحنييتين.. وحاربت أقوام البحر الأبيض المتوسط.. وأخذت أهلها أسرى.. ثم
حاربت الليبيين العصاة وهزمتهم شر هزيمة.. ثم ذهبت إلى بلاد النوبة وأخضعت
المتمردين وأخمدت فتنتهم.. إذا أنت ذهبت إلى معبد أبى سمبل الذى بنيته لى
وللملكة الأثيرة إلى قلبى نفرتارى.. سوف تجد لوحة جيش مصر وأنا على رأسه
فوق العربة الملكية وفى يدى السيف والقوس وأسد هصور يتبعنى كظلى.. ولسوف
تقرأ هذه الكلمات:

■ ■ الإله الطيب الذى يضرب الجنوب ويحطم الشمال.. الملك المحارب
بسيفه.. والطارد إلى أبعد مدى أولئك الذين يتعدون أماكنه الحصينة.. وعندما
يحط جلالته رحاله فى الممالك يهزم عشرات الألوف ويخربها.. ذابحاً رؤساءهم..
وجاعلا الأعداء يقولون: ابتعدوا أنه مثل اللهب عندما يندلع ولا يوجد من
يطفئه.. وإنه يجعل الخارجين يصمتون عن المتناقضات التى تخرج من أفواههم
عندما استولى عليهم.

مفيد فوزى: سلمت يمينك يا أعظم المحاربين!

لم تفعل التقريظة الصغيره شيئاً على وجه ملك الملوك..

مفيد فوزى: نذهب مباشرة إلى معركتك الكبرى التى نعرفها فى كتب التاريخ

تتى درسناها فى المدارس تحت اسم: موقعة قادش؟

رمسيس الثانى بفخر: بل قل ملحمة قادش.. لأنها ملحمة عسكرية مصرية سجلها التاريخ ومازالت تدرس حتى الآن فى الأكاديميات العسكرية فى العالم كنه.. وهذه الملحمة مكتوبة على جدران معبد الأقصر وفى قاعة الأعمدة فى معبد الكرنك وفوق البوابة الثانية فى معبد الرمسيوم فى القرنة.

مفيد فوزى: عظيم.. عظيم.. وكان النصر حليفك بالطبع يا مولانا؟

رمسيس الثانى فى خيلاء: أنا لم أخسر معركة واحدة فى حياتى..

مفيد فوزى يسأل: ولماذا إذاً يا مولاي وأنت المنتصر وقعت معاهدة صلح مع

ملك الحيثيين؟

رمسيس الثانى: لقد كانت أول معاهدة سلام فى التاريخ كله.. وهل أنت من

نصار الحروب!

مفيد فوزى: لست من أنصار الحروب ولم أكن فى يوم من الأيام.. ولكنهم فى

مصر الآن يشبهونك يا مولانا بالرئيس أنور السادات.. لأنه ينطبق عليكما معا

تقب: بطل الحرب والسلام.. فأنت يا مولانا قد حاربت الحيثيين وانتصرت

عليهم.. ثم عقدت معهم أول معاهدة سلام فى التاريخ كله.. كذلك فعلى الرئيس

نراجل أنور السادات عندما حارب الإسرائيليين وانتصر عليهم فى أكتوبر

١٩٧٣.. أى بعد موقعة قادش التى حققت فيها النصر لمصر بنحو ٢٢٦٩ سنة على

وجه التحديد.. ثم عقد معهم معاهدة سلام اسمها معاهدة كامب ديفيد..

رمسيس الثانى: لقد جاعتنى أخبار أنور السادات.. وفرحت كثيراً بنصره

كبير مع رئيسكم حسنى مبارك.. على اليهود الملاحين.. وهم من أيام يعثون

نمًا بالشئون الداخلية للبلاد التى يعيشون فيها.. والحمد لله أننى قد طردتهم

شر طردة من بلادى عندما كنت ملكا على مصر.

مفيد فوزى: حدثنى يا مولانا عن أسرتك... زوجاتك وأولادك وبناتك؟

الملك وهو سارح عبر نافذة الطائرة: لقد تزوجت كثيراً وأنجبت أكثر.. ولكن لدى ثلاث زوجات رئيسيات هن: نفرتارى واست نفرت ومات نفرو رع.. ولدى ثلاثة وثلاثون ابناً واثنتان وثلاثون ابنة.

يتدخل ممدوح الدماطى بقوله: ولكن يا مولانا تقول قائمة معبد وادى السبع أنك أنجبت ١١١ ولداً و٥١ بنتاً؟

الملك يرد: قد يكون هذا صحيحاً إذا أنت حسبت عدد الزوجات والبنات الذين أنجبتهم من الزوجات الثانويات والمحظيات وما أكثرهن..

يسأل مفيد فوزى بدهاء الصحفيين: ومن أحببت من هذا الجيش الطويل من النساء اللاتى دخلن حياتك؟

الملك يرد: أنا لم أحب فى حياتى إلا امرأة واحدة.. هى نفرتارى ملكيتى وزوجتى الأولى..

مفيد يسأل: ولكنك تزوجت عليها من ابنة ملك الحيثيين؟!

الملك يتكلم: هذا صحيح.. لقد تزوجت من الملكة مات نفرو رع كبرى بنات ملك خيتا ،، وهو زواج سياسى بالدرجة الأولى.. لم يقلل أبداً من عشقى وحبى للملكة نفرتارى .. وإذا أردت دليلاً على هذا الحب.. فاذهب إلى أبى سمبل لترى معبدها العظيم الذى بنيته إلى جوار معبدى هناك.

قلت: لقد طبقت يا مولى السلطان جيهان السلطان المغولى الذى أحب زوجته ممتاز محل فلما رحلت أقام لها أعظم ضريح فى الهند تخليداً لذكراها والمعروف باسم تاج منى، وهو واحد من عجائب الدنيا السبع ولكنه جاء بعدك بنحو ٣ آلاف عام؟



تهبط الطائرة الملكية وسط باقة من الحفاوة البالغة بالهتاف والنشيد والترحيب وعدسات المصورين وكاميرات التلفزيون وباقات الورد من فتيات البندقية الصغيرات للملوك الملكات.

وسط هذا الحشد العظيم.. بحثت عن الزميل مفيد فوزى فوجدته جالساً فى ركن ساهماً واجماً سارحاً فى ملكوت الله.

سألته مالك ؟

لم يجب .. ولم يتحرك من مكانه ..

سألته مرة أخرى: ماذا جرى؟

وضعت يدى فوق كتفه . ومشينا إلى حافة البحر الكبير الذى يحيط بالمطار .. والذى يخفى خلفه مدينة فينسيا الجميلة ..

قال وفى عيونه مسحة من الم صنعه جرح لم يندمل: كانت فينسيا المحطة التى طلبت منى العزيزة الراحلة آمال العمدة زوجتى أن نذهب إليها عندما تشفى من مرضها العضال .. لكى نمضى فيها أسبوعاً مع ابنتنا حنان .. كانت أمنيتهما الأخيرة .. ولكن القدر أراد لها شيئاً آخر .. أراد لها الرحيل وأراد لى الوحدة .. فذهبت إلى ربها راضية مرضية .. ولم تتحقق أمنيتهما الأخيرة ..

أخذته فى صدرى كأنه طفل صغير .. احترمت حزنه وصمته وإحساسه الجميل والنبيل . وركبنا مركبة أوصلتنا عبر القنال الطويل إلى فندقنا فى مدينة البندقية الفارقة فى الأنوار والليل الطويل... ■



عزيرتى هيباشيا!

طار الموكب المصرى الملكى بفرمان لا يرد من ملك الملوك رمسيس الثانى من روما إلى الإسكندرية .. لأنه من غير المعقول على حد تعبير أعظم ملوك الدنيا قاطبة. ألا يشاهد من صنعوا حضارة الماضى. وشيدوا وعلوا البنيان .. ورفعوا اسم مصر وكتبوه بحروف من نور فوق السحب والشهب وشواشى الشجر .. بزوغ شمس الشموس المصرية التى كان اسمها قبل ستة عشر قرنا من الزمان مكتبة الإسكندرية.. هدية الماضى إلى الحاضر.. وهدية مصر إلى العالم كله. ولأن أوامر الملوك لا ترد.. ولأنه من غير المعقول أن يفوتنا حفل الافتتاح الأسطورى لمكتبة الإسكندرية.. ترنيمة مصرية يقدمها للندى كلها وللحضارة الإنسانية الرئيس حسنى مبارك والسيدة سوزان مبارك.. وقد طار الموكب الملكى المصرى من روما إلى الإسكندرية لليلة واحدة.. يحضر فيها الملوك والملكات. ومعهم من أقاموا صرح مكتبة الإسكندرية القديمة قبل ستة عشر قرنا.. إعلان مصر مولد مكتبة الإسكندرية من جديد.

→ العالمة المصرية التى سحلوها واتهموها بالسحر والشعوذة.

هذا الواقف فى شموخ وكبرياء.. إنه بطليموس الأول. الذى أتى مخاض مكتبة الإسكندرية الأولى على يديه.. وإلى جواره كوكبة العلماء الذين أضاءوا الدنيا نوراً وتويراً قبل الزمان بزمان..

هذا هو إقليدس مؤسس علم الهندسة، وهذا هو أرسطارخوس أول من قال بنظرية دوران الأرض حول الشمس..

ولكن تبقى امرأة واحدة بألف رجل.. ألا تعرفونها. إنها هيباشيا الفيلسوفة المصرية وعالمة الرياضيات، التى تعلمت فى مكتبة الإسكندرية القديمة وكانت رفيقة سقراط وأرسطو..

وان كانت العقول المتجمدة التى ينسج العنكبوت خيوط بيته فى رؤسهم كان لها رأى آخر . فيما تقدمه هيباشيا للعلم والعقل البشرى.. تعالوا نسألها: ماذا فعل بها التخلف؟.. وماذا فعل بها التعصب الأعمى ؟

تقول هيباشيا: لم أكن أتصور أن يفعلوا بى ما فعلوا .. لم تعجبهم نظرياتى العلمية واتهمونى كما اتهموا جاليليو بالهرطقه والكفر وحكموا على بالإعدام دون محاكمة كما كانت تفعل محاكم التفتيش فى أوروبا فى القرون الوسطى بعد ذلك.. ونفذوا حكم الغابة والجهل فى!

عاشت هيباشيا، بينما مات الذين ظنوا أنهم يملكون صكوك الغفران..

كانت تصدق عقلها، وما تعلمته فى جامعة العالم القديم، مكتبة الإسكندرية وتكذب هوس المتعصبين، وضيقى الأفق، فواجهت الموت بشجاعة العارفين. وأدركت أن فى موتها على أيدى هؤلاء حياة أخرى سوف تطل فى زمن آخر، كرسالة حضارية ممتدة من أون، وضان الحجر، والإسكندرية ، إلى عصرنا الراهن، عصر تجار الحروب من المتعصبين، لتعى إليه عقله المفقود .

فقبل ١٦٠٠ عام أعتقد نفر من هؤلاء الذين يخرجون فى كل عصر زاعمين أنهم حماة البشرية من الأفكار، أنهم يطهرون الحياة من الذين يفكرون. وقرروا قتل عالمة الرياضيات والفيلسوف السكندرية هيباشيا بطريقة يندى لها الجبين

الإنسانى، فقد ربطوها بالحبال وجروها فى شوارع المدينة. التى شهدت ثقافة العالم القديم شرقاً وغرباً، حتى نذفت دماءها ليبثوا الرعب فى قلب كل من يعارض أفكارهم!

.....

.....

مازلنا وقوفاً داخل مكتبة الإسكندرية . واحدة من عجائب الدنيا السبع التى كانت مصر تملك منها ثلاثا: الهرم الأكبر ومنارة الإسكندرية والمكتبة الشهيرة التى كانت ملتقى الفلاسفة والعلماء والأدباء والشعراء والفنانين قبل الميلاد، والتى زارها وقرأ كتبها وتعلم على أيدي فلاسفتها ومفكرها سقراط وأرسطو وأفلاطون.. التى أعادها إلى الوجود جميلة متحضرة.. مزهوة بعلمها، ونفيس أدبها.. ورائع علمها.. وعزيز مخطوطاتها .. وجميل فنها: الرئيس حسنى مبارك والسيدة سوزان مبارك ذلك الافتتاح التاريخى للمكتبة الخالدة. ولقد عشت ليلة عظيمة من ليالى مصر المحروسة..

ليل الإسكندرية تحول إلى قطعة من نور.. من إبداع.. من توهج.. من عبقرية لم تتم أبدا، بل امتدت عبر الزمان والقرون والسنين حتى عادت مكتبة الإسكندرية كما كانت، وربما أجمل وأعظم..

نحن الآن فى نفس مكانها أو قريب منه.. فنحن فى موقع الحى الملكى القديم الذى كان يضم قصور النبلاء والوجهاء من الحكام والقاد من الإغريق واليونان.. والذى كان اسمه فى الزمن القديم البروكيوم وأصبح موقعه الآن شاطئ الشاطيى، حيث مجمع الكليات النظرية لجامعه الإسكندرية..

لم يشاهدهم الحاضرون وشاهدتهم أنا لكثرة ما سافرت إليهم فى زمانهم عبر مركبة الزمن.. ولكم التقيت بهم وتحدثت إليهم بوصفهم من أضافوا إلى العلم والمعرفة إضافات أحدثت انقلابا فى النظريات التى مازلنا ندرسها وتعلمها فى معاهدنا وكلياتنا حتى يومنا هذا. فهذا هو بطليموس الأول حاكم مصر الذى أمر بإنشاء مكتبة الإسكندرية فى عام ٢٨٨ قبل الميلاد.. وكانت المكتبة على

أيامه تضم نحو مليون كتاب ومخطوط.. هي خلاصة الفكر الإنساني كله في هذا الزمان.

ومن حوله التف علماء وفلاسفته .. جلسوا في ركن قصي بعيد عن الأضواء.. فليس هذا زمانهم.. وليس هذا مكانهم.. ولأن أحدا لن يعرفهم من الحاضرين هنا لغرابة لباسهم.. ولغريب ملامحهم وأشكالهم..

تفرست في وجوه الفلاسفة والعلماء القادمين من الزمن الغابر.. فلم أعرفهم.. الذى عرفهم هو الدكتور إسماعيل سراج الدين مدير المكتبة، الذى قال لى هذا الواقف بجوار العمود أنه إقليدس الذى أسس علم الهندسة.. وهذا الواقف إلى جواره ألا تعرفه؟

قلت: من أين لى أن أعرفه؟

قال: لقد درست نظرياته فى المدرسة الثانوية.. ألم تدرس فى حصة العلوم نظرية الأوانى المستطرفة؟

قلت: نعم وصاحبها اسمه أرشميدس..

قال: ها هو أمامك بلحمه وشحمه .. قمت من مكانى وسلمت عليه بحرارة وقلت له: كفك يا راجل.. لقد دوختنا كثيرا بنظرياتك ونحن مازلنا تلاميذ فى المرحلة الثانوية؟

سلم على عمنا أرشميدس ولكنه لم يفهم كلمة واحدة مما قلته بالعربية!

يكمل د. إسماعيل سراج الدين تقديم أعظم علماء مصر الذين قدمتهم الدنيا: وهذا الجالس على الأريكة أنه أرسطارخوس أول من قال بنظرية دوران الأرض حول الشمس!

قلت: لو كان قد عاش فى أوروبا لأحرقوه حيا مثلما أحرقوا مونستى حيورواند برونو فى عام ١٦٠٠ ميلادية بسبب اعتقاده بوجود عدد لا نهائى من الشمس التى يدور فى فلكها عدد لا نهائى من الكواكب .. واعتقاده بوجود حياة

مماثلة تابعة لشموس أخرى!

يسألني د. إسماعيل سراج الدين بدهشة : أين قرأت ذلك؟

قلت: فى كتابه «الحياة فى الكون» الذى ألفه د. جوليان دورشنىر.

قال: دعنى أقدم لك باقى المجموعة.. هذا الذى يمسك بكتاب ضخم تحت أبطه .. أنه هيبارخوس أول من حسب طول السنة الشمسية.. وهذا هو إيرافستينيس أول من حسب محيط الكرة الأرضية.. وهذا الذى يتمشى فى القاعة أنه كاليماخوسى الشاعر والأديب ويلقبونه بأبى علم المكتبات.

تتدخل الباحثة فاطمة محمود بقولها: ولا تنس الملك بطليموس الأول نفسه.. الذى تراه بلباس الملوك والتاج فوق رأسه. أنه أول من وضع خريطة للكرة الأرضية مازالت تدرس فى مدارس وجامعات العالم حتى الآن..

أنظر بإعجاب بالغ إلى من شيد مكتبة الإسكندرية الأم.. والتي كانت تضم ٧٠٠ ألف مخطوط وكتاب.. وأسأله من خلال فاطمة محمود التى تقوم بدور المترجم هل لنا أن نعرف قصة مكتبة الإسكندرية التى أقامتها قبل ٢٥ قرناً من الزمان؟

قال: هذا حقكم علينا..

تطوعت فاطمة محمود بصحبه أعظم علماء وفلاسفة مصر فى الزمان الجميل فى جولة داخل الهرم المصرى الرابع الذى اسمه مكتبة الإسكندرية.. وهى تحدثهم عن كل دور من أدوار المكتبة الأحد عشر..

فاطمة محمود تحكى لعلماء مصر العظام الذين رحلوا عنا قبل أكثر من ١٦٠٠ عام قصة المكتبة العظيمة.. وهم ميهورون منصترن:

كان احتفالاً عظيماً بيوم له تاريخ فى حياة مصر والمصريين.. وهل هناك يوم أجمل من عودة مكتبة الإسكندرية إلى الوجود..

قال الملك بطليموس الأول لنا: تعالوا معنا إلى عصرنا عام ٢٢٨ قبل الميلاد لتشاهدوا مكتبة الإسكندرية الأم التى كانت أعجوبة العالم القديم..

وقال رفيق الطريق زاهى حواس: لن نستطيع الذهاب معكم إلى زمانكم بكل
أسف..

يسأل الملك: لم؟

قال رفيق السفر والترحال: لسبب بسيط وهو أن مركبة الزمن ليست معنا
هنا.. إنها فى مكانها بين قدمى أبى الهول بجوار الأهرامات..

قال الملك: وما العمل؟

قلت: إذا أذنت لى بالكلام يا مولاي.. أرى أن نذهب معا إلى شاطئ أبى قير
لتناول طعام العشاء معاً.. وحدثونا أنتم مادمتم كلكم معنا فى عصرنا عن
مكتبكم العظيمة..

يصيح أبيقراط باليونانية ويقول كلاماً لم أفهمه..

أسأل فاطمة محمود: ماذا قال؟

قالت: قال بس يكون العشاء سمكا..

قلت: ليس هناك فى أبى قير إلا السمك!

عندما نزلنا إلى الشارع الصاخب المزدحم بالعربات وأصوات الكلاكسات..
لفحتنا نسيمات البحر الطرية.. سأل بطليموس الأول ملك مصر قبل الميلاد عن
عريته الملكية؟

قلنا له: ليس لدينا عربات ملكية يا مولانا.. ولكن سيارات حديثة تمشى
بالبنزين وليس بالخيل!

بذلنا جهداً كبيراً فى إقناع الملك بركوب السيارة.. بينما تدافع رفاقه من
علماء مصر العظام إلى ركوب السيارة الثانية.. وهم يتندرون ويسخرون من هذه
العربة الحديدية التى تجرى دون خيول ولا يقودها حوزى..

وصلنا إلى أبى قير . ورحب بنا المعلم زناتى ووضع لنا كراسى وطاؤلات على

الرمال وأمواج البحر تكاد تلامس أقدامنا .. وجلسنا فى انتظار ما لذ وطاب من أصناف الأسماك والجمبرى والكابوريا والبقلوايز اللذيذ ..

تصدر الملك بطليموس الأول المائدة .. ولما كان البروتوكول الملكى يقتضى أن يبدأ الملك الكلام ولا أحد يتكلم قبله .. فقد طلبت من مولانا أن يحكى لنا قصة مكتبة الإسكندرية أعجوبة الدنيا فى العالم القديم ..

بصوت عميق مؤثر قال وهو يضع ساقا فوق ساق .. والباحثة المدققة النشيطة فاطمة محمود تقوم بمهمة الترجمة من اليونانية إلى العربية:

لقد فكرت فى إنشاء مكتبة الإسكندرية العريقة، لكى تكون ملتقى حضارات العالم وثقافاتها، التى جعلت من مصر عامة والإسكندرية خاصة محورا عالميا لالتقاء الحضارات والعلوم، والآداب، والفنون .. قبل يومنا هذا بألاف السنين .. فقد أردت أن أجعل من الإسكندرية العاصمة، قبله العالم كله .. يلتقى فى مكتبتها الكتاب والشعراء والعلماء والمؤرخون والفلاسفة ..

كانت مكتبة الإسكندرية بمثابة أكاديميه عالمية ضخمة ٧٠٠٠٠ كتاب ومخطوط ..

لقد كان العاملون بمكتبة الإسكندرية الأم مجموعة منتقاة من أفضل وأكبر كبار العلماء والفلاسفة والمؤرخين .. وقد ركزت المكتبة خاصة على اقتناء الكتب فى جميع المعارف والعلوم والفنون .. وكذلك بمهمة خطيرة كان لها أثر كبير فى حفظ التراث الثقافى الكلاسيكى القيم .. فقد اهتم أمنائها بإعادة طبعات منقحة ومحققة من الأعمال الأدبية والفلسفية المهمة .. خاصة ملحمتى هوميروس الخالدتين: الألياذة والأوديسة .

اسأل مولانا: ماذا قدم علماء المكتبة للعلم والتاريخ؟

قال: أمامك إقليدس الذى يتمشى على الشاطئ .. لقد وضع نظرياته الهندسية الشهيرة والمطبقة حتى يومنا هذا .. وفيها أيضا وضعت أنا أول تصور علمى لشكل الأرض وصورة الكون .. ورسمت خريطة للعالم التى قالوا لى إنها

ما زالت تدرس في جامعات الدنيا حتى وقتنا هذا .. وتتطابق بالخرائط التي صورت من الجو بالطائرات والأقمار الصناعية!

أسأل مولانا: لماذا أحضرت ديمتريوس حاكم أثينا واتخذته مستشارا لك؟

قال: القصة غير ذلك لقد كان ديمتريوس حاكم أثينا السابق، وقد هرب إلى الإسكندرية، ولجأ إلى فاتخذته كمستشار خاص لى لسعة اطلاعه وعمق معرفته.. بل أنه كان أيضا من تلاميذ أرسطو النجباء.

وقد ساعدنى ديمتريوس على تكوين مجموعة من الكتب عن الملكية، وعن كيفية ممارسة الحكم والقيادة .. لكى أقرأ هذه الكتب وأستوعبها جيدا .. واتفقت أنا وديمتريوس للوصول إلى هدف محدد.. وهو أن نجتمع بمكتبة الإسكندرية كتب جميع شعوب الأرض.. فإن الأمر كان يستلزم الحصول على ٧٠٠٠٠ لفافة من أوراق البردى.

وقمت أنا بتحرير رسالة موجهة إلى كل ملوك وحكام الأرض .. أطلبهم بالآيترددوا فى أن يبعثوا إلى بآنتاج أى نوع كان من المؤلفين: شعراء وكتاب وعلماء بلغاء، وأساتذة فى علوم البيان، وفلاسفة وأطباء وكهنة، وعرافين ومؤرخين.. ولم يكن ينحصر فى مجرد تجميع الكتب من مختلف بقاع العالم أجمع.. بل يضاف إلى ذلك أيضا ترجمة هذه الكتب .. وكذلك كان الأمر يستلزم إعادة كتابة وتلخيص هذه الكتب باللغة الإغريقية..

وهذا هو عين ما حدث على سبيل المثال بالنسبة للمرجع التاريخى الضخم القيم: التاريخ المصرى بقلم العلامة القدير مانيتون.. وكان قد عاش فى مصر بهليوبوليس لسنوات عديدة.

وقد أعاد مانيتون تسجيل العشرات من المصادر واللفائف والبرديات المحفوظة.. خاصة بالملوك وبيآنجازاتهم الكبرى.

أسأل: طيب هل كانت المكتبات الكبرى للأبهة والعظمة؟

قال: هذه المكتبات أو الأكاديميات العظمى.. كانت بمثابة أداة لبسط النفوذ

والسيطرة على الشعوب.. وفي إطار هذا النشاط المنظم لتجميع الكتب والترجمة، تصدرته الكتب المقدسة الخاصة بالشعوب المحتلة المغلوبة على أمرها مكانا فائق الأهمية.. لأن الدين والعقيدة، لمن يرمون إلى السيطرة على هذه الشعوب، كان بمثابة الباب المؤدى إلى امتلاكها.

قلت: فى عصرنا هذا قال الإنجليز كلاما مشابها..

يسألنى: ماذا قالوا؟

قلت: قالوا إن الدين أفيون الشعوب!

.....

.....

ينتفض من مكانه العلامة الإغريقى العظيم هيكاتايوسى صاحب كتاب تاريخ مصر قائلًا: يا سيدى لقد قمت برحلة إلى مصر.. وزرت طيبة العاصمة ودخلت إلى قدس الأقداس فى معبد رمسيس الثانى.. وزرت المكتبة المقدسة التى لايعرفها إلا الكهنة..

قلت له: احك لنا ما شاهدته..

قال: قادنى الكهنة المصريون إلى قاعة فسيحة ذات أعمدة امتلأت بالتماثيل التى تمثل أصحاب الدعاوى الذين كانوا يوجهون أنظارهم نحو القضاة.. أما هؤلاء القضاة، فقد كانوا ينظرون نحو الجناه الذين مثلوا دون أيدى.. وكان رئيس القضاة يبدو مغمض العينين.. وقد تراكمت أمامه أكوام من اللفائف والبرديات.

بعد هذه القاعة مباشرة، كانت تقع المكتبة المقدسة التى كانت تتوجها هذه العبارة الغامضة: بوتقة الروح».

■ ■ ملحوظة من عندى: وعلى ما يبدو أن هيكاتا يوسى، خلال زيارته المدونة لطيبة، قد وصل فعلا إلى المكتبة المقدسة أى بوتقة الروح الملحقة بناووس رمسيس الثانى.

قلت: لقد ذكرته فى كتابك المعنى بتاريخ مصر وقلت فيه إن مصر هى حقا أم الدنيا.. ومصدر الإلهام والعقيدة.

يقول المؤرخ الكبير هيكاتا يوسى: أن أفضل المشرعين وأحسنهم قد حضروا إلى مصر لكى يستمدوا منها الإلهام والمعرفة والعقيدة..

يتدخل المؤرخ الكبير ديودوروس بقوله: إن التاريخ كله قد بدأ فى مصر.. فيها ولدت الآلهة.. ومنها انبثق أصل الحياة، وفيها أيضاً تمت أكثر الملاحظات عراقية وقدماً من الكواكب والنجوم.

إن مصر هى بلد: أيمحوتب الحكيم العالم، وأمثاله: نبتوسيريس، وهرمس تريسمخستيس.. كانت مصر هى بوتقة العالم أجمع.. والأرض المختارة المتميزة.

يضيف ديودوروس: لقد قلت فى كتابى تاريخ مصر: الإسكندرية التى أراها الآن أقل ما يقال عنها أنها باهرة، ومتألقة بثرواتها الفائقة.. يرتفع فى أجوائها مستوى الثراء والفخامة إلى درجة هائلة.. بل هى تفوق فى ذلك أية عاصمة أخرى من عواصم العالم..

ولعلنا لانسى فى هذا الصدد أن نذكر أيضاً هذه المكتبة التى أسست خارج نطاق القصر الملكى، وكانت تلقب بالمكتبة الابنة.. وكانت هذه الابنة قد أعدت أساساً من أجل العلماء الأجانب فى المتحف وعامة القوم.. أو أنها كما قال عنها العلامة الإغريقى أفتونيوسى: لقد أنشئت الابنة بالإضافة إلى الأم من أجل إعطاء المدينة بأسرها فرصة للتلفس.

إن المصريين يرجعون إلى أكثر العصور عراقية وقدماً فى نطاق التاريخ كله.. ومن هنا عمل الإغريق بالفعل على التطابق بالمصريين فى مجال القوانين والعدالة!!

.....

.....

الليل والبحر و نسيمات من هواء عذرى لم يمسه إنس ولا جان... وصحبة
قادمة من قلب الماضى البعيد.. كلهم من أجيال ما قبل التاريخ عدا أربعة من أبناء
هذا الزمان: إسماعيل سراج الدين وزاهى حواسى والباحثة المبدعة فاطمة
محمود.. وأنا..

قلت لنفسى وأنا أتأمل وجوههم المبدعة: لكم أود أن أسألهم سؤالاً محيراً حار
فيه معنى المؤرخون والباحثون وعلماء التاريخ:

كيف كانت نهاية مكتبة الإسكندرية التى لم يعد لها أثر؟
وأين ذهبت ال ٧٠٠ ألف مخطوط ولفافة بردى التى كانت محفوظة على
أرفف وفى خزانات هذه المكتبة العملاقة التى أضاعت الدنيا على مدى أكثر من
٧٠٠ سنة؟

أطلقت حمائم علامات استفهامى وحيرتى على سمعهم.. فلم أجد إلا الصمت
جواباً..

وأفحمنى الملك بطليموس الأول بهدوئه واتزانه ورجاحة عقله بقوله: كيف لنا
أن نعرف.. ومنذ رحيلنا عن الدنيا كانت المكتبة الأم والمكتبة الابنة ملء السمع
والبصر؟

الجواب عندى أنا...

تقولها فاطمة محمود وتضيف: فى كتاب الإسكندرية ملكة الحضارات الذى
وضعه مجموعة من المؤرخين المحترمين المحايدىين.. قمت بترجمته لنقرأ القصة
الكاملة لنهاية هذه المكتبة العظيمة:

حضر بوليوس قيصر إلى الإسكندرية عام ٤٧ قبل الميلاد.. وأقام بها فترة
وجيزة.. وكانت روما المسيطرة على مصر قد أرسلته للنظر فى الخلاف القائم
بين كليوباترا السابعة ملكة مصر وأخيها بطليموس الثالث عشر.. ولكن شعب
الإسكندرية كان قد بلغ غضبه وثورته حد الانفجار، وثار منددا بغطرسة روما
واستبدادها وحكمها فى مصير مصر باعتبارها ولاية تابعة لها.

وهاجم شعب الإسكندرية القصر الملكى حيث كان يقيم قيصر لفترة ما..
وأخذت السهام تتراشق من حوله من كل مكان.. وعلى ما يبدو أن القوة العسكرية

التي صاحبت يوليوس قيصر القائد الرومانى الباسل لم تكن كافية لصد موجة ثورة المصريين وغضبهم.. وشعر هذا القائد العظيم أن موقفه الاستراتيجى حرج وضعيف للغاية ومحاصر من كل جانب.

يقاطعها عالم من علماء العصر الجميل بردائه الإغريقى الطويل معلناً عن نفسه بقوله: لا يفتى ومالك فى المدينة!

أسأله: من أنت؟

ترد فاطمة محمود: انه المؤرخ الإغريقى لوكياتوس.

قلت: ماذا عندك يا عمنا لوكيانوسى!

قال: كان قيصر بعيدا عن أبواب المدينة، فتحصن وراء أبواب القصر ذاك الوحشى النبيل.. . وها هى السهام تراشق نحوه وهو سجين بأحد القصور.

لوكياتوسى مازال يتكلم:

وسرعان ما تفجرت ألسنة النيران فى الحبال المصنوعة من ليف نبات القنب.. فى الجسور التى كانت تتساقط منها قطرات الشمع.. أخذت النيران تمتد أيضاً إلى ما بعد مكان السفن.. واشتعلت فى البيوت المجاورة للميناء هى أيضاً.

ولا شك أن الحريق قد أصاب بصفة خاصة منطقة الميناء حيث تجد مستودعات الأسلحة وأيضاً مخازن الغلال.. ومستودعات الكتب.. وبالمصادفة، فبداخل هذه المنشآت كانت توجد فى وقت حريق نحو ٥٠ ألف كتاب من المخطوطات والكتب النادرة.

وعلى ما يبدو أن هذا الكم الهائل من الكتب ٥٠٠٠٠ كتاب الذى احترق بمستودعات الميناء، كان قد أعد وجهز للإرسال إلى روما وغيرها من عواصم العالم القديم.

.....

.....

الليل والبحر وكوكبة من علماء وفلاسفة وأدباء الزمن القديم.. وسباحة مع التيار فى زورق التاريخ..

أسأل الرفاق: ما حكاية كليوباترا وأنطونيو ومكتبة روما التى أهداها إليها؟
الجواب هذه المرة على لسان الدكتور إسماعيل سراج الدين:

تقصد ما قيل عن مكتبة بروجاموس فى روما.. والتى كانت تحاول جهدها منافسة مكتبة الإسكندرية الكبرى.. يقولون إن أنطونيو القائد الرومانى الذى كان يكن حبا قويا لكليو باترا قد أهداها ما لا يقل عن ٢٠٠ ألف كتاب من مكتبة بروجاموس بروما. وفقا لما ادعاه بعض الكُتَّاب القدامى.. وأضافوا أنه فعل ذلك لشدة حبه لها، بعد أن تزوجا زواجاً سماوياً.

ولكن على ما يبدو أن هذا الادعاء يفتقر إلى الحقيقة ولا توجد أية أدلة فعلية على صحته..

يمسك بيدي واحد من الحاضرين قال: أنا اسمى ايببون وقد حزنت كثيراً لما يفعله اليهود بأبناء فلسطين الآن.. سأحدثك عن اليهود بوصفهم طابوراً خامساً.. ومن خلال دراستى بمراجع المكتبة الكبرى بالإسكندرية أعجوبة العالم على أمانى قدمت كتاباً قيماً بعنوان «تاريخ مصر» على نمط ما قدمه كل من هيكاتايوس ومانيتون، وديودوروس.. وقدمت أيضا كتابا لاذع الهجاء مقنعاً بعنوان: ضد اليهود.. وسرعان ما شاركنى الكثيرون فى آرائى وأفكارى هذه .. وانتهى الأمر بعد ذلك بطرد اليهود من الحى الراقى الذى كان يجاور الحى الملكى.. وأمر الملك بطليموس الثالث عشر بالقائهم بعيداً فى حى هو بمثابة تل قمامة الإسكندرية، حيث كانت توجد ورش الترسانة البحرية ومخلفاتها وبقاياها!!

أسأل: ولكن لماذا تسكن الطائفة اليهودية بالإسكندرية أصلاً داخلها الحى الفخم المزين بالفيلات والمسكن الجميلة؟

الجواب لفاطمة محمود: كما جاء فى كتاب الإسكندرية ملكة الحضارات. فإن الإسكندر الأكبر عندما دخل مصر ظافراً منتصراً، بعد معاونة ومساندة كبيرة من جانب هذه الشراذم اليهودية المضمحلة. وكان ذلك بطبيعة الحال، على حسب

الأهالى المصريين. وتعبيرا عن شكره الجزيل لموقفهم وتعاونهم معه.. قرر أن يخصص لهم حيا راقيا جميلا بجوار الحى الملكى بردشيون عندما قرر بناء مدينة الإسكندرية.. من الواضح إذا أنهم يميلون دائما وأبدا وفي كل مكان وزمان إلي الخديعة والخيانة والغدر!

الليل والبحر ورفاق الزمن الذى لن يتكرر أبدا ما زلنا بصحبتهم..

سؤال كغراب البين فوق رأسى بسواده وكاتبه: إذا كان يوليوس قيصر هو الذى أحرق مكتبة الإسكندرية بخدعة منه.. فلماذا يتهم المؤرخون اليهود القائد العربى عمرو بن العاص بإحراقها؟.

وهل كانت مكتبة الإسكندرية موجودة عندما فتح الإسكندرية؟

يقول لوسانو كاندورا فى كتابه القصة الحقيقية لمكتبة الإسكندرية: ها هو عمرو بن العاص بعد أن رفع راية الإسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم على أسوار الإسكندرية ومتاريسها.. يكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رسالته هذه :

لقد فتحت كبرى مدن الغرب وليس من السهل على أن أعده ثرواتها وروائعها.. وسأكتفى بأن أذكر لك أنها تحتوى على ما يقرب من ٤٠٠٠ قصر، و٤٠٠٠ حمام عام، و٤٠٠٠ مسرح أو أماكن للهو، ١٢٠٠٠ حانوت لبيع الفاكهة والمأكولات الأخرى.. ولقد تم فتح هذه المدينة العظيمة بقوة السلاح، ودون أية اتفاقية أو معاهدة.

ولقد حاولت الأساطيل البيزنطية مرارا وتكرارا أن يفتحوا ميناء الإسكندرية ويقتحموها للاستيلاء عليها.. ولكن فى كل مرة كان عمرو بن العاص يقهرهم ويطردهم شر طردة.

وقد رفض الخليفة عمر بن الخطاب تماما فكرة هدم وتخريب هذه المدينة أو نهبها وسلبها.. وفى المكان نفسه الذى وجه فيه عمرو بن العاص الأمر بالامتناع عن تدمير المدينة ونهبها.. أقام مسجد الرحمة.

ولم يكن عمرو بن العاص هذا القائد الجسور مجرد محارب أمى أو مفتقر للثقافة والمعرفة. فقبل ذلك بأربع سنوات، عندما احتل سوريا، استدعى بطريركها وألقى عليه أسئلة محيرة ودقيقة عن الكتابات المقدسة.. بل أنه قد طلب أن يستوثق من النسخة الأصلية العبرية للتأكد من صحة الترجمة الإغريقية لإحدى فقرات سفر التكوين التي كان البطريرك قد استعان بها ليدعم من وجهة نظره.

وعن براءة عمرو بن العاص تماماً من تهة إحراق مكتبة الإسكندرية، كتب انواورجيبون معارضاً: حقاً أن هذا مثير للدهشة والعجب.. ولايصدق العقل.. ولقد استمد جيبون مصادره من كتاب تاريخ العرب بقلم أدوار أبو الفرجى، وهو عالم جدير بكل الثقة عاش فى القرن الثالث عشر.

ولجأ جيبون أيضا إلى حجج وبراہین أدريان ريلاند المؤرخ المستعرب الذائع الصيت الذى عاش فى أواخر القرن السابع عشر، والتي تعنى فى كتابه المعنون بسن القانون العسكرى لأتباع محمد: بأن المسلمين لا يقومون مطلقا بحرق كتب اليهود والمسيحيين بأمر الدين.. والحقيقة إن هذه التهمة المنسوبة إلى المسلمين عامة وإلى عمرو بن العاص خاصة، هى مجرد افتراء وكذب، وبهتان.. حاول أن يروجه بعض المؤرخين الموالين لليهود الضئيلى الشأن، المشكوك دائماً فى كتاباتهم..



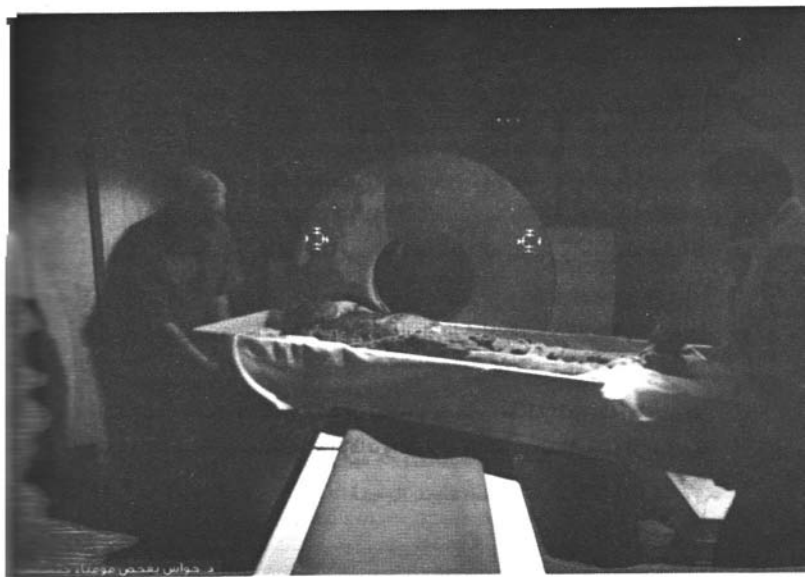
الفيلسوف جيبون يقولها هنا صريحة مدوية: إنه تدمير وإحراق لم يشترك فيه العرب مطلقاً..

اللهم احمنا من حملة مشاعل الشر وأبواق الكراهية.. ومظلمات الاكتاب فى الأرض..

ولكن غداً تشرق الشمس بعد أن يصحو ضمير العالم الذى نام طويلا عن القتلة والمنتفعين وحملة اعلام الإفك والضلالة والشرك العظيم.. وكل ليل وله
■ آخر..



Handwritten text in Arabic script, likely a caption or description of the mask above. The text is faint and difficult to read.



Handwritten text in Arabic script, likely a caption or description of the tomb interior above.

الملكة تبوح بسرها

هاهى حتشبسوت تطل علينا من خلف أستار الغيب بوجهها المشرق البسام
ويطلعها الملكية البهية.. مزيجة بأصابعها الطويلة غموض قرون وضباب سنين لتقول
لنا نحن المصريين: «هأنذا قد عدت من جديد.. مليكتكم أجمل وأقوى وأعظم من
جلست على عرش مصر.. هأنذا أمامكم بجسدى ومجدى وعظمتى وصولجانى.. هل
تذكروننى؟

لقد غبت عنكم قرؤنا عددا.. بحساب الزمن من خمسة وثلاثين قرناً.. يا لها من
غبية طويلة.. لكم أشتاق إلى رؤياكم.. وحشتونى طويلا وكثيرا وأبداً وأمداً..

لا تندهشوا من طول غيابى.. لقد كنت على موعد مع فارس مصرى هو من
أحفادى لكى يكشف الستار عن سرى الذى حير العلماء الباحثين ويعلن للعالم كله عن
وجودى فى المكان نفسه الذى مكثت فيه ثلاثة آلاف سنة تزداد خمسمائة أو أكثر..
تون أن يعرف أحد أننى لم أبارح مكانى منذ لحظة صعودى بروحى إلى العالم الآخر!

→ الملكة حتشبسوت ومكتشف الملكة يتفحص المومياء الخاصة بها.

هذا الفارس المصرى الأصيل الذى اسمه زاهى حواس الذى كشف سر وجودى كله .. بعد مشوار طويل من الغرابة والإثارة والبحث المضى بأعقد أجهزة عرفها العالم حتى الآن ..

لم أكن لأرضى أبداً أن يكشف عن وجودى أحد من الفرنجة، كما فعل المدعو كارتر مع توت عنخ آمون ..

لا نريد أن يعيب بأجسادنا وأسرار وجودنا وحرماننا ومقدساتنا فرنجة جاؤوا بعلمهم نعم .. لكنهم يخفون خلف قناع العلم والبراءة .. نفوسا قبيحة لا ترضى لنا أن نعلو وأن نكبر وأن نتفوق!

قلت : صدقت والله يا مولاتى ..

قالت : أريد أن أسمع وأعرف من مكتشفى هذا الفارس المصرى .. كيف استطاع أن يعثر على؟

كيف تمكن من أن يحل لغزاً عمره آلاف السنين؟

قلت لها : يا مليكتى إنه هنا فى قلب المتحف المصرى فى الغرفة التى كشفت الستار عن سرك العظيم!

قالت : هيا بنا إليه .. لنسمع منه عثوره على ملكة مصر قبل زمان طوله خمسة وثلاثين قرناً إلى الوراء .. ولأرى عن قرب هذا التقدم العلمى المذهل الذى ساعدكم فى كشف هذا اللوغاريتم التاريخى؟

.....

أهلا حتشبسوت

يرحب الفارس المصرى بمليكته التى اكتشف وجودها بعد طول غياب ثم لبس ثوب أجانا كريستى الكاتبة البوليسية الإنجليزية الشهيرة صاحبة رواية «جريمة فى وادى النيل»، وهو يقول : إنها رواية مثيرة ورحلة عجيبة يا مولاتى .. لم أكن أتصور يوماً أنتى سأعيشها وأخوضها بحثاً عن أعظم الملكات فى تاريخ مصر كلها .

تحنى حتشبسوت رأسها امتناناً ..

رفيق الطريق يقف وسط الغرفة وأمامه جهاز الأشعة المقطعية.. ومعمل الـ DNA التي أسهمت في كشف غموض دام ٢٥ قرناً من الزمان.. ومن حوله فريق عملي علمي من طابور من الأساتذة الكبار: د. يحيى زكريا جاد أستاذ الوراثة الجزيئية بالمركز القومي للبحوث العلمية والمشرف على معامل الـ DNA بالمتحف المصري + د. هانى عبدالرحمن إخصائى الأشعة المقطعية + د. أشرف سليم أستاذ الأشعة بطب قصر العيني + د. جلال البحيرى أستاذ طب الأسنان ومفتاح اللغز + الأثرى هشام الليثى.

يحكى لنا أول رئيس مصرى لهيئة الآثار يكتشف اكتشافاً أثرياً مدوياً . بعد أن كانت كل الاكتشافات حكرا على الفرنجة والخواجات . القصة من البداية بقوله :

●● لم يكن يخطر ببالي عندما فكرت فى البحث عنها.. ولا ببال أكثر العلماء تفاؤلا أننى سأعشر يوماً على مومياء الملكة العظيمة حتشبسوت.. وكانت البداية أو الخيط الأول هو حساب ما بقى لدينا من موميأوات نسائية ملكية من ملكات وأميرات الأسرة الملكية رقم ١٨ التى تنتمى إليها مولاتى الملكة حتشبسوت.. ووجدت أن رصيدينا منها ست موميأوات عثرنا عليها فى خبيئة عائلة عبدالرسول الشهيرة فى عام ١٨٨١ .

قلت : التى صورها المخرج العبقرى شادى عبدالسلام فى فيلمه الرائع «المومياء»..

قال : هذا صحيح.

أسأل : كم عدد الفراعين والملوك والأمراء والملكات التى عثروا عليها داخل الخبيئة الشهيرة؟

قال : نحو أربعين فرعوناً..

قلت : ياه.. أربعون فرعوناً حته واحدة!

قلت والموميأوات الملكية النسائية الست أين هى؟

قال : أربعة أرسلهن كارتر عام ١٩٠٧ من مائة سنة إلى المتحف المصرى.. واثنان بقيتا فى مكانهما!

أسأله : ألم تفكر وأنت تبحث عن حتشبسوت أن تنزل إلى هذه الخبيئة مرة أخرى؟

قال : لقد فكرت ونفذت بالفعل في النزول إلى هذه الخبيئة التي تقع في حوض الجبل بالدير البحري.. وقد تدليت بالحبال في حفرة عمقها نحو خمسة عشر متراً.. وبعد النزول إلى أسفل وسط الظلام والخفافيش.. دخلت من فتحة صغيرة إلى سرداب محفور في حوض الجبل طوله نحو ثلاثين متراً..

أسأله : لماذا نزلت إلى هناك؟

قال : لكى أشاهد بعيني المكان الذى عثروا بداخله على الصندوق الخشبي الصغير المحفور عليه اسم الملكة حتشبسوت التى ولدت به.. والاسم التى حصلت عليه بعد توليها العرش..

أسأله : ماذا فى هذا الصندوق.. مجوهرات وقلادات الملكة الذهبية؟

قال : مجوهرات إيه.. لقد كان به أشياء أعظم.. كبد الملكة وأحشاؤها!

قلت : ياه.. إنه إذاً ما يطلقون عليه الوعاء الكانوي؟

قال : هذا صحيح.. وهذا الصندوق كان موجوداً بجوار جماعة المنحطين فى أثناء تحنيطهم لجسد الملكة العظيمة..

●● حتشبسوت صامته لا تتكلم.. تسمع وتسرح بناظرها إلى بعيد إلى ما قبل

خمس وثلاثين قرناً.. ربما! ●●

.....

.....

السر الأكبر!

أسأل فارس الاكتشاف الملكى والموميائين الباقيتين أين ذهبتا؟

قال : نقلهما كارتر فى عام ١٨٨١ إلى المتحف المصرى.. وقد تعبنا كثيراً فى

البحث عنهما حتى عثرنا عليهما فى الدور الثالث فى مخزن المومياءات!

قلت : والمومياءات لها مخزن فى المتحف.. يعنى تقصد أن تقول جبانة المومياءات؟

قال : أيوه.. وبها ما لا تقل عن ١٠٠ مومياء مازالت مجهولة الهوية! وقد وضعناها تحت الأشعة المقطعية التى تلتقط ١٧٠٠ صورة للمومياء تحت إشراف د. هانى عبدالرحمن.. وقد اتضح أن إحداها ماتت وهى تصرخ وبقى مخها مفتوحا حتى يومنا هذا؟

أسأله : لماذا كانت تصرخ هذه الملكة المجهولة أو هذه السيدة الغامضة؟

قال : لأنها ببساطة كانت مقتولة!

قلت : أكيد أنها كانت امرأة مهمة وإلا فلما عثرنا عليها داخل خبيئة مومياءات عائلة عبدالرسول الشهيرة مع أربعين فرعوناً!

قال : كلامك فيه شيء من الصحة!

قلت وارتديت بردة العالم ببواطن الأمور : أنا الذى يفسر لك أسرار التاريخ وأنت أحد أصحابه فى تصورى أنها ملكة من الملكات اللاتي بدأن مؤامرات الحریم فى البلاط الفرعونى.. وهناك واقعتان شهيرتان واحدة وقعت فى بلاط حریم الملك بيبي الأول أو الثانى لا أذكر.. والثانية واقعة تعرفها ويعرفها التاريخ المصرى.. مؤامرة الحریم فى بلاط الملك رمسيس الثالث، التى ربما أودت بحياته.. لكى يرث العرش ابن واحدة متآمرة.. دفعت رأسها ورأس ابنها ثمناً لمؤامرتها الكيدية!

قال : لا لا.. لن أصادر تحليلاتك.. من حقا أن تفسر.. ولكن للتاريخ ربما كان له رأى آخر؟

●● الملكة حتشبسوت تضحك فى سرها لأول مرة دون أن تعلق على مؤامرات الحریم الملكى بوصفها كانت الملكة.. فلم التآمر إذأ؟ ●●

.....

.....

النزول بالحيبال :

مكتشف الملكة الغامضة يواصل مغامرته العجيبة ونحن له منصتون : مازلنا فى قلب الجبل.. لم نبارحه لحظة حتى نكشف السر الأكبر.. نزلت إلى المقبرة رقم عشرين.. وهى الخاصة بالملكة حتشبسوت.. ولا أعتقد أن أحدا دخلها من قبل.. فطولها يمتد من قلب الهضبة نحو ٢١٩ متراً، وقد قام سنحوت المهندس المعماري للملكة بتحويل مسار المقبرة الملكية لتتقابل مع حجرة الدفن بها مع قدس الأقداس بمعبد حتشبسوت المعروف الآن بمعبد الدير البحرى.. ونزلت إليها بالحيبال مربوطا ومحموماً ومعلقاً فى الظلام.. وكنت الرجل الثانى بعد هيوارد كارتر مكتشفها عام ١٩٠٢ والتى قال عندما خرج منها قبل ١٠٤ سنوات : «لقد كدت أختنق من رائحة الوطاويط».. وقد شعرت وأنا داخل المقبرة أنني قد حققت حلم حياتى..

أسأله : ماذا وجدت فى داخل الحجرة؟

قال : حجرة دفن بها تابوت الملكة فارغا، وكذلك تابوت والدها أحمس الأول، ويجواره لوحات من الحجر الجيرى عليها كتابات وأدعية من كتاب الموتى.. وكلها عليها اسم الملكة حتشبسوت!

أسأله : ألم تدخل المقبرة رقم ٢٥ التى قالوا إنهم عشروا داخلها على مومياء الملكة نفرтитى؟

قال : دخلتها هى الأخرى وقد وجدت بها موميائين.. واحدة تعرف باسم «السيدة الكبيرة» قالت عنها اثرية إنجليزية إنها خاصة بالملكة نفرтитى!

قلت دهشا : ياه.. نفرтитى حته واحدة!

قال : هو إدعاء خاطئ وقد شرحت لها ذلك فى حينه!

أسأل : والمومياء الأخرى؟

قال : لشاب غير معروف هويته.. وقد عثر عليها الأثرى الفرنسى فيكتوس لوكاسى عام ١٨٩٨ ضمن خبيثة تضم ١٢ مومياء أخرى قام هيوارد كارتر عندما

كان كبيراً للمفتشين فى الأقصر وقتها بنقل ٩ منها إلى المتحف المصرى فى القاهرة.. وترك موميאות ثلاثة داخل المقبرة!

أسأله : وماذا قالت الأشعة المقطعية عن الموميאות الثلاثة؟

قال : لم تقل شيئاً.. لأنها موميאות غير معروفة!

.....

.....

الدخول إلى غرفة الأسرار!

المكشِف المصرى الذى يرتدى عباءة إجاثا كريستى يواصل روايته العجيبة..
والملكة تتصت وتبتسم ولا تتكلم :

ودخلنا إلى المقبرة رقم ٦٠ التى تقع أسفل مقبرة حتشبسوت.. ووجدت داخلها مومياء تأخذ فى رقدتها الشكل الملكى.. الذراع على الصدر.. المقبرة خالية من أى نقوش.. وبحثت عن المومياء الأخرى التى كانت معها والتى تخص مرضعة حتشبسوت واسمها «ست رع ان» ولم أجدها.. والذى أعرفه أنه لم تنقل أى مومياء من الوادى منذ عام ١٩٠٧.

قلت : يعنى من ١٠٠ سنة.

قال : نعم..

قلت : طيب أين ذهب مومياء المرضعة؟

قال : نقلها كارتر إلى المتحف المصرى.. وفى الدور الثالث فى مخزن الموميאות عثرت عليها داخل تابوت أكبر من حجم المومياء بمرتين.. وقلت فى نفسى : مادامت المرضعة كانت إلى جوار المومياء الملكية فى مقبرة واحدة.. فلما لا تكون الأخيرة هى حتشبسوت نفسها، كما سبق وتكهن عالم آثار أمريكى؟

●● الملكة حتشبسوت لم تفارقها ابتسامة خفيفة فيها كل مكر ودهاء المرأة المصرية قبل أربعين قرناً من الزمان!

قلت : وماذا فعلتم؟

قال: طلبت نقل المومياء الملكية من مقبرتها فى الوادى إلى المتحف المصرى..
ووضعناها إلى جوار مومياء المرضعة ومعها مومياء تحتمس الأول والد حتشبسوت+
مومياء زوجها تحتمس الثانى + مومياء أعظم الفرعدين وملك الفتوحات المصرية
تحتمس الثالث + غريم حتشبسوت وابن زوجها من امرأة أخرى!

●● تقطب حتشبسوت لأول مرة وتشيع بوجهها عنا! ●●

ووضعنا الجميع تحت جهاز الأشعة المقطعية تحت إشراف د. أشرف سليم
أستاذ الأشعة بطب قصر العينى + د. هانى عبدالرحمن..

وخطرب ببالى والملوك والملكات والمرضعة تحت جهاز الأشعة المقطعية الذى
يصور ١٧٠٠ صورة للمومياء تكشف لنا كل خباياها وأسرارها : لماذا لا نضع
الصندوق الذى يحتوى على أحشاء الملكة تحت الجهاز نفسه؟

وأسرع مساعده الأثرى هشام الليثى وأحضر الصندوق الذى عثروا عليه فى
خبيئة الدير البحرى.

وكانت المفاجأة أننا عثرنا على «ضرس» طوله ٨,١ سم وشعرت بأن هذا الضرس
ربما يقودنا إلى كشف السر كله!

ووجدنا مع د. هانى البحرى أن إحدى الموميأوات فاقدة لضرسها العلوى..
ووجدنا مكان الضرس فارغاً.. وجاء الدكتور جلال البحرى أستاذ جراحة الأسنان
ليكشف لنا عن أن الفك العلوية للمومياء التى من المفروض أن بها خمسة ضروس..
به ضرس مفقود.. وأنه فقد نتيجة عملية جراحية لوجود خراج أسفله!

أسأله : كيف وصل الضرس المعجزة إلى صندوق أحشاء الملكة الذى يضم الكبد
والأمعاء؟

المكتشف المصرى يقول : لقد سقط داخل صندوق الأحشاء سهواً، والمحفظون
يحفظون جسد الملكة العظيمة.. وأنت تعرف أن عملية التحنيط كانت تستغرق ٧٠
يوماً بطولها..

قلت : لقد سقط الضرس سهواً أو عمداً .. لكى تكتشف أنت فى النهاية سر
حتشيسوت!

قال : قول صحيح تماماً!

يتدخل د. جلال البحيرى : السن ياعزيزى بصمة لا تتكرر .. لكل إنسان بصمته!
قلت : يعنى هذه المومياء الفاقدة للضرس الخامس العلوى هى إذاً الملكة
حتشيسوت؟

قال : هذا هو ما حدث.. وهذا هو قدرى مع الملكة العظيمة!

قلت : يعنى ما قالته وسائل الإعلام المصرية والصحف أن المرضعة هى
حتشيسوت غير صحيح بالمرّة؟

قال : بالمرّة!

.....

.....

الـ DNA يعيد كتابة التاريخ!

تقف الملكة حتشيسوت من فوق كرسيها وهى تراقب كل ما يجرى دون أن تتدخل
بكلمة أو برأى أو بمشورة أو حتى بتصحيح .. تركتنا نعمل ونكتشف ونبحث وعندما
وصلنا إلى السر .. قامت لتحيى الحاضرين .. وتذهب لكى تجلس جوار موميائها
ومومياء مرضعتها هنية!

أسأل المكتشف المصرى : من أين لنا بجهاز الأشعة المقطعية المتقدم؟

قال : إنه هدية من الناشيونال جيوجرافيك وثمانه ٣ ملايين ونصف مليون دولار .

أسأله : طيب ومن أين يعمل الـ DNA؟

قال : من قناة ديسكفرى وثمانه ٥ ملايين دولار، وقد تم نذب الدكتور يحيى زكريا
أستاذ الجينات الوراثية بالمركز القومى للبحوث العلمية للإشراف عليه .

أسأل : وماذا فعل معمل ال DNA وماذا كشف لنا وهل يعيد حقا كتابة تاريخ مصر؟

قال رفيق الطريق : إنه المعمل الوحيد فى العالم المتخصص فى فحص المومياوات.. وأترك الكلام هنا للمتخصص ورئيس المعمل د. يحيى زكريا .

أسأل د. يحيى زكريا : ماذا قدم لنا هذا المعمل العجيب؟

بالبالطو الأبيض.. وبالعلم الغزير يتكلم :

●● يشمل معمل دراسة DNA القدماء بالمتحف المصرى خطوة مهمة تم انتظار تحقيقها طويلا.. وهذا المعمل نتاج تعاون علمى مثمر بين المجلس الأعلى للآثار والمركز القومى للبحوث، ويمثل المعمل النواة المناسبة لمجال دراسة DNA القدماء المصريين، حيث يشتمل على تصميم علمى أمثل وتجهيز بأحدث المعدات والتقنيات.

●● وقد تم أخذ عينات من أربع مومياوات (مومياة المرضعة، مومياة KV60A ، مومياة أحمس نضرتارى (زوجة أحمس، ومومياة تحتمس الأول)، وذلك خلال الأسبوع الأخير من إبريل ٢٠٠٧، وقد اعتمدت طريقة أخذ العينات على استخدام إبر بذل النخاع (والتي يتم استخدامها روتينيا فى الأحياء لأخذ عينات نخاع العظام) وتتيح هذه الطريقة أخذ العينات من الأنسجة الداخلية للمومياة عن طريق عمل ثقب دقيقة بطريقة يدوية رقيقة بدلا من استعمال آلة ثقب أوتوماتيكية والتي قد تسبب ضررا فى جسد المومياة.

أسأل : الثقب قلنا للمومياة؟

يقول : روعى أن يتم أخذ العينات من أماكن غير ظاهرة والتي عادة ما تكون مغطاة باللصائف، كما روعى تقليل عدد الثقوب إلى أدنى حد حيث يتم أخذ العينات من الفتحة نفسها عن طريق دخول الإبرة من زاوية مختلفة، مما يتيح فى النهاية إلى أن تحتفظ المومياة بشكلها الخارجى وحالتها الجسمانية كما هى.

أسأل : وماذا وجدتم فى المومياوات؟

يقول : فى أثناء الكشؑ على المومياءات لوحظ أن عظام مومياء الملكة أحمس تفرترارى جده حتشبسوت؁ وحتشبسوت نفسها تعانيان الهشاشة بعكس عظام مومياء المرضعة؁ أما مومياء تحتمس الأول فعظامها كانت أصلب بكثير من السيدات الثالث.

كما لوحظ فى بعض مناطق العظم الشديء الهشاشة فى مومياء حتشبسوت مما يشير إلى احتمال وجود أورام خبيثة فى العظم.

قلت : ياه.. حتشبسوت مصابة بالسرطان؟

يقول : نعم وربما كان السبب فى الوفاة أو بسبب مضاعفات مرض السكر + انزلاق؁ غضروفى وضغط مؤلم للأعصاب أسفل الظهر!

وعلى الرغم من قصر عمر المعمل؁ حيث يبلغ فقط شهرين من العمر؁ وهذا يعتبر فى إطار فترة الإعداد؁ وتهيئته لعمل الأبحاث عادة؁ وعلى الرغم من ذلك فقد تم التوصل إلى بعض النتائج الملموسة والإنجازات الواعدة؁ فقد أثبتت التجارب الأولية أنه يمكن استخلاص الحمض النووى DNA من المومياءات المدروسة؁ كما تم عمل تحليل PCR بنجاح على عينات الـ DNA وذلك لدراسة الحمض النووى الموجود فى النواة؁ وأيضاً فى الميتوكوندريا؁ والتحليل الأول يفيد فى دراسة القرابة من ناحية الأب والأم عن طريق البصمة الوراثية.

أسأل : بماذا يفيدنا الـ DNA؟

يقول :

١ . بينما يفيد دراسة DNA الميتوكوندريا فى تحقيق القرابة من ناحية الأم؁ وذلك لأن كل إنسان يرث نصف الـ DNA النووى من كل من أبيه وأمه بينما يرث DNA الميتوكوندريا من أمه كاملاً.

قلت : يعنى الأم مهمة علمياً جداً؟

يقول : نعم وقد تم استخدام تقنية تشخيصية حديثة جداً عمرها أقل من شهر فى معمل DNA القدماء بالمتحف؁ وهذه التقنية قدمت للفريق البحثى لاستخدامها

لأول مرة فى العالم على DNA للمومياوات.. وهذه التقنية تم تصميمها أساسا لدراسة العينات المتحللة فى مجال دراسة البصمة الوراثية لحالات الطب الشرعى.

٢ - وسوف تفيد هذه التقنية عند استكمال طرق إرسائها بالمعمل المصرى فى دراسة صلات القرابة وال DNA النووى للبقايا الأدمية القديمة لأول مرة.

٣ . ولقد تم استخلاص وتحليل جزء من DNA الميتوكوندريا لمومياء أحمس نفرتارى ومومياء KV60A واللتين أظهرتا بعض التوافق بين تنبعاتها الجينية، مما يشير إلى احتمال وجود صلة قرابة من ناحية الأم، غير أن استكمال هذه الدراسة فى المستقبل القريب سوف يتيح إثبات ذلك بطريقة قاطعة.

٤ . سوف يساعدنا فى حل العضلات التاريخية فى فترات التاريخ المصرى من ناحية تحقيق الهوية، وذلك إلى جانب تكوين قاعدة علمية متميزة من العلماء المصريين الشباب فى هذا المجال.

.....

.....

كتاب الأسرار والخفايا!

ويبقى السؤال : ما الذى تخفيه الأيام لنا.. لتاريخنا الذى جاءت التقنيات الحديثة لتغير مساره.. وتكشف لنا عن أسرار الملوك والملكات الذين حكموا مصر وأقاموا أعظم حضارة عرفها التاريخ حتى يومنا هذا؟

قلت لرفيق الطريق ومكتشف حتشبسوت : أريد أن أسالك سؤالا حيرنى طويلا: لماذا لم نعثر على حتشبسوت فى مقبرتها المكتوبة باسمها؟

يقول : مثل كل الملوك والملكات.. لقد اكتشفوا فى الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين أن كل المقابر الملكية تسرق وتنهب.. بل إن بعضها سرقوه بعد تشييع جثمان الملك نفسه.. ومن قبل حراسه!

ومن هنا كانوا ينقلون التوابيت ويدخلها الفراعين والملكات إلى مقابر أخرى بجوارها للتعتيم وإخفائها عن أعين اللصوص!

أسأله : ومن الذى كان يقوم بهذا العمل العظيم؟

قال : الكهنة.. وقد نقلوا مومياء حتشبسوت من مقبرتها إلى المقبرة رقم ٦٠ مع مرضعتها.. وهذا الأمر يفسر لنا العثورنا على الخبيئات فى التاريخ الفرعونى :

١ . أول خبيئة هى خبيئة عائلة عبدالرسول الذين جمعوا ٤٠ فرعوناً وملكاً فى عام ١٨٨١ .

٢ . ومن بعدها خبيئة كهنة آمون وقد عثروا عليها عام ١٨٩١ وتضم ١٠٠ تابوت لكهان آمون .

٣ . الخبيئة الثالثة .. خبيئة مقبرة أمنحوتب الثانى وعثروا فيها على ١٢ مومياء خلف حائط منقوش ومرسوم بكتابات هيروغليفية .. نقلوا عنها ٩ موميאות إلى المتحف المصرى.. وتركوا ثلاث موميאות مرضعة حتشبسوت + حتشبسوت نفسها فى المقبرة رقم ٦٠ .

٤ . خبيئة رابعة فى مقبرة القائد حور محب.. ولكن موميאותها تحللت كلها .

٥ . خبيئة خامسة فى مقبرة تل العمارنة عاصمة أخناتون العظيم التى تحمل رقم ٥٥ .. يقولون إن بها أخناتون نفسه!

أسأل : وماذا كشف لنا الـ DNA والأشعة المقطعية حتى الآن من أسرار؟

يقول : حتى الآن لقد حققنا كشوفات مذهلة :

١ - وجدنا إن مومياء الملك تحتمس الأول والد حتشبسوت ليس هو.. بل هو شخص آخر غير معروف.. وعلينا البحث من جديد عن مومياء تحتمس الأول!

٢ . أثبتت تحاليل الـ DNA أن هناك تشابهاً وصلة قرابة بين حتشبسوت وجدتها أحمس نفرتارى زوجة أحمس الأول محرر مصر من الهكسوس .

قلت : هذا مؤكد أنها حفيدتها حقاً!

٣ . اكتشفنا أن حتشبسوت نفسها ماتت بسرطان فى العظام + مضاعفات سكر + انزلاق غضروفى .

٤ . وجدنا أن زوجها تحتمس الثانى كان يعانى تضخماً فى القلب.

٥ . اكتشفنا أن الملك العظيم تحتمس الثالث صاحب أعظم إمبراطورية مصرية

قبل التاريخ كان يعانى مشكلات فى التنفس!

٦ . لم نعثر حتى الآن على مقبرة سنحوت المهندس المصرى الرائع الذى شيد

معبد الدير البحرى، ومقبرة حتشبسوت فى البر الغربى، والمقرب إلى قلبها.. ولا

حتى على أى أثر لابنتها «نضرو رورع»!

٧ . الضرس المفقود هو الذى قادنا إلى معرفة مومياء حتشبسوت الحقيقية!

ولعلمك . يقول رفيق الطريق . أنا ضد شيئين على طول الخط :

الأول : هو الاعتماد الكلى على الـ DNA الذى يقوم بتشغيله الأجانب.. لأن

كثيراً منهم مغرضون.. حتى أنهم فى الغرب بعد أن فحصوا مومياء قالوا إن أباهما

من أصل سكسونى!

الثانى : أنا ضد تشغيل الأجانب للكشف عن أسرار تاريخ مصر.. المصريون أولى

وأقدر ولذلك فتجن فريق عمل مصرى ١٠٠٪ من الأثار ومن علماء المركز القومى

للبحوث العلمية!

أسأله : وماذا فى الطريق؟

قال : أخناتون ونفرتيتى!

.....

.....

قلت للفنان الصديق فاروق حسنى وزير الثقافة: حمداً لله على السلامة.. بعد

عودتك من رحلة العلاج فى باريس..

قال : الحمد لله .

قلت : لقد كلفتنى الملكة حتشبسوت برسالة إليك .

قال : ماذا قالت؟

قلت : إنها تريد أن تجلس إليك لتعبر لك عن شكرها وامتنانها لاكتشاف موميائها فى عهدك.

قال : أهلا بها فى أى وقت.

قلت : ولكنها اشترطت علىّ ألا أذهب معها إليك ولا حتى مع المكتشف زاهى حواس..

يضحك طويلا من قلبه ويقول : أهلا بها.. ربما أرادت أن أرسمها فى لوحة تعيش العمر كله!

.....

والآن من الملكة حتشبسوت؟

ماذا تقول عنها كتب التاريخ

● كان للمرأة مكانة كبيرة فى مصر الفرعونية، حيث كانت هى الأم والزوجة والأخت والإلهة المتحكمة فى شئون البشر، ولم يقتصر دور المرأة قديماً على رعاية الأطفال، ولكن خرجت المرأة للعمل جنباً إلى جنب مع الرجل حتى أنها وصلت إلى أعلى المناصب وأرفعها.

كما وصلت المرأة قديماً إلى العرش وحكمت مصر.

●● ومن أهم الملكات اللاتى حكمن البلاد : الملكة مريت نيت من الأسرة الأولى - الملكة خنتكاوس من الأسرة الرابعة - الملكة نيت إفرت من الأسرة السادس - والملكة سبك نفرو من الأسرة الثانية عشرة والملكة تاوسرت من الأسرة التاسعة عشرة.

●● أما عن أهم هذه الملكات على الإطلاق والتي نالت شهرة كبيرة لما لها من دور سياسى واقتصادى ودينى هى الملكة حتشبسوت أحد أهم ملوك الأسرة الثامنة عشر.

●● وحتشبسوت والذي يعنى اسمها المتحدة مع آمون فى مقدمة النبيلات.. هى ابنة الملك تحتمس الأول من أوائل ملوك الأسرة الثامنة عشرة والملكة وجدها الأكبر هو الملك أحمس مؤسس الأسرة الـ ١٨.

وتعد حتشبسوت خامسة ملكة في الأسرة الـ ١٨ كما أنها تعد من أشهر ملوك هذه الأسرة، وعندما توفي والدها الملك تحتمس الأول أصبحت هي الوريثة الشرعية الوحيدة لعرش مصر، ولكن التقاليد كانت تقتضى وريثاً ذكراً ليتولى الحكم ومن ثم تزوجت حتشبسوت من أخيها غير الشقيق تحتمس الثانى الذى خلف أباه فى الحكم وكانت لهما طفلة وحيدة هى نفرو رع، وحصلت حتشبسوت فى هذه الفترة على عدد من الألقاب منها : حتشبسوت ابنة الملك وأخت الملك والزوجة الملكية العظيمة والزوجة الإلهية لآمون، وهو يعد من أهم الوظائف التى شغلتها المرأة بالأخص فى عصر الدولة الحديثة حيث كانت بداية ظهور هذا اللقب مع بداية الأسرة الثامنة عشرة، حيث قلد الملك أحمس زوجته الملكة نفرتارى هذا المنصب الكهنوتى والذى له أهمية كبرى، حيث يكفل لحاملته الإشراف الدينى والإدارى الكامل على معابد المعبود آمون، وما يتبعه من ثراء وسلطة ونفوذ، وفى البداية كان هذا المنصب مقصوراً على أميرات البيت المالك، حيث ورثت عنها هذا اللقب ابنتها «مريت آمون» ثم انتقل هذا اللقب بعد ذلك إلى الملكة حتشبسوت ومن بعدها إلى ابنتها الأميرة «نفرو رع»، ويرى البعض أن هذا اللقب كان بمثابة جواز المرور الذى من خلاله استطاعت حتشبسوت الانفراد بالحكم.

●● وبعد رحيل تحتمس الثانى كان له ابن من زوجته الثانية إيزيس يدعى تحتمس الثالث تولى الحكم تحت وصاية ومشاركة زوجة أبيه وعمته حتشبسوت وزوجته من إحدى بناتها «نفرو رع» لكى تبعده عن الحكم، واستمر هذا الوضع لعدة سنوات، ثم قامت بحجز تحتمس الثالث فى أحد المعابد وانفردت بالحكم وحملت العديد من الألقاب منها سيدة الأرضين، وهو الصيغة المؤنثة من اللقب الملكى سيد، ثم أخذت الألقاب الملكية الخمسة وأعلنت نفسها حاكماً للبلاد.

●● وفى سبيل تحقيق ذلك اختلقت قصة أسطورية لتؤكد للشعب أن اختيارها كملكة للبلاد كان بناء على رغبة الآلهة، حيث سجلت على جدران معبدها الجنائزى بالدير البحرى قصة مولدها المقدس تأكيدا لإعلان نفسها ملكة للبلاد، حيث تذكر كيف جمع آمون ملك الآلهة كل آلهة مصر وأعلن أمامهم رغبته فى إنجاب طفل يحكم مصر فرشح له تحوت إله الحكمة الملكة زوجة تحتمس الأول لتكون أما لهذا

الطفل، وصور على جدران المعبد وقائع الزواج المقدس والولادة الإلهية للابنة الإلهية ابنة الإله آمون سيد الآلهة حتشبسوت حيث يصور أحد المناظر الإله خنوم الخالق جالس على عجلة الفخرانى ليشكل الطفلة الملكية وقرينها، وصور حتشبسوت الطفلة فى هذا المنظر بهيئة الذكر لا الأنثى، حيث دائماً ما كانت تتشبه بالذكور ليس فى الملابس فقط، ولكن أيضاً فى الألقاب التى حملتها وربما كان هذا رغبة منها فى أن تثبت للشعب أنها مثلها مثل الرجال، وأنها قادرة على حكم البلاد كأقوى امرأة لمدة تصل إلى ٢٠ عاماً إلى أن رحلت فى عام ١٤٨٣ق.م.

●● لقد اهتمت حتشبسوت فى فترة حكمها بالإنشاءات وإرسال البعثات السلمية للأقاليم المجاورة لإحضار منتجاتها فلم تهتم فقط بالجانب السياسى والعلاقات الخارجية فأرسلت حتشبسوت خلال حكمها بعثة إلى الجنوب وبالتحديد إلى محاجر الجرانيت فى أسوان لقطع أحجار مسلاتها واتخذت حتشبسوت من هذا الحدث احتفالاً كبيراً سجلته على جدران معبدها.

●● وسجلت أيضاً على جدران معبدها فى الدير البحرى رحلتها التجارية الشهيرة إلى بلاد بونت على البحر الأحمر، وكان لهذه البلدة مكانة كبيرة لدى المصرى القديم، حيث عرفت باسم «تا نثر» أى أرض الآلهة، وجلبت منها البخور والأشجار لتغرسها على جانبى مدخل المعبد، ويعد هذا المنظر من أهم الوثائق التاريخية، حيث أمدنا بالكثير عن الحياة فى تلك المناطق من خلال تصوير حاكم بونت وزوجته البدينة والحمار الذى يحملها، وأيضاً تصوير منازل السكان حيث كانت عبارة عن أكواخ دائرية ترتفع على ركائز خشبية فوق سطح الأرض، وصور أهل بونت وهم يحملون الأبنوس والعاج إلى السفن المصرى.

.....

.....

هذه هى حتشبسوت أجمل وأعظم من جلست على عرش مصر.. ومن عنده

اعتراض فليتفضل.١. ■



الزهور المصرية تتفتح

كأنه ديكور فيلم من أفلام كنج كونج. أو حديقة الديناصورات.. ولكنها هنا ديناصورات عملاقة صامتة ساكنة لاتتحرك.. فى صورة ناطحات سحب تجمعت وتشابكت وتناطحت وتسابقت فى العلو والارتفاع.. من يسبق الآخر. من يحرز لقب أعلى مبنى فى العالم؟

هذه هى أمريكا..

كل شىء عال.. لاتستطيع أن تطوله بيديك.. وإنما بعينيك.. كل شىء مرتفع.. كل شىء ضخم.. كل شىء هائل..

إحساس واحد يملكك ويأخذ عليك أنفاسك.. بالانبهار بالعلو بالتحدى.. والكلمة الأخيرة التى اسمها التحدى هى التى تتحكم فى الحياة الأمريكية كلها..

إنهم يتحدون العالم.. مادام ليس لهم تاريخ.. فهذا هو تاريخهم.. كتابهم فى الدنيا الارتفاع ثم الارتفاع.. ثم الارتفاع!

→ الملك توت عنخ أمون ونظرة وداع أخيرة من زوجته وابنه أختاتون.

وكانهم يقولون للعالم كله : هل من منافس.. هل من مبارز.. هل من مصارع؟
ومن هنا خرج من عندهم طرزان.. بعد أن حولوه من إفريقي أسود إلى
أمريكي أبيض هو البطل المنتقد دائماً!

وخرج من عندهم سوبرمان الرجل الذى لا يقهر.. ثم باتمان الرجل
الوطواط.. ثم أخيراً سلسلة المازينجر وياورينجر التى سحرت أطفال العالم كله!
فى كل مرة أزور فيها أمريكا.. على مدى سبع مرات داهمنى هذا الشعور
وأخذنى هذا الإحساس على جناحه..

تشعر كما لو كانت هذه الناطحات تسد عليك أنفاسك.. وإنه لابشر فيها ولا
زحام وكان الناس قد هجروها إلى كواكب أخرى..

ولكن بمجرد أن تدخل من باب واحد منها.. ينقض عليك زحام كائنات ظريفة
لطيفة جميلة طيبة لاتعرف من أين أتوا.. ولكنك تكتشف أنهم هنا منذ السابعة
والنصف صباحاً.. يعملون ويكدون ويديرون دفة العالم..

وهم شئت أم أبيت يعرفون دبة النملة ويحصون عليك خطاويك وأنفاسك..
ويحركون الأحداث فى كوكب الأرض كله شئت أو لم تشأ.. ويعدون حتى لقيمات
الخبز فى فم صانع فراء داخل كوخه الراقد فوق جبال التبت!

وكانك تمشى داخل ديكور عظيم لمدينة عظيمة بناها مخرج عظيم لفيلم
عظيم.. ولكنه ديكور دائم.. وليس ديكورا تدوسه البلدوزرات العملاقة لتهدمه
وتحوله إلى أنقاض بعد كلمة النهاية فى الفيلم!

هنا فقط.. تتأكد أنك حقاً قد وصلت إلى أمريكا!

ملحوظة من عندى : حتى لا يفهمنا أحد خطأ فهذه هى الحقيقة.. ومن
ينكرها أعمى وأطرش وأصم.. وإن كنا نحب أن نضيف أن أمريكا شعباً وحضارة
وتقدماً عشرة على عشرة.. ولكن سياستها الخارجية وتحكمها فى مصير الدنيا
ومصائر شعوبها أقل من ثلاثة من عشرة!

انتهت الملحوظة ..

الزهور المصرية.. تتفتح!

نحن الآن فى شيكاغو..

مازلنا نعيش عرس الملك الصغير توت عنخ آمون..

الدنيا كلها فى فرح وصخب وتناغم.. فرحة بسفير الحضارة المصرية.. إلى الدنيا بأسرها.

رفاق رحلة الحضارة يقودهم آخر الفراعين صاحب القبعة الشهيرة زاهى حواس كوكبة من بلاط صاحبة الجلالة يتقدمهم : أستاذنا ومعلمنا الصحفى الكبير محسن محمد + زميلنا الظريف دائماً الكاتب الصحفى عاصم حنفى + د. على رضوان أستاذ التاريخ + الصديق محمد غنيم مدير المتحف الكبير.. ينضم إلينا مراسلنا الدائم فى واشنطن الزميل العزيز علاء رياض + الزميلة ثناء يوسف من جريدة الأخبار.

وكلمة حق تقال.. لم تتركنا لحظة واحدة السفيرة المصرية فى شيكاغو هدى جودة وجه مشرف حقاً للدبلوماسية المصرية المتحركة.. ونموذج للمرأة المصرية كواجهة حضارية متألفة خارج الحدود.

اسأل رفيق الطريق : أين هو الملك توت؟

قال : لقد سبقنا قبل أيام وهو فى انتظارنا وكله شوق كبير للقاء أحفاده فى متحف المدينة!

قلت : وأى أحفاد.. عمرهم ثلاثة أضعاف عمره..

لم نكذب خبراً.. بمجرد شروق شمس الصباح كنا كلنا بريطة المعلم نظرق باب مولانا الملك الصغير توت فى مقره على الأرض الأمريكية التى سوف يظل يحيا هنا على مدى الأشهر السبعة المقبلة.. كأننا ندخل كهفاً من كهوف ألف ليلة وليلة، الظلام هو سيد الموقف هنا كل شئ من حولنا أسود اللون الحوائط الأرضيات

الأسقف.. لاضوء إلا على القطعة الأثرية وحدها التى تضوى وتلمع وتعلن عن نفسها وجمالها وتقردها .

لا تملك إلا أن تقول بمجرد دخولك كلمة : الله.. قالها شيخ الصحفيين المصريين عمنا محسن محمد.. ورددتها من بعده مائة على الأقل من تلاميذ المدارس الأمريكية فى المرحلة الأولى عندما دخلوا القاعة معنا ولكن بلهجة أمريكية فيها الكثير من صراخ الإعجاب!.

الكل يسمع معنا قصة الملك توت بصوت الفنان المصرى عمر الشريف..

كأننا دخلنا القصر الذى كان يعيش فيه الملك المعجزة مع زوجته وأثيرته عنخ أس آمون ابنة ملكة جمال عصرها وكل عصر نفرتيتى..

توت مع أميرته يستقبلنا فى مدخل القصر بتمثاله العجيب الذى يكاد ينطق ويقول لنا : أهلا بالمصريين فى كل زمان وفى كل مكان..

وكما كان فى البيوت الملكية العريقة الذى تحول إلى تقليد موروث فى بيوت المصريين عبر مشوار خمسين قرنا من الزمان وجدنا صور عائلة الملك الجميل وشجرة أسرته بداية من جده أمنحوتب الثالث وأبيه أخناتون حتى نفرتيتى زوجة أبيه ثم أمه الزوجة الثانية لإخناتون الملكة توت نجت.

قلت للزميل عاصم حنفى : والله بيفكرونى بالذى مضى نفس تسلسل الصور فى شجرة العائلة الكريمة لايزال كما هو معلقا فى بيت العائلة فى القناطر الخيرية.

يرد ضاحكا : مع الفارق فى الألقاب طبعا .

قالت لى أترين دييورت وهى كاتبة أمريكية فى الوول ستريت جورنال : لم أكن أتخيل للحظة واحدة أننى سألتقى وجها لوجه مع هذا الملك الشاب الذى كان اكتشاف مقبرته فى اوائل القرن الماضى أعظم حدث ثقافى حتى الآن.. أنتم تملكون أعظم حضارة ونحن نحسدكم على هذه التحف الرائعة التى لايد وأن يكون قد صنعها شعب عظيم.. ولكن أين أنتم الآن لماذا خفت صوتكم وسط أصوات الأمم؟

قلت : وهل هناك صوت أعلى مما ترين أمامك ومن حولك الآن .. إنه صوت الحضارة؟

توت يحكى حكايته!

هذا ماحدث بالضبط.. دون زيادة أو مبالغة أو نقصان..

قال لى رفيق الطريق : هل تريد أن تتحدث وجهاً لوجه مع الملك توت؟

قلت : وهل لى أن أرفض عرضاً بقاء ملكى لم يكن فى الحسابان؟

قال : إذأ بعد نصف ساعة سنذهب معاً للقائه..

قلت : هنا فى شيكاغو..

قال : لاتقاطع ولا تزايد على رزقك الصحفى!

انشغل الجميع بالحفل الرائع الذى أقامه رئيس هيئة تنشيط السياحة المصرية ورفاقه داخل متحف شيكاغو على مسمع ومشهد من الملك توت بما فيه من مغنى عربى وطبلة ودف ورق وخفة دم.

أشار إلى رفيق الطريق من طرف خفى.. قمت من مكانى تاركاً علامة استفهام كبيرة أمام الزميل عاصم حنفى.. عبرنا ممرات حتى وصلنا إلى القاعة الرئيسية التى يطلقون عليها بيت توت.. الظلام يلف المكان.. الحراس بمجرد أن يشاهدوا زاهى حواس يرفعوا الحواجز ويفتحوا الطريق.

طلب زاهى من الحارسة التى تشبه أم زينب سجانة سجن القناطر وإن كانت الأمريكية أكثر سواداً وانصياعاً.. أن تغلق الباب.. ولا تدخل أحدأ.. وعندما نريد أن نخرج سوف نطرق الباب من الداخل..

قالت الحارسة العملاقة : أوكيه سير..

الظلام مازال سيد الموقف هنا.. لا يقلق منامه أو راحته ولاضوء شمعة واحدة..

كضوء رفيع يتحرك من قلب الظلمة.. حتى تشكل فى صورة إنسان لاتكاد ترى ملامحه.. جلس فى ركن على قاعدة مرتفعة.. أشار إلينا.. فذهبنا إليه.. أوما

برأسه إلى رفيق الطريق.. تهامسا كل في أذن الآخر.. ليقول لى زاهى : إنه يسأل
عنك.. هو لايعرفك ويتخوف منك.. وعندما قلت له : إنك صحفى.. قال : أنا لا
أحب الصحفيين!

قلت فى حدة : مع من تتكلم.. لاتقل لى إنه الملك توت؟

قال : هو بالفعل الملك توت.. ولكن فى صورة ضوئية!

أسأله : أية لغة يتحدث؟

قال : إنها لغة المصريين القدماء العامية وهى خليط بين الهيروغليفية
والهيراطيقية.

قلت : المهم أنك تتكلم معه وأنه يفهمك وأنت تفهمه؟

قال : هذا صحيح..

قلت : قل له بداية ألا يخاف من الصحفيين.. فأنا مصرى مثله ونحن نخاف
عليه أكثر مما يخاف هو على نفسه!

مد توت يده الضوئية إلى مسلماً وهو يتمم بكلمات لم أفهماها..

زاهى حواس يترجم : إنه يعتذر لك عن سوء فهمه.. من كثرة ماكتبوا عنه
وأشاعوا وافتروا عليه!

قلت : قل له إن يحكى قصته الحقيقية حتى يعرفها العالم بعد أكثر من خمسة
وثلاثين قرناً من رحيله.

توت يتكلم بصوت رخيم كأنه يغنى أو كأنه يتلو قصيدة شعر وعمه ومرشده
ومعلمه زاهى حواس يترجم لنا:

أبى هو أول من عبد الإله الواحد الأحد من دون البشر.. هو أول من أرسى
ديانة التوحيد فى الأرض.. إنه أخناتون العظيم الذى قال مناجيا ربه : أنت الإله
الواحد الأحد الذى وجد منذ الأزل.. أنت واهب الحياة.. ولا حياة إلا بك.. أيها

المشرق البهى القريب البعيد.. يامن يشرق بجماله وجلاله.. يامن يمتد نوره ليضىء العالم كله.. فإذا الأرض تتهلل وإذا الناس أيقاظ.

وقد ولدت فى العام الحادى عشر من حكم سيدى وأبى مولاى أخناتون.. وكان اسمى فى شهاده ميلادى : توت عنخ أتون.. ومعناها : الصورة الحية للإله أتون.. وأمى هى الملكة كيا وليست الملكة نفرتيتى.. وكيا هى الزوجة الملكية الثانية لأبى الملك أخناتون.. وقد تربيت فى قصر الملقطة أحد قصور تل العمارنة المنيا الآن وكنت تحت رعاية مربية جميلة كانت بمثابة أم لى بعد إن كانت أمى قد ماتت فى أثناء ولادتى واسمها ماريا!

زاهى يتدخل : لقد عثرنا ياعزيزى توت على مقبرة مريبتك الأثيرة فى سقارة وهى مقبرة جميلة وفيها صور رائعة.. وقد وجدنا تماثيل لها فى قصر الملقطة الذى تربيت فيه فى تل العمارنة! توت يفرح : هذا خبر جميل..

أسأل : وكيف تعرف على زوجته عنخ أس أن أتون؟

يرد توت : لقد عشت معها فى قصر واحد بعد أن ماتت أمى وذهبت لأعيش مع الملكة نفرتيتى زوجة أبى وهى الابنة الرابعة لها.. وقد نشأت قصة حب رائعة بيننا.. انتهت بالزواج حسب رغبة الملكة نفرتيتى التى رأت أنه مادمننا نحب بعضنا فلا بد أن نتزوج حتى نحمى مصر بعد أبى كملك وملكة.. وخير شاهد على قصة الحب.. مشهد زوجتى وهى تقدم لى الزهور كما هو مرسوم على جدران مقبرتى فى وادى الملوك..

أسأله : متى توليت عرش مصر؟

توت يقول : كان عمرى نحو ٩ سنوات عندما توليت العرش خلفاً لأبى أخناتون بعد رحيله.. والإضرابات التى سادت البلاد.. والعودة إلى ديانة الإله آمون وعودة العاصمة طيبة مع كهنة آمون.. وتغير اسمى واسم زوجتى بدلا من أتون.. إلى آمون..

أسأله : كم حكمت مصر؟

قال نحو عشر سنوات..

قلت لزاهى : أريد أن أسأله سؤالاً محرّجاً.. ربما يفضبه.

قال : هو لطيف ظريف محبوب كما ترى لا يحمل همّاً ولا حقدّاً ولا كراهية لأحد!

قلت : هل علم حقا أنه بعد رحيله عن الدنيا أن زوجته الحبيبة قد أرسلت خطاباً إلى ملك الحيثيين فى الشام تقول فيه : مات زوجى ولم أنجب ذكوراً.. وأنا أعلم أن لك أبناء كثيرين.. فإن أرسلت لى أحدهم سيكون لى زوجا وسيصبح ملكا على مصر..

وبالفعل فرح الملك الحيثى أن يصبح ابنه يوما ما ملكا على مصر.. وأرسل أميراً صغيراً من أبنائه.. ولكنه قتل فى حادث غامض وهو فى طريقه إلى مصر! بدهشة بالغة ممزوجة بصوت غاضب حانق يرد الملك توت : كذب وافتراء من قبل مؤرخين يريدون أن يشوهوا صورة المرأة المصرية الوفية الأبية.. عنخ لا يمكن ان تفعل هذا العمل المشين بعد رحيلى بدليل الزهور التى نثرتها على قبرى يوم رحيلى ومازالت كما هى غضة نضرة حتى يومنا هذا . ألم تشاهدها يا هذا؟

قلت : شاهدتها وباركت قصة حبكما العظيمة!

زاهى يتدخل : الأمر الذى يؤكد أنها قصة غير حقيقية.. أن زوجتك عنخ تزوجت من الكاهن أى الذى خلفك على عرش مصر.. ولم يعيش طويلا!

أسأله : طيب وما حقيقة المؤامرة التى دبرها الكاهن آى والقائد حور محب كما يقولون للتخلص منك والاستيلاء على عرش مصر.. والتى انتهت كما يقولون بقتلك؟!

بانفعال أكثر رد الملك توت : قتلى.. من قال هذا.. الحقيقة..

وقبل أن يكمل كلامه.. انفتح الباب على مصراعيه ليقترح المكان مجموعة الصحفيين المصريين : عاصم حنفي وعلاء رياض وثناء يوسف بحثنا عنا حتى لا ننفرد بكنز ثمين من الأسرار دونهم..

ويتبخر توت في الظلام هارياً من الأضواء والضجيج والزحام.. ويضيع علينا سبق تاريخي على لسان الملك نفسه.. ولكن ماذا نفعل لزملاء المهنة ورفاق قلم وأبناء وطن واحد لا يعرفون ماذا كنا نفعل.. وآه لو عرفوا!

بعيداً عن الدم والهم!

بعيدا عن صخب السياسة والآعيب السياسية.. على شاشة التليفزيون الأمريكي.. وفي صدر صفحات الصحف وأخبار المجازر والدم المراق في العراق وفلسطين وعلى الحدود المصرية : القوات الأمريكية الخاصة تخنق الزرقاوى وابنه الرضيع + مجزرة إسرائيلية على شاطئ غزة إسرائيل تقتل أسرة بكاملها كانت تمضى يوماً على شاطئ البحر + مصرع جنديين مصريين برصاص قناص إسرائيلي على الحدود المصرية + احتراق حتى التفحم لأطفال صفار في مستش: ١ - حكومي! + انتحار ثلاثة مساجين هرباً إلى الموت من التعذيب في سجن جوانتانامو!

بعيداً عن أخبار السياسة وأخبار الدم والهم..

رحنا نستريح ساعة زمان واحدة مع حديث الجمال والفن والحب والحق والخير والعدل لعله يجد له مكاناً بيننا..

يتقدم الدكتور على رضوان عميد الأثريين العرب لكى يقدم هذه اللوحة المصرية للجمال عبر مشوار التاريخ المصرى العظيم..

لنتركه يتحدث عن الجمال الذى عاش وترعرع على أرض مصرية.. ونحن فى سبيلنا إلى إنشاء المتحف الكبير.. وهو أعظم متحف ربما فى العالم كله.. مكانه هضبة الأهرام أمام الأهرام العملاقة.

هو يقول : مصر هى بلد الجمال والحق والعدل والمساواة.. وليس أدل على ذلك أن الملك بيبى الأول حضر حفلا مع رئيس وزراء.. وقام احد المدعوين

بمهاجمه رئيس الوزراء ويتهمه بالفساد وقدم قائمة بالحقائق التى تدعم كلامه ..
فما كان من فرعون مصر إلا أن أمر بعزل رئيس الوزراء جزاء ما فعل!

لقد اخترنا نماذج تعتبر من أجمل ما عرض لتوت عنخ آمون وربما أخذنا كل
المجموعة لكى يصبح المتحف الكبير مقراً وداراً أبدياً للملك الشاب.

إن المتحف الكبير سوف يحكى بالفن والجمال والحب أروع ما أخرجته
العبقرية المصرية والتوهج المصرى عبر مشوار طويل من عمر الزمن نفسه.

بداية قصة الحضارة المصرية.. وجه آدمى نراه من خلال البروجيكتور الذى
يكبر الصورة مائة ضعف وأكثر صنعة الفنان المصرى فى الألف الخامس قبل
الميلاد.. يعنى قبل نحو سبعة آلاف عام.. وقد عثرنا عليه فى بنى سلامة فى
وادي غطاطى بالقطامية على مشارف القاهرة.. لاحظوا شرطة الفم ورسمه
العينين.

وهذه هى لوحة نارمر.. مؤسس الأسرة الأولى.. ويعنى اسمه القرموط لاذع
الصرخات.. وابنه الملك مينا موحد القطرين وموسس أول دولة فى العالم.. ومينا
تعنى الخالد.

ثم تنتقل إلى أمجاد الدولة القديمة التى تبدأ بالأسرة الرابعة ومؤسسها الملك
سنفرو والد الملك خوفو.. قبل نحو ٤٥٠٠ سنة.. ومعنا هنا تمثال رع حتب وزوجته
الجميلة نفرت..

أمامكم أعظم تمثال نحته الفنان المصرى.. هو تمثال الملك خفرع، الذى قال
عنه النحات لا فائت : لو أنهم عرضوا فنون العالم جميعاً وسألونى أن أخذ قطعة
واحدة فقط لاخترت تمثال الملك خفرع!

والذى تشاهدونه أمامكم هو تمثال الملك منتوحتب الثانى مؤسس الأسرة
الحادية عشرة التى شهدت أسوأ عصور الحضارة المصرية.. وكما يقول المؤرخ
المصرى منيتو : مصر أيامها حكمها سبعون ملكاً فى سبعين يوماً!

ثم جاء عصر الظلام عندما تمكن الهكسوس وهم قوم من رعاة وسط آسيا يقال إن أحفادهم هم المغول.. من احتلال شمال مصر فى نهاية الأسرة الثالثة عشرة.. بينما جنوب مصر ظل تحت حكم المصريين.

وجاء يوم أرسل فيه خيان ملك الهكسوس رسالة إلى سقن رع ملك مصر فى الجنوب يقول له فيها : إذا لم تقدر على إسكات أصوات أفراس النهر عندك التى تزعجنى فى منامى فسوف أتى لتأديك!

وبدأت معركة التحرير وقتل سقن رع ثم ابنه كامس.. ووقفت الأم العظيمة اع حبت ومعناها التى تسعد القمر لتقول لابنها الثانى أحمس : ها قد أصبحت مصر أمانة بين يديك أنت.. فقامت معركة التحرير العظيمة التى استمرت ثلاث سنوات.. انتهت بتحرير مصر وتمزيق شمل الهكسوس إلى الأبد.

ثم بدأت الدولة الحديثة بالأسرة الثامنة عشرة أسرة توت عنخ آمون فى عام ١٥٦٠ قبل الميلاد.

ثم جاء تحتمس الثالث أعظم المحاربين فى التاريخ.. وقد حمل سلاح الحضارة عندما كان يجمع أمراء وأبناء وبنات الملوك المهزومين ويحضرهم إلى طيبة لكى يتعلموا الحكمة والدين والعلم والفن والكتابة ثم يطلقهم إلى بلادهم ليكونوا حكامها.. فى ظل التحضر والتطوير المصرى.

د . على رضوان مازال يحكى قصة الحضارة المصرية :

تأملوا معى خطاب العرش الذى ألقاه تحتمس الثالث على رئيس وزرائه الذى اسمه رخ مى رع ومعناها : الذى يعرف مثل رع.. قال فيه :

افعل العدل فى الأرض ولا تحكم إلا بالحق.

إذا جاءك متخاصمان.. فلا تطل النظر لأحدهما لأنه ابن غنى.. ولا تنظر للآخر لأنه ابن فقير.. بل ساوى بينهما فى النظرات وفى الحقوق!

هل تتصورون أنه فى عهد الملك خوفو كان من بين موظفى الدولة المشرف على رعاية أشجار منف.. يحدث هذا فى مصر قبل ٤٥ قرناً من الزمان!

وهذه بورتريهات الفيوم التى عثر عليها عالم إنجليزى اسمه فلندرز بشرى فى عام ١٨٩٢.. وهى تصور رسم الوجه كاملا على التابوت.

تعالوا نتفرج على أجمل ما قدمت الحضارة المصرية من خلال ٢٢ نموذجا لروائع ملكنا الميجل صاحب المقام والمولد كله.. توت الجميل الذى كان مجيئه لغزا ورحيله ظلما!

ها هو الملك والملكة فى تلاحم وتراحم ولاحظوا بوكيه الورد.. تحية وداع من الملكة عنخ اس أن آمون.. بنت أخناتون ونفرتيتى.. إلى زوجها الملك توت وهو ابن أخناتون.. ولكن من زوجة ثانية اسمها كيا!

وهاهو أى الكاهن الذى تولى العرش بعد رحيل توت عنخ آمون وكان عمره فوق الثمانين سنة.. الذى تزوج زوجته.. ويقال إنه كان وراء مقتل توت إذا كان قد قتل حقاً مع حور محب قائد الجيوش الذى تزوج أخت نفرتيتى موت نجمت حتى يدخل الأسرة الملكية ويصعد إلى العرش وقد كان بعد رحيل الكاهن أى!

لتغرب شمس الأسرة الثامنة عشرة.. ويبدأ عصر الرعامسة العظام بالأسرة التاسعة عشرة، وأعظم ملوكها رمسيس الثانى برغم أنه لايجرى فى دمه الدم الملكى الفرعونى!

لنسمع معاً أغنية حب مصرية عمرها ٢٥ قرناً من الزمان تقول كلماتها:

ساترك يدي تمام بين يديك.. ساترك رأسى تمام على صدرك..

ساترك عينى تمام فى عينيك.. لأصحو على صوت حبيبى ينشر على النأى..

الأغاني التى نحبها معاً.

ساطلب منك يا حمامة الحب ان تطيرى إلى شباك حبيبى وتسألينه عن سر

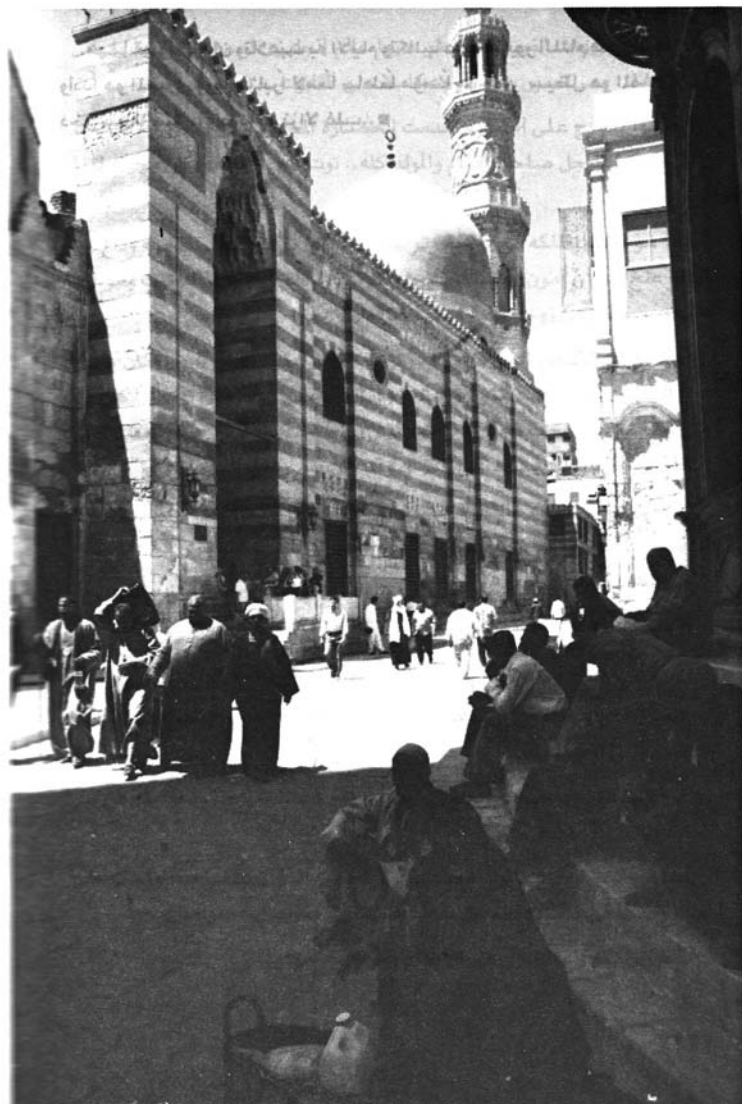
غيابه وتأتيني بأخباره..

أنا فى الانتظاره وانتظارك تحت شجرة الجميز التى زرعتها معاً وكبرت على

حينا وعشنا فى ظلالها تصفيق حاد.. متواصل.. متواصل.. متواصل.

ألم أقل لكم إنه المصرى فى كل زمان وفى كل مكان؟.

مهما قسى الزمان وتلاعبت به الأيام وتكالب عليه طابور اللثام فسيظل دائماً
وأبدأ هو المصرى قوياً مثابراً لامعاً ساطعاً مؤمناً موحداً.. سيظل هو المصرى إذا
دخل سباقاً سبق.. وإذا دخل نزالاً غلب.. ■



الشارع الذى ولدت فيه القاهرة!

لم أكن أتصور أنه سيجيء هذا اليوم.. ولكنه جاء..

ولكن بعد نحو ثلاثين سنة من الصراخ والنداءات والاستغاثات لإنقاذ أغلى ماتملكه مصر من كنوز الآثار الإسلامية قبل أن تضيع فى غمضة عين.. والتي تسكن قلب الشارع الذى ولدت فيه القاهرة قبل ألف عام ويزيد.. وهامو اليوم قد جاء بتخليص تراث مصر العظيم الذى لا مثيل له فى العالم كله.. من البشر.. من التلوث.. من العربيات المحملة بكل مايبيع ويشترى، والتي لا تتوقف عجالاتها عن السير، ودهس وطمس وتشويه أغلى ماتملك.. تاريخنا.. اسمنا.. بصمتنا للإنسانية.. كتابنا للعالم كلها.. بإعلانه متحفاً مفتوحاً وتاريخاً حياً لكل دارس وكل عالم وكل متفرج.. لا تدخل العربيات بأدرانها وضجيجها وهبابها.. فقط السير فيه على الأقدام..

قبل نحو عشرين عاماً بالتمام والكمال نزل معى الفنان فاروق حسنى وزير الثقافة فى جولة فى قلب الشارع الذى ولدت فيه بالقاهرة والذى تحمل لافتته

→ هل يتحول الذى ولدت فيه القاهرة قبل أكثر من ألف عام إلى متحف مفتوح؟

اسم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله.. صاحب المأثورة التاريخية التي فتح بها الممالك وأسكت بها الخصوم.. وهى ذهب المعز وسيفه، وهى تغنى للشعوب التي فتح ممالكها «الترغيب والترهيب».. والتي تحولت فى عصر الفاتح الأمريكى العظيم جورج بوش عظم الله أجره إلى «العصا والجزرة».. لكى يسيطر بها على العالم كله.. بعد هروب الدب الروسى من الميدان تخاذلاً وهواناً.. ولا يبقى لنا إلا أن نقول له أمين. يحتل أفغانستان.. وماله.. يحطم العراق ويقتل شعباً بحاله ومن لم يقتل بالرصاص هرب وهاجر ونفذ وجلده، وأصبحت بلد الرافدين خراباً سداً مباحاً يمرح فيه الموت ويعشعش الخراب.. ونحن من وراء سيد الأرضين ومهماز البحرين نقول أمين.. وقد هال الخراب والدمار الذى أصاب الشارع الذى ولدت فيه القاهرة أول مرة قبل أكثر من عشرة قرون، وقال بإحساس الفنان الذى يرقب من يهدم لوحته ويغمس فرشاته فى لون الهباب ويشخبط ويرسم دوائر سوداء حائرة، ويحول كل ما هو جميل وخير وعدل وحق إلى سواد فى سوادك «لقد آن الأوان لكى يرحل البشر وتتوقف العربات ويتحول المكان الذى شهد ميلاد القاهرة إلى متحف مفتوح لكل البشر!»

وتحققت أمنية فاروق حسنى المسافر بريشته وإبداعاته فى شارع على النيل.. والمتعب أمام قبر إيزادورا المليحة الرومانية الراقدة منذ خمسة وعشرين قرناً فى البر الغربى فى المنيا.. يرسم بألوانه لوحة الحب الذى مات غرقاً فى زورق كان يحمل الحبيبة إلى حبيبها المصرى.. ليتحول شارع المعز لدين الله أقدم شارع فى القاهرة أو الشارع الأول كما يطلقون عليه فى كتب التاريخ.. إلى متحف مفتوح.. ولكن!

هنا فى هذا الشارع خرجت القاهرة إلى الحياة لأول مرة.. أطلت على الدنيا منذ ألف وبضعة وخمسين عاماً.. ومازال الشارع برغم أنه يدخل الآن القرن الحادى عشر من عمره وكأنه لم يزد على الأمس إلا إضبعاً!

وخير شاهد.. ملامح الشارع ومبانيه القديمة قدم الزمن نفسه.. المشربيات والجوامع والتكايا والأسبله والكتاتيب.. والحمامات والوكالات والخانات، بل

والناس فيه.. كأنهم امتداد طبيعي وتاريخي للحياة فى القاهرة منذ ألف سنة!

قبل نحو ثلاثين عاماً بالضبط ذهبت إلى الشارع الذى ولدت فيه القاهرة وكتبت أقول: «رائحة التاريخ تملأ كل شبر هنا.. حتى بلاط الشارع.. إنه نفسه البلاط القديم قدم التاريخ نفسه.. كم من الأقدام سارت فوقه؟

وإلى أين سارت الأقدام؟.. وإلى أين سارت بها الأيام؟

هنا صنع تاريخ مصر لمئات طويلة من السنين.. بل إن رجالا عاشوا داخل هذا الشارع غيروا بسواعدهم وفكرهم وعبقريتهم الفذة وإرادتهم التى لاتعرف المستحيل.. وجه التاريخ الإنسانى كله!

هنا عاش السلطان قطز قاهر المغول فى موقعة عين جالوت فى وادى بيسان بالأردن عام ١٢٦٠ ميلادية.. ومخلص العالم الإسلامى بل والدنيا كلها من خطر المغول.. وهو الذى صان لأوروبا حضارتها من أن تدوسها أقدام المغول الزاحفة بقيادة تيمور لك الأعرج!

وهنا عاش الظاهر بيبرس وسيرته الشعبية مازالت على ألسنة الناس الذين مازالوا يتوارثون الحياة ومابقى من التاريخ البعيد داخل شارع المعز لدين الله.. وهو الآخر قاهر المغول.. بل إن ابنه ملك المغول بركة خان قد تزوجت من الظاهر بيبرس بعد أن أسلم والدها وجاءت إلى هذا الشارع يوماً أول عروس من جنس المغول!

هنا على باب زويلة شنقوا طومان باى!

ومن عجب إنه فى أول الشارع الذى ولدت فيه القاهرة.. وعلى بابه علقوا طومان باى وظل جثمانه معلقاً أياماً طويلة طعاماً للجوارح!

وفى وسط الشارع نفسه هجم خصيان وجوارى الأمير على ابن سلطان مصر عز الدين أيبك.. على شجرة الدر أول ملكة تحكم المسلمين قديماً وحديثاً وقتلواها بالبقاييب والنعال وألقوا بجثمانها فوق مزبلة الدراسة!

وفى آخره خرج يوماً من باب الفتوح الحاكم بأمر الله السلطان اللغز الذى قيل
أو ادعوا عليه إفكا أنه حرم على الناس أكل الملوخية وجلسوا الرجال على
المقاهى.. ولم يعد حتى الساعة.. وقيل يومها إن الله قد رفعه إليه!

وإذا كانت رائحة التاريخ والحكايات الشعبية والأساطير التى تملأ بطون
الكتب القديمة تكاد تشمها من كل شبر وكل ركن داخل «الشارع الأول»... إلا أنها
ممزوجة هذه المرة برائحة الدمار.. والتراب المتساقط من فوق الجدران المتآكلة..
أجمل وآخر ما نملكه من آثار إسلامية.. وما يصعد إليها من أسفل من مياه
راكدة.. ورطوبة، وتاكل، وسط قطعة التاريخ الحية التى لا ينقصها سوى أن نخلع
من فوق أجساد خلق الله الذين يتحركون ويعرقون ويعيشون هنا بملابسهم
العصرية ليرتدوا ملابس العصر الذى تمثله الجوامع والخانات والحمامات
والتكايا والبيمارستانات.. وسط هذه المدينة التى تنتمى إلى أيام مضت وولت..
عمرها أكثر من ألف عام ويعيش فيها الناس - خطأ - بلباس وأفكار وهموم هذا
الزمن الدخيل!

وسط ذلك كله يتسلل إلى وجدانك وعقلك خاطر عجيب ومريب بأن هذا
التاريخ كله سوف يسقط فجأة فوق رأسك.. بعد أن تحول كل شيء - وهذه
حقيقة - إلى مجرد مبان آيلة للسقوط فى أية لحظة ودون سابق إنذار!

قال لى يوما د. عبدالرحمن عبدالنواب خبير الآثار الإسلامية بأسى بالغ يلف
كيانه وعباراته :

هذا الشارع هو فى الحقيقة كتاب حى مفتوح للزائرين لكى يقرعوا بالعين
المجردة تاريخ مصر عبر رحلة طولها ألف سنة.

فى هذا المكان كان سور القاهرة القديم الذى كان طوله ١٢٠٢ ذراع.. وخارج
السور كان هناك خندق حفر منذ نحو ٤٩٠ سنة، وقد تهدم أغلب السور وضاعت
معالم الخندق تماما..

بل إن باب زويلة الذى نراه الآن ليس هو باب زويلة القديم الذى تهدم تماماً ..
أما هذا الباب فقد أقامه بدر الدين الجمالى أمير جيوش الخليفة المستنصر
بالله ..

ولقد كان للقاهرة يوم ولدت أحد عشر باباً .. وكانت القاهرة مدينة مغلقة ..
فى الليل تغلق الأبواب الأحد عشر، وفى النهار تفتح .. ولم تعلن القاهرة
مدينة مفتوحة إلا منذ ٥٠٠ سنة فقط عندما جاءها السلطان سليم غازيا من
إسطنبول!

المكان : نفس المكان باب زويلة .

الزمان : يوم ٢٢ إبريل عام ١٥١٧ ميلادية .

الناس : وجوه مصرية من تجار وحرفيين ورجال علم ودين .. وعابرى الطريق ..
ودراويش ومحاسيب الحسين رضى الله عنه ..

الحوار بين الناس يدور همساً .. فالرعب يجتاح القاهرة كلها بعد أن سألت
الدماء أنهاراً فى الشوارع والحوارى وداخل قصور المماليك!

لقد قتلوا من المماليك حتى الآن أكثر من ١٠ آلاف مملوك!

إن القتل يتم ليقضى السلطان سليم على قوة المماليك بعض رفض طومان باى
أن يعترف بالسلطان .. وأن يسلم مصر للعثمانيين وتصبح تابعة لإسطنبول .

ألم تسمعوا لقد أسروا طومان باى!

وترتفع من خلف المشربيات المطللة على باب زويلة صرخات وعويل النساء
ويطل من على بعد موكب عسكر سليم الأول بلباسهم العثمانى ..

وسطهم فارس مصرى مقيد بالأغلال فوق أحد الخيول .. وصاح رجل عجوز،
فى هلع : هذا طومان باى! وتمضى عشرون دقيقة ليكتمل إطار الصورة
الجزئية .. طومان باى مجرد جثة هامة معلقة فوق باب زويلة!

السجن الذى أصبح جامعا

بضع خطوات داخل الشارع - من خلفنا باب زويلة - وأمامى يلوح بيديه إلى كنوز الآثار الإسلامية د. عبدالرحمن عبدالنواب : هذا هو جامع السلطان الغورى الذى يضم جامعا وسبيلا وكتابا، وعمره الآن ٥٠٢ سنوات.. وهذه مجموعة السلطان قلاوون وتضم القبر والضريح والمدرسة والبيمارستان، وعمر المجموعة ٧٢٠ سنة.

وجامع قلاوون واحد من أروع الآثار الإسلامية فى القاهرة.. وقبته بنقوشها وزجاجها الملون تتغير أشكالها وألوانها مرة كل ثلاث ساعات مع تحرك الشمس من الشرق للغرب.. والموقف الآن أصبح محزنا للغاية.. فقد أغلقت مدرسة للأطفال كانت داخل الجامع خوفاً من سقوطه.. وهو مازال مشدوداً تحت الترميم!

خوذة ملك قبرص معلقة هنا

خطوات أخرى داخل الشارع الطويل.. هذا هو جامع برسباى معلق فوق بابه خوذة ملك قبرص وأقيم عام ١٤٢٥ ميلادية.. وجامع الفكهانى وعمره يزيد على ٨٧٠ سنة وله حكاية حقيقية :

فقد أراد جزار أن يذبح كبشاً ذات يوم فما كان من الكبش إلا أن أمسك السكين بضمه وألقاها بعيداً.. وتصادف أن كان الخليفة يمر فوق حصانه فى الوقت نفسه، فشاهد الواقعة فأمر بالآذبح الكبش، وأن يقام فى المكان نفسه جامع حمل فيها بعد اسم الفكهانى!

وهذا هو جامع المؤيد وعمره أكثر من ٦٠٠ سنة، وقد أقيم مكان سجن «خزانة شمائل» الذى كان يجرى داخله أصناف العذاب والوحشية ماتشيب لها الرعوس.. وكان السلطان المؤيد الذى بنى الجامع يوماً ما من نزلاء هذا السجن الرهيب، فدعا الله إن خلصه من هذا العذاب أن يبنى مكانه داراً يذكر فيها اسم الله، وبالفعل بر السلطان بوعده عندما خرج من هذا الجحيم، وأقام هذا الجامع الملاصق لباب زويلة.

أما هذا الجامع الذى تشبه مؤذنته القلم الرصاص فاسمه جامع السلحدار، ثم هذا هو جامع الأقمر الذى أقامه الخليفة الأمر بأحكام الله أبو على المنصور نحو ٩٢٠ عاماً، وهو من أجمل المساجد الفاطمية على الإطلاق!

ويقول عنه د. كمال الدين أستاذ تاريخ العمارة بهندسة القاهرة : إن واجهة الأقمر أول واجهة مزخرفة فى المساجد المصرية.

القاهرة نسيت البيت الذى ولدت فيه!

إن نظرة واحدة إلى الشارع الذى ولدت فيه القاهرة.. تكشف عن أن القاهرة بعد أن تفتحت على العالم قد نسيت مسقط رأسها.. نسيت البيت الذى خرجت منه إلى الدنيا أول مرة، وتركته مجرد بناء للذكرى يفعل به الزمن مايريد..

ولقد فعل الزمن بأقدم تاريخ فى القاهرة مايريد وزيادة. دون أن يحرك مخلوق ساكناً لإنقاذ مايمكن إنقاذه قبل فوات الأوان.

الباعة المتجولون اختاروا أبواب القاهرة أو مابقى منها للجلوس فى ظلها سحابة النهار كله..

والباعة هم الباعة لم يتغير حالهم طوال رحلة الألف سنة يزاحمون الداخلين والخارجين..

أسفل الجدران محال للتجارة.. حتى مصلحة الآثار نفسها لاتعرف من الذى جاء بأصحابها إلى هنا!

من بين المحال : جواهرجى، وشريتلى، وخردواتى، ورابع لببيع الأحذية والشنط، وخامس للمفروشات والفساتين!

❖ ملحوظة من عندى: بعد بحث طويل اتضح لنا أن وزارة الأوقاف هى التى سمحت لأصحاب المحال الخمسة بفتح محالهم تحت هذا الأثر الإسلامى التاريخى، بل وسمحت أيضاً بأن يعلقوا اللافتات وأضواء النيون فى الليل!

ثم هذه الوكالات والخانات والتكايا القديمة.. لقد تحولت الآن إلى مجازن للبضائع وورش للتجارة وصناعة الأحذية، بل ومخارط للبرادة، ومصانع للحلوى وغزل البنات!

وهذا هو حمام السكرية، وهو واحد من عشرات الحمامات فى أقدم شوارع القاهرة.. ولكى تدخل الحمام الآن لابد وأن تهبط بضع درجات من سلم خشبى.. مكان الحمام زمان على نفس مستوى أرض الشارع، ولكن الشارع نفسه ارتفع عن مستواه الأول بنحو مترين خلال رحلة الألف عام.

والحمام من الداخل ماتت فيه الحركة حتى صاحبه منذ أكثر من خمسين سنة عم محمد يوسف جالس فى انتظار زيون واحد ولا أحد يحضر.. حتى المكباتى الذى كان يعمل عنده.. بعد أن هجر الناس الحمامات هجره، وأصبح واحدا من محاسيب الحسين رضى الله عنه.

وقبل أن نصل إلى حارة «برجوان»، حيث عاش المقرئى أعظم مؤرخى مصر الإسلامية.. تصطدم العيون وسط هذا المتحف الطبيعى للآثار الإسلامية بعمارات حديثة البناء بعضها من عشرة طوابق.. أقيمت مكان أحد الآثار المهدمة، ولا أحد يعرف من الذى سمح بأن تقام فى هذا الشارع بالذات!

وهنا عاش المقرئى أعظم مؤرخى مصر.

هنا فى حارة برجوان الملوك وأحد خصيان الملك العزيز بالله كتب المقرئى خطه الشهيرة عن القاهرة، التى استنفدت تسعة عشر عاماً فى تأليفها من عام ١٤١٧ حتى عام ١٤٣٦ ميلادية.

يقول الأثرى والمؤرخ الإسلامى عبدالرحمن عبدالنواب: كان ابن خلدون الفيلسوف العربى المعروف قد عاش مع المقرئى فى منزله فى حارة برجوان وأمضى معه شهوراً طويلة.

ولا أحد يعرف - بكل أسف - أى البيوت الأثرية المهدمة فى الحارة هو بيت

المقرئى!

المكان : المكان نفسه.. حارة برجوان.. ولكن رائحة الهدم لم تكن قد ظهرت بعد.. فالحارة قائمة والدور مليئة بالحياة.. والناس.
الزمان : قبل نحو ٥٧٠ سنة على وجه التحديد.

الوقت : بعد منتصف الليل بقليل.. نافذة واحدة ينبعث من خلالها نور مصباح زيتى يصنع على تراب الحارة نفس شكل النافذة بقضبانها الحديدية المتداخلة.. رجل تجاوز الخمسين من عمره منكب فوق أوراق بيضاء يكتب فوقها بريشة لم يجف منها المداد بعد.. الرجل هو المقرئ نفسه.. والأوراق أمامه هى نفسها كتابه العظيم الذى عرفناه فيما بعد بخطط المقرئ.. والصفحة هنا صورة حية للقاهرة نفسها منذ ٥٧٠ سنة.. وعلى وجه الدقة فى سنة ١٤٠٨ ميلادية بين ظلال الشارع نفسه التى ولدت فيه قبل ٥٠٠ سنة أخرى.

■ ■ ■ كان الشارع يضم ١٢ ألف حانوت.. وكانت الحوانيت تضيق بالباعة، فيجلسون على الأرض بأطباق الخبز وأصناف المعاش.. وكان للشارع تقاليد صارمة، مثلاً لايمر بالشارع دابة تحمل تبناً أو حطباً.. ولايمر به سقاء وقربته غير مغطاة، وعلى أصحاب الحوانيت أن يضع كل منهم أمام حانوته زيراً مملوءاً بالماء خشية أن يحدث حريق مفاجئ، وأن يعلق فوق حانوته طوال الليل قنديلا مضاء حتى الصباح.. وكان الزبالون يمرّون بالسوق يكنسونها من الأتربة، ويرشونها بالماء، وكان الخفراء بالليل يحرسون الحوانيت المغلقة، بينما ١٢ ألف قنديل تشع نوراً فوق أبوابها حتى الصباح!

كان الشارع يضم أيضاً ١٢٤ سوقاً من بينها سوق الصاغة عند بين القصرين، وكان فيه ٢٩ حماماً شرقياً لاستحمام الرجال، و٢٢ حماماً للنساء!

وكانت تجارة الرقيق منتشرة أيامها.. بل إن معظم سلاطين مصر الذين جاءوا بعد الفاطميين، كانوا من المماليك الذين اشتراهم أسيادهم من أسواق النخاسة والرقيق، ومن بينهم السلطان قطز، قاهر المغول فى عين جالوت، والظاهر بيبرس، قاهر المغول أيضاً، والذى تزوج ابنة ملكهم، فكانت أول مغولية تدخل هذا الشارع والقاهرة كلها!

وفى المكان الذى يحتله الآن جامع المطهر، يوجد خان سرور بداخله حجرة الرقيق للنساء، وإلى جوارها حجرة الرقيق للرجال وبينهما «دكة الممالك» لجلوس من يعرض منهم للبيع.. والملوك الرومى أو التركى أو التركمانى يباع بثمن يتراوح بين مائة دينار وألف دينار بعد اختبار قدرات الملوك فى الذكاء والحساب والفرسية أمام أعين المارة من أهل القاهرة.. أما الجاريات من جميلات أوروبا وآسيا وإفريقيا، فكان مكانهن فى الداخل فى غرفة الرقيق للفرجة والفحص!

أما خان الخليلى، فقد كان مجرد مقبرة للخلفاء الفاطميين، يحمل اسم «تربة الزعفران»، ويحكى المقرئى حكاية هذا الخان بقوله :

■ ■ إنه فى عهد السلطان برقوق قام الأمير جهازركس الخليل بنيش مقبرة الخلفاء الفاطميين، وألقى بعض الخلفاء «المعز لدين الله والعزیز بالله»، وغيرها فوق مزابل البرقية - الدراسة حاليا - وكانت تعرف وقتها بمزيلة مصر، وأقام مكان المقبرة خانا أطلق عليه اسمه، ویشاء القدر أن يلقى الخليل مصرعه، ويلقى جثمانه فوق مزيلة مصر، ولم يبق من حكاية الخليل إلا اسمه خان الخليلى!

قتلوها بالقباقيب!

وعلى بعد خطوات من حارة برجوان أثر إسلامى لا أحد يكاد يلتفت إليه إنه قبر نوران شاه ابن زوج شجرة الدر. غير بعيد عن هذا القبر وعمره يزيد ٦٣٤ سنة.. جرت أغرب جريمة قتل لأول ملكة على المسلمين.

والجريمة يرويها لنا الدكتور جمال الدين سرور فى كتابه «الظاهر بيبيرس» بقوله :

بعد انفراد المعز أيبك زوج شجرة الدر الثانى بالسلطة وقع بينهما التشاحن والبغضاء، وأثار غضب شجرة الدر خطبته إلى ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فأعدت خمسة من الخدم وأمرتهم بقتله، فقام الخدم بالمهمة وقتلوه داخل الحمام فى ربيع الأول سنة ٦٥٦ هجرية، وأشاعوا أنه قد أغمى عليه.. وفى

الصباح أذيع بين الناس مصرعه فدفنه ابنه على ومماليكه.. ثم قبضوا على شجرة الدر وسلموها إلى الجوارى فضرينها بالقباقيب والنعال حتى ماتت فى ربيع الثانى من هذه السنة، وألقيت جثتها فى أحد الخنادق ثلاثة أيام ثم دفنت بقبورها المعروف باسمها اليوم.

أجمل جوامع مصر!

على مرمى حجر من الشارع الذى ولدت فيه القاهرة يرتفع أجمل جوامع العاصمة على الإطلاق.. إنه جامع السلطان حسن بالقلعة، تقول عنه الدكتورة إقبال رفاعى أستاذة الجيولوجيا بجامعة القاهرة : إن الرطوبة أكلت جدرانها، والشروخ واضحة.. حتى أنه إذا لم نسارع بإنقاذه فإنه سينهار حتما، وتفقد مصر أجمل جوامعها.

ويصف د. كمال الدين سامح جامع وضريح ومدرسة السلطات حسن بأنه يعتبر نموذجا إسلاميا للعمارة فى مصر، ولقد قال عنه المعمارى العالمى فرانك لويد رايت عند زيارته الأخيرة للقاهرة بأنه أجمل أثر إسلامى فى مصر.. ويتكون من مدرسة لتدريس المذاهب الأربعة، وضريح، وقاعة للصلاة، وملحق بالمدرسة مساكن للطلبة فى أركان البناء، وتشغل عدة أدوار، وتظهر فيها براعة المهندس المعمارى المسلم.. وقد سقطت المئذنة الشمالية وأعيد بناؤها فى سنة ١٦٧٢ ميلادية.

وهنا أول جامع أقيمت فوقه مئذنة!

غير بعيد من جامع السلطان حسن المههد بالضيق.. جامع آخر نسيناه هو الآخر إنه جامع أحمد بن طولون ثالث جامع أنشئ بمصر الإسلامية بعد جامع عمرو بن العاص، وجامع العسكر الذى زال من الوجود.. ومكانه الآن حى المديح.. وجامع ابن طولون أول جامع فى مصر تقام فوقه مئذنة يؤذن من فوقها للصلاة.

أما جامع عمرو بن العاص فلم تكن له مئذنة.

والجامع عمره ١١٢١ سنة ولا حاجة لنا إلى القول إنه واحد من أعظم آثار
مصر الإسلامية!

.....

.....

عود إلى أقدم شارع في القاهرة.. نحن الآن عند نهايته عند باب الفتوح.. هذا
هو جامع الحاكم بأمر الله رابع الخلفاء الفاطميين والذي يحمل من بطون الكتب
الصفراء لقب الخليفة اللغز!

من يتصور أن جامع الحاكم بأمر الله من حول أسواره طوابير الأغنام وعربات
الكارو، بل إن الجامع نفسه وله مئذنتان دمرهما الزلزال الذي هز القاهرة عام
١٢٠٢ ميلادية، وأعاد الظاهر بيبرس بناءها.. قد أصبح في حالة يرثى لها كأنه
ينعى صاحبه الذي خرج فوق حماره في السابع والعشرين من شعبان عام ٤١٠
هجرية منذ ٩٨٦ سنة.. إلى جبل المقطم يتعبد وحده كعادته كل مساء.. واختفى
الحاكم بأمر الله من يومها ولم يعثروا له على أثر..

وقال أهل القاهرة أيامها : إن الحاكم لم يمتهن، بل صعد إلى السماء!

ويعود حمار الحاكم بأمر الله إلى باب الفتوح من دونه!

وعلى أى حال سيظل جامع الحاكم بأمر الله مجرد شاهد حزين على رحيل
صاحبه فجأة!

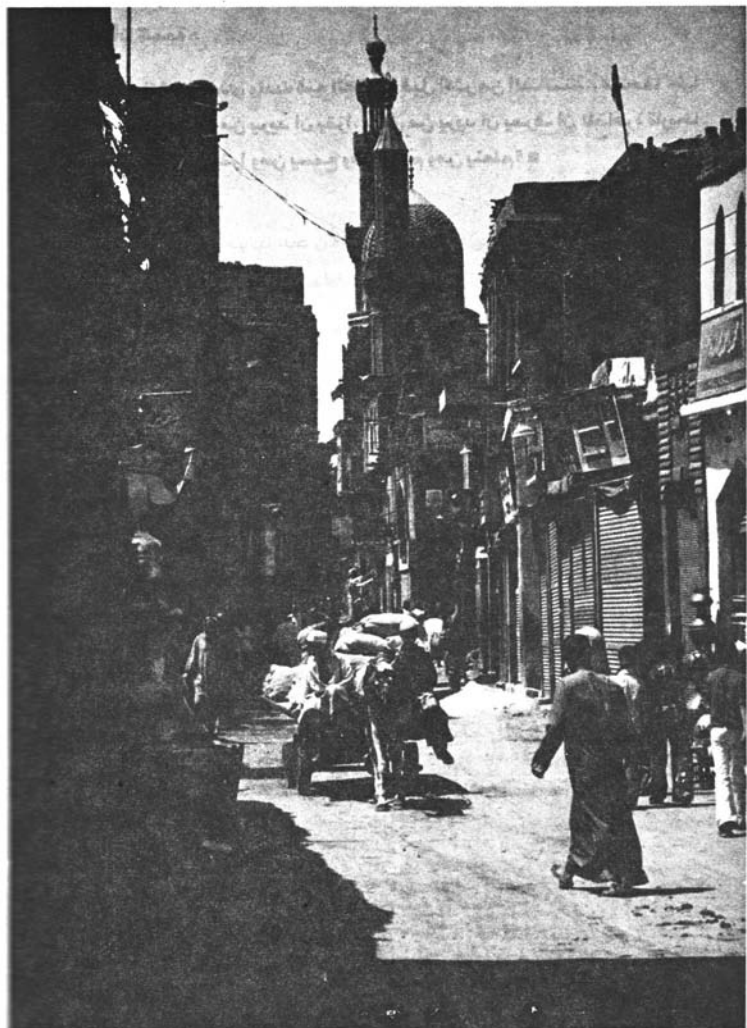
.....

.....

بدلاً من أن نلعن الظلمة..

أضانا شمعة..

أصبح الشارع الذي ولدت فيه القاهرة قبل أكثر من ألف سنة.. متحفاً حياً
وكتاباً مفتوحاً لكل من يريد أن يقرأ . ولكل من يريد أن يعرف أن للقاهرة تاريخاً
عظيماً .. ولكن من يقرأ ومن يسمع ومن يفهم ومن يتعلم؟ ■



رسالة حب لأجمل مدينة

من ورائنا ودون أن نعلم.. وبعيداً عن العيون الجاحظة البراقة.. والآذان التي تسمع «دبة النملة» ومن دون علم - كما هي العادة - آلة الإعلام المصرية النعسانة الغارقة في هم البطون ولقمة العيش ودوخة أبناء البطة السوداء.. وفي غفلة من الميديا الأجنبية والأقمار الصناعية والمحطات التليفزيونية العالمية.. المنشغلة بأمور عبيطة غاية في الهيافة وسوء النية تحاول أن تسرق الهرم الأكبر في عز الظهر من سجلات التاريخ وتلقى عليه ستارة الجهل والجهالة.. وكأنه لم يولد ولم يتحد الدنيا كلها خمسة وأربعين قرناً من الزمان!

من وراء كل مايجرى وكل ما يدور في الخفاء والعلن.. عقد الفنان فاروق حسنى الذى يجلس الآن على كرسى وزير الثقافة فى بلد علمت الدنيا ما لم تعلم قبل الزمان بزمان.. اجتماعياً تاريخياً فى ساعة متأخرة من الليل. فى قصر الغورى بعد ترميمه وتهذيبه ليصبح تحفة تسر الناظرين وتتلج صدور المثقفين.. مع من خرجوا من الشارع الذى ولدت فيه القاهرة قبل ألف سنة ويزيد.. ليغيروا

→ التاريخ يتكلم ويحكى ويمشى على قدميه فى هذا الشارع الذى ولدت فيه القاهرة.

وجه التاريخ نفسه.. ويكتبوا بإبداعهم وعبقريتهم صفحات من المجد فى كتاب مصر العظيمة.

كان الاجتماع يجمع بين السلطان قطز والظاهر بيبرس اللذين هزما المغول فى موقعة عين جالوت وحماوا الحضارة الإسلامية والعالم كله من شرورهم وقطعوا أدبارهم، ومعهما السلطان قلاوون والسلطان الأشرف قايتباى، وصاحب الدار السلطان الغورى، والسلطان المؤيد، والمعز لدين الله نفسه صاحب الشارع الذى أعلن ميلاد القاهرة.. ثم الحاكم بأمر الله السلطان اللغز الذى مازال أتباعه فى كل العالم حتى اليوم.. يعتبرونه رسولا من عند الله.. وأنه صعد إلى السماء ولم يمت مثل باقى البشر.

وقد حضر الاجتماع التاريخى من المؤرخين المعظام أصحاب القلم والفكر والكتابة طوال عمر الشارع مولانا المقرئى، الذى كان يسكن فى بيت فى حارة برجوان.. ومعه ابن إياس وابن تفرىدى.

لم نعرف فى أية ساعة، وفى أى يوم عقد هذا الجمع الحاشد الذى ترأسه الفنان فاروق حسنى المتعبد فى محراب الفن.. المسبح بريشته وألوانه فوق وجه القمر والمآزف بنائية تحت أشجار النخيل والبحر بزورق العشق والفن والخير والحق فوق صفحة النيل.. ومعه رفيق الدرب والطريق زاهى حواس.. الذى برغم مشوار العمر الطويل بيننا فإنه لم يكشف السر.

من كشفه إذًا؟

الذى كشفه لى هو الوزير فاروق حسنى نفسه بحكم ربع قرن من الصداقة والحوار.. الذى قال لى : خلاص ياعم لقد وعدتهم وسوف أنجز وعدى..

قلت : من هم الذين وعدتهم ياسيادة الوزير؟

قال : الذين صنعوا تاريخ الشارع الذى ولدت فيه القاهرة.. والذى يحمل اسم شارع المعز لدين الله.. ونحاول الآن إنقاذه من البشر والموادم والتلوث الضوئى والسمعى والبئى.. ونعيده كما كان يوم ولد ويوم شاهد الدنيا.. وكأنه لم يزد على الأمس إلا إصبعا!

أسأله : بماذا وعدتهم؟

قال : أن أعيد لهم اسمهم ومكانتهم بأن أعيد مابنوه وماشيده وما أقاموه من جوامع ومدارس وكتاتيب وأسبلة وبيمارستانات وحمامات وتكايا وقصور وبيوت.. كما كانت حتى تعود الحياة إليها.. وكانهم لم يفادروها يوماً طوال مشوار الألف عام.

لقد كانوا ثائرين وغاضبين ومستأين. وعندهم كل الحق.. بعد أن أصاب الزمن والبشر والإهمال أغلى ماتملكه مصر من كنوز الآثار الإسلامية في مقتل.
وقد سألتني مولانا المقرئزي : هل ترضى أن القاهرة قد نسيت وتكرت للبيت الذى ولدت فيه؟

وقال لى ابن إياس : لم تكن نتصور يوماً وأنتم تملكون كل هذه الحضارة وكل هذا التقدم العلمى والتكنولوجى أن تتركوا أغلى مافى العالم الإسلامى كله من كنوز وقصور ومساجد فى مهب الريح؟

وقال المؤرخ المبدع ابن تفريردى : كلما أمر بأسوار القاهرة والأسبلة والوكالات والجوامع أتحسر على زمان كانت فيه القاهرة أجمل مدن العالم.. فأصبحت طوال عهود طويلة خرابة ينغق فيها اليوم؟

أنتصور أن السلاطين والخلفاء والقادة العظام قدموا لى كشفاً طويلاً بالآثار الإسلامية التى فقدتها القاهرة طوال مشوار الألف عام!

أسأله : وماذا قالوا فيها؟

قال : لقد قالوا كلاماً كأنهم يمشون معنا يوماً بيوم وساعة بساعة..

قالوا : نحن نعرف أن زلزال أكتوبر ١٩٩٢ قد زلزل كيان الشارع كله وأسقط وخرّب بيوتاً ومساجد وآثاراً إسلامية كثيرة.

ونحن نعرف أن هناك أكثر من ٥٠٠ أثر إسلامى ضاعت واختفت تماماً.

ونحن نعرف أن القائمة الآن تضم ١٧٤ أثراً تحت الترميم.. ونحن نعرف أن هناك ١٤٩ أثراً تحتاج إلى أعمال ترميم كبيرة.

ونحن نعرف أن هذه الآثار لا تملك كل هذه الكنوز الأثرية الإسلامية ولكن يشارك فيها آخرون.. فوزارة الأوقاف تملك ١٣٧ أثراً إسلامياً + ٣٠ أثراً مملوكة للمجلس الأعلى للآثار + ٧ مبان مملوكة للأهالي.

ونحن نعرف أن هناك ٢٧٢ قطعة أرض فضاء تحولت مع الزمن إلى خرابات ومقالب للقمامة بكل أسف!

ونحن نعرف أن هناك ١٠٦٤ حالة تعد على الآثار الإسلامية، سواء من جانب الأهالي أو جهات حكومية، أو مبان سكنية وتجارية!

قلت : غريبة.. وكيف عرفوا كل ذلك؟

قال : كل ذلك مسجل في محاضر جلسات واجتماعات عقدناها من أجل إنقاذ القاهرة التاريخية..

ونحن نعلن دائماً عن خطواتنا وليس هناك سر من الأسرار.. كل شيء معروف.. ولقد بدأنا مشروعنا منذ ما يزيد على ١٠ سنوات.. لإنقاذ شارع المعز لدين الله وتحويله إلى أكبر متحف مفتوح للآثار الإسلامية في العالم.. بعد أن فقد الشارع ما يزيد على ٤٠٪ من طابعه الأثرى العظيم.

أسأله : ولكن الناس من سكان الشارع يضعون أيديهم على قلوبهم خوفاً من أن يطردوهم شر طردة!

قال بانفعال : لا انفصال بين الأثر والبشر!

أسأله : إزاي؟

قال : من خلال نظرية التعايش بين البشر والأثر.. لكن المهم ألا نفقد الأثر ولا نضر البشر.. وعلى فكرة لقد أبلغت مجمع التاريخ الذين التقيت بهم بأننا في سبيل إنقاذ ٢١٢ أثراً إسلامياً.. من بينها ٢٢ أثراً قد تم الانتهاء منها تماماً.. ولم

يبقى فى شارع المعز إلا «تكية أبو الذهب» على رأس شارع المعز من ناحية الأزهر
وزارية أبى الخير الكليباتى.

ومن الروائع الإسلامية التى انتهينا منها : جامع السلحدار وجامع السلطان
برقوق، ومدرسة الناصر محمد ومجموعة السلطان قلاوون وجامع الناصر
برسبای، وجامع القاضى يحيى، وأم الفلاح، وقاعة محيى الدين أبو الصفا،
وحمام السلطان دانيال، ومتحف النسيج الإسلامى، ومجموعة أسبلة محمد على
والسلحدار وعبدالرحمن كتخدا ونفيسة البيضاء.

قلت لعاشق التاريخ : وهل قلت لهم إنك منعت عربيات الكارو والموتوسيكلات
والأتومبيلات من دخول الشارع.. وإنه قد أصبح شارعاً للمشاة فقط؟

قال : وقد فرحوا كثيرا بالقرار.. وإن شكك المقريزى فى قدرتنا على تنفيذه..
ولكننى قلت له : لا تقلق يامولانا.. من الساعة لن تدخل مركبة ولا موتوسيكل ولا
عربة سرفيس، ولا حتى عربة سوزوكى صغيرة إلى الشارع، الذى أصبح بالفعل
شارعا للمشاة والفرجة والحصول على أول درس فى تاريخ القاهرة من يوم
مولدها وحتى بلوغها الألف سنة!

لسوف يتحول الشارع إلى أكبر وأعظم متحف مفتوح للآثار الإسلامية فى
العالم كله!

أنا صاحب الفكرة!

وإذا كان من الصعب إرضاء الفنان الذى يريد دائماً أن يكون كل شىء على
درجة عالية من الإلتقان والرقى الفنى.. لا شىء يترك للمصادفة..

يقول الفنان الذى يجلس على كرسى وزير الثقافة : ولكننا وعدنا فأنجزنا..
عندما بدأنا المهمة الصعبة قبل نحو عشر سنوات، وضعت لهم العقدة فى المنشار!

أسأله : إزاي؟

قال : أنت تعرف أن نفق الأزهر كان فكرتى أنا.. وها أنت تراه تحفة فنية
وهندسية رائعة.. وكان هدفى من شق النفق أن نهدم كوبرى الأزهر أكثر مايشوه
جمال وروعة وتاريخ القاهرة المعز كلها!

قلت : ولكن انتهى النفق وبقي الكوبرى!

قال : غير صحيح نحن نعد العدة مع كل الجهات المعنية لهدم هذا الكوبرى الذى يقف مثل «الحلقة فى الزور» لأن الكوبرى يسد الشارع + أسفله تحول إلى مخزن لبضائع التجار وموقف وجراج لسياراتهم.. لابد من هدم الكوبرى وبسرعة.. هكذا اتفقنا مع كل الأطراف المعنية من وزارة الإسكان ومحافظة القاهرة ووزارتى الكهرباء والداخلية.. وسوف نهدمه.

ولعلمك لقد كان الشارع بركة للمجارى.. والآن لاطفح ولا يحزنون، وقد تم تركيب مواسير صرف صحنى لأول مرة فى الشارع + مواسير كهرباء وتليفونات وغاز + مصابيح كهرباء جديدة على الطراز الإسلامى + نحن نرصف الشارع كله من جديد وقد هبطنا بمستوى الشارع إلى المستوى الذى كان عليه يوم افتتاحه قبل ألف سنة.. حتى لا نبلط الشارع ثم يبدأ الحضر من جديد كما يحدث فى شوارع أية مدينة مصرية + مصدات فى قلب الشارع لمنع مرور العربات + مطاعم وكافتيريات فى كل مكان + لافتات جديدة للمحال على الطراز الإسلامى الجميل + تغيير النشاط الحرفى والتجارى للمحال حتى لا تتعارض مع طبيعة الشارع التاريخية والإسلامية + تعويض أصحاب المحال والبيوت الأثرية، وقد اتفقت مع الدكتور أحمد نظيف رئيس مجلس الوزراء على هذه التعويضات + تشجير الشارع حتى يتحول إلى واحة للخضرة والتاريخ والأصالة + دورات مياه نظيفة وصحية على أعلى مستوى فى طول الشارع + إنارة حضارية إسلامية + غرامات وسحب التراخيص فى حالة عدم الالتزام!

قلت : الشارع شاغلك قوى!

قال : بالفعل هو شغلى الشاغل هذه الأيام.

الشارع تاريخى وتجارى أيضاً ففيه تجارة وتجار يلعبون بالمليارات.. وإن شاء الله مع الافتتاح العالمى آخر السنة دى.

ولعلمك لقد أصبح لدينا الآن ثلاثة متاحف فى قلب شارع المعز لدين الله!

أسأله : فين؟

قال : متحف السجاد فى بوابة المتولى المعروفة بباب زويلة + متحف النسيج امام مجموعة السلطان قلاوون + متحف آدم حنين للنحت فى سبيل السلحدار ..
يسرح الفنان بناظره بعيداً وهو يخلق بخياله وكأنه يرسم لوحة من لوحاته وهو يقول لى : تخيل معى زائر القاهرة ماذا يفعل؟

إنه يتجول نهاراً بين متاحفها الرائعة بداية بالمتحف الكبير، الذى سيقام على هضبة الأهرام + متحف الحضارة فى الفسطاط + المتحف المصرى فى ميدان التحرير + متحف محمد على باشا فى آخر شبرا + متحف الأديان السماوية داخل أقدم جامع إسلامى فى مصر وهو جامع عمرو بن العاص + زيارة للكنيسة المعلقة فى مصر القديمة + فلوكة فى النيل ساعة العصارى + زيارة لأهرامات الجيزة وركوب الخيل والكارثة + ليختتم يومه بجولة مفتوحة على الأقدام فى أكبر متحف مفتوح وهى للآثار الإسلامية فى العالم كله + السهر على أنغام العود فى بيت العود وبيت القانون وبيت الشعر!

قلت : رائع..

ليست أحلام الظهيرة!

ولكى يطمئن قلبى ذهبت مع الصحفيتين هبة عبد الخالق وحنان مصطفى، والمصور مدحت عبد المجيد إلى الشارع لكى نرى ونسمع ونتحسس ببصرنا وسمعنا كل ماقاله الفنان الذى يجلس على كرسى وزير الثقافة.. أحقا وصدقا..
أم مجرد حدوتة مثل حواديت ما قبل النوم لكى ينام الصغير ويهدأ فى سريره!

ولكى نقطع الشك باليقين.. أمضينا سبع ساعات بطولها من الثانية عشرة وحتى قبيل غروب الشمس.. فى أسبوع مولد الحسين رضى الله عنه.. والزحام على أشده ولا موضع لقدم.. لم نكن وحدنا.. كان فى انتظارنا بترتيب من رفيق الطريق د. زاهى حواس أمين عام هيئة الآثار.. أربعة من الأثريين : فرح فضاة المشرف على الآثار الإسلامية + جمال مصطفى المشرف على مشروع القاهرة

التاريخية + رجائي حسين المشرف على شارع المعز لدين الله + د. محمد الششتاوى مدير التوثيق الأثرى.

كانت البداية عند مجموعة السلطان قنصوة الغورى وهى تحفة معمارية شامخة.. تضم ضريحاً ومدرسة.. ولكن المياه الجوفية قد أغرقت كل شيء.. وعلى مدى خمس سنوات تم سحب المياه الجوفية التى كانت تملأ صهريجاً هائلاً أسفل الجامع، وتمت إزالة محال الباعة الملتصقة بحوائط المبنى، وتم تعويضهم ونقلهم إلى محال خلفية.

أسأل : هل السلطان الغورى مدفون هنا؟

قالوا : لا.. بل مات فى المعركة ولا نعرف عنه شيئاً!

أسأل : أنا أعرف أن طوبى بن باى البطل الشعبى الذى قاوم جنود سليم الأول عام ١٥١٧ عندما غزا مصر مدفون هنا!

قالوا : لا وجود لأى رفات هنا على الإطلاق.. ولو كانت هناك رفات فالمياه الجوفية حللتها تماماً!

أعطينا درجة عشرة على عشرة لأعمال الترميم لمجموعة السلطان الغورى.

الليلة الكبيرة ياعمى!

الزحام يملأ المكان كله.. لا موضع لقدم.. فالיום هو مولد الحسين رضى الله عنه.. الناس فى الريف والبنادر يفترشون الأرض.. وينصبون الخيام.

ارتدينا القبعات خوفاً من ضربة شمس.. وسرنا وسط الزحام نتحسس أقدامنا بين الكتل البشرية المتراسة التى جاءت تعلن عن محبتها لمولانا الحسين..

الشمس مصلوبة فوق رؤوسنا.. والبشر يتحركون كتلة واحدة.. يزاحمون الباعة الجائلين والمحال تزدان بالملابس الملونة والأحذية والمفروشات..

وصلنا لمسجد الفكهاى ورأيناه مقلقا وعلى مدخله يجلس رجل من المجاذيب يفترش المكان.. ولما سألنا مرافقينا من الأثرين.. قالوا : إنه خاضع للترميم!

خطوات أخرى تقودنا إلى سبيل محمد على باشا وقد أحاطته يد الآثار بسور صغير ووبرغم هذا تجد الباعة يفترشون السور بالأحذية والملابس النسائية!

عن يميننا مسجد السلطان المؤيد الذى أقامه صاحبه مكان سجن طلائع الذى كان سجناً رهيباً ذاق فيه السلطان ألواناً من العذاب فدعا ربه لو أخرجه من كريتته.. فسوف يبنى مكانه مسجداً.. وقد كان ولكن المسجد مغلقة أبوابه.. سألنا: لماذا؟ قالوا : هو يفتح فقط فى مواقيت الصلاة فيرفع الأذان وتقام الصلاة ثم يغلق فى الفترات مابين الصلوات، لأن الباعة والأطفال وكثيراً من الناس يذهبون للجلوس والنوم به!.

نمر من أمام حمام السكرية ونسير لتنعطف يسارا إلى عطفة الحمام بما فيها من منازل أثرية الأياتى والأليالى..

ثم نتوقف عند باب زويلة أو كما يسمونه هنا شعبياً «بوابة المتولى» الذى يقع بأخر شارع المعز لدين الله بالسكرية ملاصقاً لمسجد المؤيد الذى وصفه المقرئى بقوله : «إنه الجامع الجامع لمحاسن البنيان»!

همس فى آذاننا شيخ يجلس على عتبة الجامع : إن روح الشيخ المتولى تسكن باب زويلة!

سألنا : ومن هو الشيخ المتولى هذا؟ قالوا : المتولى هذا قد يكون حارساً أو ولياً من أولياء الله.. ويعتقدون أن المتولى يظهر فى صور عديدة.. وكانوا يلجئون إليه على مدى قرون فيطلبون منه أن يخلصهم من مخاوفهم ورفع الظلم عنهم وتلبية أمانتهم فى الزواج والخلف الصالح!

نعود لنقطة شارع الأزهر.. إلى الجانب الآخر من شارع المعز لدين الله.. لتدب بأقدامنا فى الشارع الذى شهد ميلاد القاهرة قبل أكثر من عشرة قرون..

مررنا بحمام قلاوون الذى مازال مفتوحاً إلى الآن وهو حمام مخصص للرجال، وهو أثر تاريخى مازال جامداً.. قال لنا عامل المغطس : أهلا وسهلا المكان نور.. كان هناك ثلاثة رجال فى غرفة البخار.. برغم ما يحيطه من هدم

وبناء وواجهته التى تكاد تختفى خلف بعض المحال.. سألنا : بكم النفر؟ قالوا :
الجودة فى الموجودة!

قلت : بكام يعنى؟

قالوا : حمام وتكبيس ومفطس بخار وشاى = عشرة جنيهه!

قلت : يابلش!

ندخل إلى قبة الصالح نجم الدين أيوب وهى أول قبة ضريح ألحقت بمسجد
ومدرسة دينية أنشأتها شجرة الدر لزوجها الصالح أيوب.. وقامت بنقل رفاتة
ودفنه بضريح داخلها.. ولم تعلن وفاته حتى تحقق النصر لجند مصر على جنود
لويس التاسع ملك فرنسا الأسير فى المنصورة!

وأقامت شجرة الدر عقب وفاته أول متحف للملابس الصالح وأدواته هنا..
ولكن أين هى؟. الدواليب فارغة!

فى مقابلها على الناحية الأخرى من الشارع.. مجموعة المنصور قلاوون
ومدرسة الناصر محمد بن قلاوون وخانقاه ومدرسة برقوق وسبيل محمد على
وبقايا المدرسة الظاهرية.

وبحق فإن مجموعة السلطان قلاوون من أجمل الآثار فى المكان سواء عظمة
البناء من الخارج أو من الداخل..

وقد أعطيناها درجة عشرة على عشرة!

قال لنا القائم بالعمل والمهندس المختص بأعمال الترميم : هذا المكان يعتبر
من أجمل الآثار هنا ولكن المياه كادت تخرب كل الأثر.. وكان من أصعب أنواع
الترميم سواء الرخام الموجود أو الحوائط والأعمدة والأسقف ولهذا تمت معالجته
على مستوى عال من التقنية.. أما الضريح فقد كان مليئاً بالمياه حتى منتصفه..
ولا يضم أى رفات!

سألنا رفاقنا الأثريين : أين ذهب إذا الخلفاء والسلاطين والأمراء؟

قالوا : إن كل المدافن الأثرية لم يجدوا بأى منها جثث من رحلوا .. ويقال إن
السبب هو تحللها وتلاشيها بسبب المياه الموجودة!

.....

.....

ومازلنا داخل أقدم شوارع القاهرة التاريخية وأعمال الترميم تحيط بنا من كل
مكان.

المرممون والمهندسون والأثريون لا يهدمون ولا يرتاحون .. قالوا لنا :

كل المجموعة تم استرجاعها لأصلها حتى تكون على نفس ما بنيت عليه ..
أعمال تليط الشارع تجرى على قدم وساق .. البلدوزارات تتحرك .. والعمال
يلصقون البلاط بنشاط والتراب والغبار يعلو ويسد الأنفاس .. وعربة كشرى
يلتفت من حولها العمال وأصحاب الورش .. وتمنينا أن نحظى بطبق شهى منها ..
ولكن ماذا نفعل؟

بيوت حديثة تصدم العيون .. قال لنا عنها الأثرى جمال مصطفى إنه تم
التعامل مع واجهات البيوت والمحال وإعادة طلائها وتعميقها لكى تتماشى مع الأثر
من الخارج، ويصبح الشكل العام به انسجام أثرى.

المحال التجارية والورش تلفت الأنظار بأعدادها الكبيرة ما زالت داخل المباني
الأثرية من جوامع ومدارس وأسبلة .. سألنا الأثرى فرج فضاة المشرف على قطاع
الأثار الإسلامية : لماذا تترك هذه المحال والورش بداخل أسوار الأثار وتحيط
بها من كل مكان وبعضها داخل الأثر نفسه؟

كان جوابه : هذا مانعانى منه فكل ماترونه تابع للأوقاف ومعظم هذه المحال
مؤجرة من الأوقاف وبعضها مباع منها، وأصبح ملكية خاصة بعقود وأوراق
مسجلة .. والأمر ليس بيدنا فهذه مشكلة كبيرة لانستطيع حلها نحن .. ولكن
المسئول الفعلى ومن بيده حل هذا هو الأوقاف .. ولكننا قمنا بما يخفف الأمر،
وهو تغيير واجهات المحال بشكل يتناسب مع المكان وطلبنا من أصحابها تغيير

النشاط لبيع التحف والنحاسيات والأشياء التي لها علاقة بالتاريخ بدلا من النشاطات القديمة وحاولنا إخراج مبالغ كبيرة ولكنهم تبادوا ورفعوا أسعارهم بشكل كبير فى طلباتهم!

يكمل الأثرى رجائى حسين ماقاله زميله : نحن نعانى لحماية هذه الآثار من عدة جهات منها الأوقاف والمحليات والأفراد .

ودخلنا متحف النسيج الرائع .

نحن الآن أمام مدرسة السلطان برفوق وفتح بابها العتيق المطعم بالفضة لندخل ونرى الممرات وأماكن الجلوس والصلاة.. وبالداخل ساحة واسعة تتوسطها فسقية بها مياه وقد تم تجديدها لتعمل.. على اليمين مسجد به قناديل زجاجية مدلاة، والسقف عبارة عن قبة رائعة الجمال ملونة ومطعمة بالنحاس والفضة والألوان الزاهية وتقع المدرسة الجميلة بمنطقة النحاسين..وقديما عرفت ببيت القصرين التي كتب عنها أديبنا نجيب محفوظ..

خلف المبنى توجد بعض المساكن الخاصة بالأشخاص ويشكو الأثريون أنهم كثيرا ماتسببوا فى حرائق مروعة!

أعطيناه ٩ من ١٠ فى أعمال الترميم.. والواحد الناقص بسبب المساكن الخلفية! نتوقف الآن أمام متحف النسيج المصرى من الخارج المكان يتمشى تماما مع الشارع والأبنية الأثرية.. أما من الداخل فالأمر يختلف تماما.. لقد طور وتم تسيقه على طراز حديث ليضم كل مايتعلق بالنسيج المصرى وصناعته ونماذج من أنواع النسيج على مدى العصور داخل حوائط زجاجية. فهذا سرير من العصر الفرعونى يعلو.. غطاء من النسيج القديم.. وهناك مفروشات وشعر مستعار من عهد الفراغة. قاعات وطرفات جوانبها وأوسطها زجاج.. يداخله تراث النسيج المصرى عبر العصور من منسوجات وملابس ومفارش وأقمشة وقطع برديات والمحمل، وهو كسوة الكعبة وهناك مفارش أحدها هدية محمد على لابنته فى يوم عرسها مشغول بخيوط ذهبية.. كما يضم الملابس والأقمشة والمخطوطات النسيجية القبطية.

أعطيناه درجة الكمال : عشرة من عشرة.

نخرج مرة أخرى إلى عقب الحضارة الإسلامية حيث نفخ أمام المدرسة الكاملية أثرًا إسلاميًا لا يقل أهمية عما يماثله وهو لابن أخ صلاح الدين الأيوبي بناه لدراسة الفقه السنن الحديث.

تحيط أبواب المدرسة الكاملية محال من كل مكان وجميعها محال تابعة للأوقاف وقامت بتأجيرها.. ولم تستطع هيئة الآثار إخراج أصحابها أو مستأجريها منها.. أمام المدرسة سيدة عجوز تنام فى سكون وتضع رأسها على أحد الأحجار لترتاح من عناء الطريق وحرارة الشمس الحارقة!

نمر بسبيل عبدالرحمن قفقوده وبقواره عربة العرقسوس والتمر هندی لتروى العطش.. وصاحبها ينادى : اشرب يا عطشان.. اروى عطشك!

وها هو جامع الأقرم وعمره ألف عام أول واجهة حجرية فى هذا العصر.

حارة الدرب الأصفر أمامنا وهى مليئة بالبيوت الأثرية التى تم التفاهم مع أصحابها وسكانها وتعويضهم وتم إخلاء جزء كبير منها لضمها للمجموعة الأثرية.

تحية لعم محمد مجاهد!

وها هو بيت السخيمى بزقاق الدرب الأصفر بجماله وطرازه المعماري وجوه المنعش الذى رحمنا من هذا الجو الصيفى الخانق نتجول فى ساحته وغرفاته وأدواره ونرى البئر تتوسط حديقته ثم نرى الحمامات بداخله بتنظيمها ودقتها ونصعد إلى قاعة السيراميك التى تم تصوير عدد كبير من أفلامنا السينمائية بها وهى مليئة بأعمال القيشانى بالحوائط والأرضيات والأوانى وبها شلة الجلوس التى كانوا يجلسون عليها.. وكان صاحب البيت يجلس بجوار هذا المكان الذى قام المسئول عن البيت وأرانا إياه أنه مكان كان يخفى فيه نقوده ويجلس هو فوقه!

تحية لعم محمد مجاهد حارس البيت على مدى أكثر من ثلاثين عاماً..
وحاميه والمحافظ عليه.. ولكن الكل نسيه ولم يعد أحد يذكره.. إلا أن ذكرياتنا
الجميلة عنه مازالت حية في أذهاننا.. ولن تموت!

.....

.....

نقف أمام مدخل حارة برجوان حيث عاش المقریزی وحكى وسرد عن القاهرة
القديمة.. ولكن حارة برجوان مليئة الآن بالورش والمحال والأواني البلاستيكية في
كل مكان.

أين بيت المقریزی؟

لقد أصبح أثرا فيما بعد!

يطل علينا لنا مسجد الحاكم بأمر الله والأولاد يلعبون الكرة داخل أسواره..
وهاهو سور القاهرة القديمة وياب الفتوح فننزل إلى السراييب أسفله ونصعد
إلى أعلى ونتخيل كيف أن المحارب القديم يبارز بسيفه جريا على هذه السلالم
الحجرية الضخمة؟

وأية قوة كانت لدى هؤلاء في الدفاع عن القاهرة داخل السور؟

في السور فتحات كان يصب منها الحديد والزيت المغلى على المغيرين على
الأسوار، وهناك فتحات صغيرة لرمى السهام والمراقبة مشينا كثيرا داخل بناء
السور وممراته بعد تجديده وترميمه. ومشينا داخل سراديبه حتى أعيانا السير
فقعدنا!

مسجد الحاكم بأمر الله أمامنا تحفة صنعها البهر.. الهنود.. ولكن تبقى
المثذنتان على حالهما..

.....

.....

نخرج ونجلس فى الهواء الطلق بجوار منزل زينب خاتون، هذا المكان كان قديماً «حى الباطنية»، حيث كان تجار المخدرات يصولون ويجولون.. ولا أحد يدخله إلا بإذن منهم، ولكن انتهى عهد أسطورة الباطنية ووضعت هيئة الآثار يدها على الحى كله.. وحولته إلى مدينة للفن والحب والجمال.

بجوار منزل زينب خاتون جلسنا تحاورنا وسألنا وعلمنا من أفراد الفريق المصاحب لنا أن هذا المنزل فى أثناء العمل به فى نهاية الثمانينيات تم العثور على زلعتين مليئتين بالعملات الذهبية من عهد السلطان برسباى كانت مدفونة بالحوائط.. وهرب بها العمال.. ولكن أحدهم ذهب إلى صانع فى العياط فقاده إلى الشرطة. وعادت الزلع لمصلحة الآثار!

ندخل إلى المكان الجميل المسمى «منزل الست وسيلة» الذى بنى عام ١٦٦٤ ميلادية وينسب إلى الست وسيلة آخر من امتلكته وسكته وهى السيدة وسيلة خاتون.

والمنزل يضم الكثير والكثير من فنون العمارة الإسلامية والتاريخية القديمة من مداخل وأجنحة وفناء وبئر المياه التى كانت تسقى من به ومقعده الصيفى ومشربياته وجناح الحرملك والمندرية والطاحونة والحمامات الخاصة بالمنزل. أعطيناها درجة عشرة على عشرة.

ندخل بيت الشعر الذى يشرف عليه الشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى.. ومنه إلى بيت العود الذى يشرف عليه الفنان نصر الدين شمة..

المكان كأنه قطعة من ميدان هاملت فى قلب بروكسل العاصمة البلجيكية أو ميدان هانز كريستيان آندرسون فى كوبنهاجن فى الدنمارك.. أو طريق الفايكنج فى استوكهولم فى السويد..

لقد آن الأوان لتتجول معا على أقدامنا فى الشارع الذى ولدت فيه القاهرة.. هل نحن نحلم؟

هذه المرة.. لا حلم ولاسراب ولاضباب..

هنا القاهرة.. الساحرة

الأسرة الهادرة الساهرة

الساترة السافرة..

هنا القاهرة الزاهرة

العاطرة الشاعرة النيرة

الخيرة الطاهرة

هنا القاهرة المسامرة

القادرة الصابرة المنذرة

النائرة الظاهرة

صدى الهمس في

الزحمة والشوشرة

آسى الوحدة فى اللمة

والتنورة

هنا الحب والكذب

والمنظرة..

هنا القرش والرش

والقش والسمسرة..

هنا الحب والحق

والرحمة والمغفرة..

وأنا فى قلب دوامتك

الدائرة بينا..

بصرخ بحبك يا أجمل

مدينة..

ياضحكة حزينة..

ياطايشة ورزينة..

بحبك وأعز جيبني

في ترابك

وأعيش في رحابك

وأقف جنب بابك

يازينة جنينة حياتنا

اللعينة..

بحبك بحبك يابنت

الذين!

■ إنها أجمل أغنية كتبها الشاعر سيد حجاب وغناها الفنان على الحجار.



ليست مجرد حدوتة قبل النوم!

فى رسالة شديدة اللهجة كأنها إنذار بالاستسلام أو إعلان الحرب حملها إلى بعد منتصف الليل مترجلاً عن حصانه الأشهب مبعوث السلطان الظاهر بيبرس قاهر المغول.. وأنا واقف فى ساحة المشهد الحسينى متبركاً بحفيد سيد الخلق أجمعين وراح يقرؤها على مسامعى: الحلفاء والسلاطين والأمراء والحكام وقادة الجيوش المظفرة وكتاب العتبات السلطانية والقاهرة الفاطمية والملوكية والأيوبية والعثمانية.. ينتظرونك على أحر من الجمر لكى ييلفوك رسالتهم ومطالبهم.. بعد أن اجتمعوا بالوزير الفنان فاروق حسنى، وتحدثوا معه وكاشفوه بمخاوفهم وقلقهم البالغ على الحالة التى وصل إليها أعلى ما تملكه مصر من كنوز الآثار الإسلامية والذى لا يوجد له مثل فى العالم كله.

أسأل مبعوث السلطان بيبرس: أين يجتمعون إذًا؟

قال: فى هذه الساعة فى بيت الست وسيلة خاتون.. خلف الجامع الأزهر.

أسأله: وطلبونى أنا بالاسم؟

→ باب الفتوح كما صورته المستشرقون قبل ثلاثة قرون.

قال: ألسنت أنت من يسمى عزت بن إبراهيم بن مصطفى بن السعدنى؟

قلت: أجل..

قلت: إذا تعال معى.. اركب خلفى على جوادى أحملك إليهم فى هذه الساعة..
والا سادفع رأسى ثمناً لعدم عثورى عليك!

قلت: وإذا رفضت يا هذا الذهاب إليهم؟

قال فى ثبات وكأنه يلقي على مسامعى حكم قاضى القضاة: لقد أخبرونى
إذا امتعت عن الحضور إليهم فى هذه الساعة. فالبدل هو رأسك بهذا السيف
البتار وأحملة إليهم.. رأسك يا سيدى أم رأسى.. ماذا تختار؟

قلت مستسلماً: لا رأسك يا أخى ولا رأسى.. أوامر السلاطين لا ترد!

بيد واحدة حملنى من على الأرض وأردفتنى خلفه على صهوة جواد يصله كأنه
قادم من روايات ألف ليلة وليلة.. ثم قفز بنا من فوق السور الذى يفصل ساحة
الحسين رضى الله عنه عن شارع الأزهر ثم عرج بنا إلى عطفة العتبة الممتدة من
شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر إلى جوار مدرسة السلطان قايتباى..
وتوقف تماماً أمام منزل الهوارى الملاصق لبيت الست وسيلة خاتون. يترجل
الفارس من على جواده ويساعدنى فى النزول.. ويتقدمنى إلى بيت الست وسيلة..
يطرق الباب قائلاً: أنا خريوش مبعوث السلطان الظاهر بيبرس..

يسأل صوت أجش من خلف الباب: هل المطلوب معك.. أم رأسه؟

خريوش يرد: نعم المطلوب بشحمه ولحمه!

ينفتح الباب نهبط خمس سلمات ندخل من باب آخر.. الحراس على
الجانبين.. خريوش يتقدمنى وأنا «المطلوب» من خلفه!

قاهر المغول.. فى استقبالى!

نحن الآن داخل بيت الست وسيلة خاتون.. وللذين يعلمون والذين لا يعلمون
فإن كلمة خاتون هى كلمة فارسية الأصل ومعناها: «المرأة صاحبة الأمر والنهى

فى الدار» كما يقول لنا د . رفعت موسى فى رسالته للدكتوراه تحت عنوان:
العائثر السكنية الباقية فى القاهرة فى العصر العثمانى

والسيدة وسيلة هى آخر من سكن فى هذه الدار وهى ابنة عبد الله الببضا ..
ومعتوقة الست عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكببر .. شريك مراد بك فى حكم
مصر .. وقد كانت جارية من جواربه ثم قدمها لابنته عديلة التى اعتقتها لوجه
الله . وقد اشترت البيت من صاحبه الأول وبانيه . كما هو مكتوب حتى الآن فى
حجرة الضيوف . الحاج محمد الكنانى الذى بناه فى عام ١٦٦٤ ميلادية .. يعنى
عمر هذا البيت يقارب ٣٥٠ سنة بالتمام والكمال!

نصعد درجات سلالم خشبية عشر إلى قاعة الضيوف ذات المشربيات فى
الطابق الأول .. بقامته المشوقة وبزى وبزة السلاطين الفوارس .. كان فى
استقبالى .. عرفت أنه السلطان الظاهر بببرس نفسه عندما صاح خربوش:
مولانا السلطان بببرس .

مد السلطان يده إلى السلام قائلاً ومرحباً: حسناً أتيت فالجمعون هنا فى
الداخل فى حالة غضب شديد على مصير قصورهم وجوامعهم ومدارسهم
وأسبلتهم وبيوتهم فى شارع المعز لدين الله .. وعمره من عمر القاهرة نيف وألف
عام!

قلت للسلطان بببرس: يا قاهر المغول يا صاحب السيرة الشعبية العطرة لماذا
طلبنى القوم هنا .. وبالإسم .. وقد اجتمعتم بصاحب الأمر والنهى وصاحب الكلمة
العليا فى شأنكم ومصيركم؟

قال: تقصد صاحب الباع والذراع والحاكم بأمره فى طول القطاع وصاحب
الريشة السحرية التى تعيد للقاهرة بصمتها التاريخية وزيركم النابه الذكى فاروق
ابن حسنى؟

قلت: أجل هو .. وقد وعدكم الرجل خيراً .. بعد حوار ومداولات طويلة .. بأن
يعود بالشارع إلى سابق عهده وكأنه لم يزد على الأمس إلا إصبغاً!

قال السلطان: ولكن الخلفاء والسلاطين والأمراء والحكام يهمهم أن يعرف أهل القاهرة ماذا يريدون وإلى أين هم ذاهبون؟ وما مصير ما فعلته للدنيا كلها من تراث وحضارة إسلامية مازالت تشع نوراً وتويراً؟

قلت: وأنا المكلف من قبلكم بأن أنشر هذا على الملأ؟
قال: سوف تسمع هذا «التكليف» بأذنك من قبل مجمع السلاطين والخلفاء والحكام والمؤرخين بالداخل.

يفتح الباب عن لفظ كثير وكلمات وحوارات جانبية.. السلاطين أمامي والخلفاء تحت بصرى وسمعى.. لم يجتمعوا حول مائدة مستديرة كما تفعل الآن.. ولكنهم جالسون متكئون على حشايا طرية ومساند مريحة.. ومن حولهم النارجيلات المشتعلة بالنار والدخان.. وغلمان يرتدون صدارى وسراويل سندسية خضراء يطوفون عليهم بأباريق العناب والكرديه والتمر هندى.. ألمح مولانا المقريزى واقفاً فى الركن.. تقدم إلى قائلأ: أنت وأنا دائماً فى كل زمان ومكان.. نحن على موعد معاً شتأ أو لم نشأ.

قال: دعنى أقدم لك المجتمعين هنا.. وأحسب أنك تعرف الكثيرين منهم وقد كتبت عنهم كثيراً، أمامك السلطان قنصوة الغورى وإلى جواره السلطان برفوق وإلى يمينه قطز رفيق السلطان بيبرس فى كسر شوكة المغول.. ثم السلطان قلاوون والسلطان المؤيد السجين الذى أصبح سلطاناً والسلطان الأشرف قايتباى.. وفى الصدارة يجلس الخلفاء الكبار الخليفة المعز لدين الله صاحب التاريخ وبانى القاهرة والخليفة العزيز والحاكم بأمر الله.. الأسطورة التى مازالت لغزاً محيراً ولم ننس من كتبوا وسجلوا وعاشوا فى هذا الشارع من أعظم المؤرخين والكتاب.. ابن إياس وابن تغر بردى وأنا.

قلت: أهلاً برفاق مهنة البحث عن المتاعب!

.....

.....

السلطين يغرقون!

أول المحدثين كان السلطان الغورى صاحب المجموعة الرائعة بل إن حيا أصبح الآن باسمه اسمه الغورية مع أغان شعبية يرددها العامة من خلف محمد قنديل: يارا يحيين الغورية هاتوا لحبيبي هدية..

يقول السلطان الغورى: أنا أعترف بأن ما حدث لمقامى ومدرستى ومسجدى شئ يفوق الخيال.. حتى أصبح تحفة فنية.. هل يتحقق ذلك مع بقية أغلى ما فى هذا الشارع من مواقع وكنوز الآثار الإسلامية؟

وقال السلطان المؤيد: كل ما أريده أن يخرج التجار من محلاتهم من أسفل جامعى فى «بوابة المتولى» وأن يترك الباعة المتجولون البوابة التى تعرفونها بباب زويلة.. وأن يعود المحتسب إلى مكانه فوق البوابة ليراقب الأسعار وحركة البيع والشراء والداخلين والخارجين.

وقال الحاكم بأمر الله: ما يضايقنى ويحز فى نفسى حقاً أن يد الترميم والإصلاح لم تصل بعد إلى المئذنتين فوق مسجدى فى آخر الشارع عند باب الفتوح.. ويزعجنى من راحتى لعب الأولاد الكرة فى الصحن الخارجى للجامع!

أسأله: يامولانا.. هل حقاً ما يقولونه عنك المؤرخون والأتباع والمريدون من طوائف الإسماعيلية والبهرة من أنك لم تمت.. ولكنك صعدت إلى السماء؟

يبتسم ابتساماً لم أفهمها وقال: يا أخى دعهم يقولون والله وحده هو علام الغيوب.. وهو عالم السر وما يخفى وموعدنا معاً يوم المشهد العظيم.. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من عمل عملاً صالحاً!

السلطان قلاوون يتكلم: أنا حزين!

يسأله القوم: لم يا سلطان السلطين؟

السلطان قلاوون: لقد عاش الناس عند مسجدى ومقامى ومدرستى زمناً طويلاً خربوا فيه كل شئ.. كل زلزال وكل وباء وكل فيضان يجمعون المتضررين ليقيموا عندى بعيالهم ومعاشهم.. ولا أنسى أبداً المياه الجوفية ومياه المجارى التى

أغرقت مقامى ومرقدى حتى منتصفها.. تصوروا السلاطين بعد رحيلهم يسبحون
فى مياه المجارى!

همهمات ولغظ وصيحات وتكبيرات: «الله أكبر.. الله خير حافظاً»

السلطان برقوق: لقد قلت لوزيركم عندما اجتمع بنا قبل أيام إن كل ما
فعلتموه جميل ورائع.. ولكن مدرستى ومقامى فى الشارع يعيش السكان خلفه
ويسبون حرائق بين وقت وآخر.. لماذا لا تبعدون الناس عنا؟

يتدخل ابن إياس المؤرخ العظيم بقوله: بين يدينا الآن قائمة تضم ١٠٦٤ حالة
تعد على المساجد والقصور والمدارس فى الشارع من جانب الأهالى والحكومة
أيضاً!

ابن تغريدى وابن إياس هو الآخر يضيف: ولا تنس يا ابن إياس أن هناك
٢٧٢ قطعة أرض فضاء كانت من قبل مبان ومساجد ومدارس أثرية ضاعت
وتهدمت وتحولت الآن إلى خرابات ينقع فيها اليوم!

مولانا المقرزى يتكلم: لابد من عقد معاهدة بين الأوقاف والآثار.. لكى تسلم
الأوقاف ما لديها من آثار وعددها ١٢٧ أثراً إسلامياً.. حتى يمكن أن نتعامل مع
قاطنيتها ومؤجريها من الناس والتجار! ثم موجهاً كلامه إلى: اسمع يا هذا.. إنكم
معشر الصحفيين الأحفاد إنما تكتبون حى الأزهر فى كتاباتكم وتنسون اسمه
الأصلى.. وهو «حى كتامة» نسبة إلى قبيلة كتامة التى سكنت فيها وأقامت منازل
وخانات ومساجد ومدارس.. وقد جاءت من المغرب بصحبة القائد جواهر الصقلى
مع الفاتح المعز لدين الله.. ومازالت كتامة هى أكابر رجال الدولة حتى عهد
الخليفة العزيز بالله.. وعندما جاء الحاكم بأمر الله الجالس أمامك هنا إلى
الحكم قدم ابن عمار الكتامى وولاه منصب «الوساطة» وهى توازى رتبة الوزارة
فاستبد بأمر الدولة وقدم قومه وأعطاهم الكثير مما أغضب الحاكم بأمر الله
فأمر بقتله وتشريد قومه!

الحاكم بأمر الله يتمتم فى سره: لقد نال جزاءه العادل!

أفسحوا لى مكاناً وسطهم وأجلسونى على خشبة طرية ومن خلفها المشربية..
وقلت لهم: يا معشر السلاطين والخلفاء الكرام يا أجدادنا العظام نحن لن نترككم
أبداً نهياً للأيام وفعل اللثام.. نحن بسبيل تغيير خريطة القاهرة التاريخية كلها..
لقد دخلتم الآن منظومة عصر النهضة وداخل الملف الحضارى لإعادة الإشراق
والنور لكل ما تركتموه من كنوز وآثار والذى يتابعه يوماً بيوم الرئيس حسنى
مبارك والسيدة قرينته سوزان مبارك.. ويتولى مهمة تنفيذ بنوده وخطواته الوزير
الفنان فاروق حسنى الذى اجتمع معكم وأعطاكم ضوء الأمان الأخضر.

قالوا فى صوت واحد: عفارم.. عفارم..!

قلت: لا تنسوا يا معشر الخلفاء ويا مجمع السلاطين أنكم مجتمعون الساعة
فى بيت الست وسيلة معتوقة ابنة إبراهيم بك الكبير.. وقد تحول هذا البيت إلى
حطام وأطلال بعد أن رحلت عنه صاحبتة فى عام ١٨٢٥.. وأصبح مرتعاً لتجار
المخدرات.. بل إن المكان نفسه كان اسمه حى الباطنية أشهر أحياء المخدرات
فى القاهرة قبل أن يتم تطهيره تماماً من زبانية جهنم..

بل إن بيت الست وسيلة الذى تجلسون فيه الآن كان بؤرة لتجارة الصنف..
وقد تحول الآن بفعل آلة المعمار والترميم الرائعة إلى تحفة أثرية، وعاد كما كان
يوم أن كانت تعيش فيه السيدة وسيلة وأصحابه قبل ٢٥٠ سنة.. إنه مجرد
مثال على ما سيحدث لقصوركم ومساجدكم ومدارسكم فى شارع المعز.

قالوا فى صوت واحد: عفارم.. عفارم..

.....

.....

عزف على العود من حفيد وجيه أبو ذكرى

تعالوا ندخل بيت الهوارى.. لنتلقت أنفاسنا بعد هذا العناء ونحن نتصبب
عرقاً.. أصوات عزف جميل يتسلل إلى آذاننا، ويعلو على كل خطوة نخطوها
داخل البيت الذى عاد إلى الوجود بعد رحلة طويلة مع الضياع.. البيت الآن تحت

إمرة الموسيقى نضير شمة، إنه مدرسة لتعليم فن العود وفق القانون، الألوان المختلفة للموسيقى الشرقية إنه مدرسة حقيقية بمصروفات يخرج فيها الطالب عازفاً ماهراً وكلهم من الهواة العاشقين للموسيقى الحقيقية والطرب الأصيل.

الجالس أمامنا محتضناً عوده.. إنه محمد حفيد الصديق الكريم والكاتب الصحفي الكبير وجيه أبو ذكرى، لا نملك إلا أن نقول بعد كل مقطوعة من البشارف أو النهاوند أو السیکا إلا أن نقول: الله.. من تانى ياسى محمد!

.....

.....

هل تريدون حجاباً للمحبة؟

لقد عثرت عليه فى بيت السيدة وسيلة خاتون إنه هدية لكل من يزور البيت ويعيش قصة حب جميلة، وتلك هى حكاية حجاب المحبة لمن يريد.

تلتقط عيونى مخطوطة على الحائط مكتوب عليها: إذا جاء الزائر فأكرموه.

قلت: أين الكرم الآن؟. كان زمان!

لم أكد أكمل عبارتى وأنا نازل سلماً من عشر درجات بعد أن انفض سامر السلاطين والخلفاء.. حتى وجدت يدها تسحبني فى الظلام إلى ممر يقضى إلى صحن الدار.. وصوت عذب لجارية فى لون الأبانوس يحدثنى: يا سيدى.. سيدة الدار لها حديث معك؟

قلت: السيدة وسيلة خاتون نفسها؟

قالت: لا.. إنها السيدة صفية زوجة صاحب الدار الأول الحاج لطفى.

كنت أعرف أن هناك فرماناً إسلامياً وأخلاقياً ألا يدخل غريب إلى داخل حرمة الدار.. وكنت حائراً حتى انفتح أمامى باب حجرة الضيوف.. ألمح طليقاً لسيدة ملفوفة بالخمار.. لاشيء يصلنى منها إلا صوتها.

قالت: عندى لكم يا أهل مصر هدية تقرب بين الأحبة وتصلح ذات البين بينهم.. إنه حجاب المحبة.. سوف أعطيه لك وهو مكتوب بآيات قرآنية وأدعية وتعاويذ كتبها لى شيخ فاضل.. وقد حققت مرادها عندى فأصلحت ما بينى وبينى زوجى لطفى وعدنا كالسمن على العسل.. وعشنا معاً أياماً هنية رضية..

قالت السيدة صفية: إننى أضع هذا الحجاب دائماً داخل جدار الحجرة المطلة على المقعد الصيفى.. أرجو أن يفلح معك أو مع غيرك ممن يؤرقهم ما يحدث بين الزوج وزوجه من شقاق ونفاق.. والله خير حافظاً.

فى نور شارع العنبة أرسلت عيونى إلى داخل الحجاب الصوفى الأخضر لأقرأ ماهو مكتوب فى ثلاث صفحات ولكننى لم أفهم شيئاً.. آيات قرآنية كريمة ودعوات ومواعظ وكلمات غير مفهومة.

.....

.....

لم يبق إلا ساعات قليلة على الصبح.. وضعت الحجاب تحت مخدتى وخلدت إلى نوم عميق.. صحت منه على وجه زوجتى باسمًا مشرقاً.. قالت: لقد أعددت لك الفطور الشهى الذى تحبه (عصير جريب فروت وعيش محمص وبيض سكرامبل ونيس كافيه)..

قلت: ياه.

قالت: وكمان ما تتحركش حتفطر فى السرير!

قلت فى نفسى دون صوت: بركاتك ياست صفية!

من منكم شقيان صدمان تعبان ويريد ولو مرة واحدة فى حياته حجاب

■ المحبة 9



السلطان فى حارة برجوان!

هو ليس حلمًا.. وليس خيالاً.. وليس واقعاً يحتوننا فى نوره.. ولكنه متفرق إحساسه بين هذا كله.. من يريده حلمًا فهو له.. ومن يريده خيالاً فهو له.. ومن يريده واقعاً فهو على ما يريده قد كان.. لم أكن أدري أن القدر يمكن أن يحدد لى موعداً إلى لقاء معه.. لم أكن أحلم أن أقابله وجهاً لوجه، وهو القائد العظيم الذى حقق للمسلمين والعرب أعظم انتصار إسلامى حتى الآن.. عندما دمر جحافل الصليبيين القادمين إلى المشرق بزهو أوروبا وكبرياتها وخيلائها وكيدها فى موقعة حطين، فى شهر يوليو قبل ٨٢٥ سنة بالتمام والكمال.. لم يخطر على بالى أن ألتقى به هنا فى قلب القاهرة بعد ثمانية قرون طويلة فى موقعة الشرف العربى التى جعلت بيت المقدس والآخر مرة عربياً مسلماً.. وإذا كان الأبطال العظام.. هم صناع التاريخ.. ومالكى أقداره.. وإذا كان الأبطال العظام فى كل العصور والحقب.. لا يموتون أبداً.. ولكنهم فى سمع الزمن ويصره أحياء يرزقون.. هذه هى إذًا حكايتى مع واحد منهم.. إن لم يكن أعظمهم على الإطلاق!

→ المملوك الشارد فى لوحة نادرة وهو يقفز بحصانه من فوق أسوار القلعة.

❖ كنا نتابع بالصورة والكلمة من داخل شوارع القاهرة مظاهرات القبول والمبايعة من كل الطوائف للرئيس حسنى مبارك عندما تقبل من شعبه مسئولية حكم بلد فى حجم مصر.. عندما خلت الساحة «فجأة برحيل السادات».. خلق كثير وزحام يخنفه زحام أشد منه.. وحناجر شدت أوتارها على آخرها بالهتاف والنشيد.. وأصرت بات دوجان الصحفية الإنجليزية الجواله التى أرسلتها مارجرىت بنتلى - التى ذهبت معى إلى قرية دنشواى - بدلاً منها من لندن خصيصاً لتغطية قصة مبايعة شعب لقائده فى وقت عصيب . على حد تعبيرها . نحن نمشى على أقدامنا وسط غابة من الزحام تقودنا حسب ما نريد وأيضا نريد ..

تقودنا مسيرات خلق الله إلى الشارع الذى ولدت فيه القاهرة.. والذى مازال يحمل اسم المعز لدين الله.. هنا خرجت القاهرة إلى الدنيا أول مرة قبل أكثر من عشرة قرون.. الشارع يحمل نفس ملامح عصر المماليك.. وربما نفس الرائحة والعبق.. ولكنه أصبح الآن مثل صور الألبومات.. غبراء مترية.. متعبة.. باهتة.. مثل أشباح الماضى الغابر.

عند مدخل حارة برجوان الفارس المملوكى التى سكنها يوماً عمنا ومعلمنا المقريزى المؤرخ العظيم.. يستوقفنى زحام من نوع آخر غير زحام مسيرات المبايعة.. «لمة» كبيرة.. «وهيصة وزيطة» من حول شىء ما لا أعرفه أخفته أجساد المتزاحمين تزاحم الغريان حول قطعة جبن.. أحشر رأسى من خلال الأجساد المتلاصقة باللحم والشحم والعرق.. وأذنى تلتقطان صيحات المتزاحمين: «حاجة غريبة والله.. وهو ده معقول.. يا راجل قول كلام غير ده.. يا عم ده درويش من دراويش الحسين.. حقه لو ده صحيح تبقى القيامة قريت خلاص!»

أفسح بذراعى مكاناً لى فى المقدمة.. هو أمامى الآن يملأ المكان كله.. أبهة وعظمة وكبرياء.. عمامة خضراء كبيرة معقودة على ياقوتة تلهب الأبصار بألوان الطيف.. وصدارى صفراء وبردية سوداء.. ووجه شامخ أبيض لونه.. تشويه حمرة العافية.. وفم حازم مطبق فى صمت.. وعينان تلمعان بقوة غامضة.. وذكاء بلا حدود وذقنه البيضاء المصنفة بعناية بالغة تضى عليه وقاراً فوق وقاره.. ولكنه

بدا متعباً مرهقاً.. عيناه تقولان إنه لم ينم ليلة بطولها!..

قلت فى نفسى: هذا الوجه ليس غريباً على.. أين شاهدته يا ربي؟..

أيقنت أنه لا فائدة حتى أتذكر وسط هذا الحشد من البشر.. أسعفتنى أحدهم
بالجواب: أتصدق ما يقول؟

قلت: ماذا يقول؟

قال: يقول إنه السلطان صلاح الدين!

صحت كمن لسعنى دبور أحمر شاردا: «معقول أن يكون هو.. صلاح الدين
الأيوبي..»

الآن تذكرت أين شاهدت هذه السحنة العظيمة مرسومة فى مجلدات
المستشرقين.. وكتب الأقدمين!

.....

.....

شمس الظهيرة تحاول أن تذكرنا بوجودها بإرسال شحنة من أشعتها
الساخنة.. وهو هادئ ساكن على دكة خشبية ملتصقة بسبيل الظاهر بيبرس..
انكبت عليه وأمسكت بيديه: «مرحباً بك يامولاي.. جئت إلينا حقاً بدمك
ولحمك؟»

نظر إلى برية: «أنت وحدك تصدقنى قل إذا تكل هؤلاء الخلق من أكون؟»

قلت: حاشا لله يامولاي..

قلتها وأنا ما زلت بين الشك واليقين.. لا خرجته من بين أيدى لا ترحم كبيراً ولا
صغيراً.. ولأعرف حقيقة أمره فى مكان قصى.. وأنقذه من بين برائن الدهماء
والمستكعين من الصبية أبناء الحارات وأولاد الإيه!

يقف الرجل أمامى.. فارغ الطول يطاول مثنونة جامع الحاكم بأمر الله التى
تطل علينا بظلمها الوارف.. ليس فيه وهو يمشى جرام واحد من الشحم.. ممشوق

القوام واثق الخطى كأنه صقر برى.. قال لى وهو ينظر إلى من أعلى كتفه اليمنى: إلى أين تقودنى يا هذا؟..

قلت: إلى مكان هادئ نتحدث فيه ونتناول شراباً مرتباً!

قال أمراً: إلى بحصانى؟..

وأتلقت حولى لأجد فى ركن ظليل حصاناً عربياً أصيلاً أشهب لونه.. كأنه السحاب بياضاً وطولاً ونضارة..

قلت: هذا الذى هناك؟..

قال: ومن غيره.. إنه البراق هذا هو اسمه؟..

بقفزة سريعة كان فوق البراق.. وهو يقول: هيا تقدمنى..

وتقدمته وأنا أمسك بلجام فرسه الأشهب.. كأنى واحد من حراسه..

أسمع خطوات نسائية مسرعة خلفى.. وتذكرت مع ندائها على بصوتها السكسونى الحاد.. إننى نسيت تماماً بات دوجان الصحفية الإنجليزية.. اقتربت منى والدهشة تصرخ فى عينيها..: ماذا يجرى هنا؟

قلت: كما ترين..

قالت: لا أفهم..

قلت: بعد لحظات ستفهمين كل شىء..

قالت: بل هذه اللحظة..

وأمسكت بيدي فتوقفت فى وسط الطريق.. وتوقف الحصان ومن فوقه السلطان.. ومن خلفه توقفت «أمة لا إله إلا الله» التى صنعت موكباً هائلاً من المارة وأهل المكان..

تنظر إلى بات دوجان وهى تضغط على أسنانها فى تصميم إنجليزى: لن تتحرك حتى تخبرنى!

قلت وقد تبادلنا مواقفنا أخذت منها البرود وأخذت منى العصبية: أبداً لقد
عشرت لك على سبق تاريخي لم تحلمي به فى حياتك.. سوف يهز العالم كله..
وإنجلترا بالذات بلد الملك ريتشارد قلب الأسد!

قالت وهى تتلفت حولها.. أين؟

قلت: أمامك بشحمه ولحمه.. السلطان صلاح الدين الأيوبي!..

قالت: هذا الذى يركب الحصان؟

قلت: ولم لا!

قالت دون وعى: أجننت يا رجل.. السلطان رحل عن الدنيا قبل أكثر من ٨٠٠
سنة!

قلت: أكمبيوتر أنت؟

قالت: ولا كمبيوتر ولا حاجة.. لقد درست تاريخه كله وأنا بعد صغيرة فى
المدارس بوصفه واحداً من أعظم أعدائنا!

توقفت لحظة.. ولمعت عينها الزرقاوان ببريق أخاذ ثم قالت: لقد خانك ذكاؤك
هذه المرة.. أريدك أن تسأل هذا الرجل القادم من قلب التاريخ.. لماذا هو هنا
على ظهر الدنيا مرة أخرى؟

اسكت.. عادت تلح: فقط اسأله: لن تخسر شيئاً!

التفت إلى السلطان وأنا أنظر إليه من تحت رقبة الحصان: مولاي.. لماذا نزلت
إلينا فى هذا الوقت بالذات؟

قال فى ثبات وثقة: أنتم فى أسوأ حال.. وأمة العرب أصبحت فى ذيل الأمم..
والإسلام قد دخل قفص الاتهام!

سألتى بات دوجان: ماذا قال؟..

قلت: قال إنه جاء لكى ينقذ العرب والإسلام مرة أخرى!

قاطعتنى قبل أن أكمل عبارتى وهى تقفز من فوق الأرض: لقد حصلت على
كنز تاريخى لا يقدر بثمن.. أقسم إن هذا الرجل هو حقاً السلطان صلاح الدين!
أخرجت الصحفية الإنجليزية القصيرة المكيرة كاميراتنا وشبعت تصويراً فى
السلطان وخلق الله من حوله.. كل واحد يتسابق ليظهر فى الصورة مع بطل
الفيلم راكب الحصان وعلى حد تعبير أحدهم «موش برضه لازم الواحد يظهر فى
الفيلم» وتسألنى سيدة تطل من نافذة قريبة: هو ده يابنى فريد شوقى والا
أحمد مظهر!

ويحرمنى الإجابة صبي صغير: «لا ياخالتي ده ممثل من بلاد بره جاى يمثل
دور مهراجا هندى فى مصر!»

.....

.....

انقذ السلطان هذه المرة من بين أيدي جمهور الترسو أو جمهور الحارة
المصرية.. عم محمد مجاهد المسئول عن بيت السحيمي، وهو قصر عربى رائع..
فتح لنا بوابة البيت العتيق الإطلالة الأخيرة على عصر المماليك.. ودخلنا إلى
صحن البيت.. الحصان الأشهب أخذوه إلى ركن ظليل فى الحديقة.. أما نحن
فقد انعقد بنا مجلس السلطان فى قاعة الاستقبال العربية جلس القائد العظيم
فوق كرسي مملوكى فى صدارة المجلس.. بينما افترشنا نحن سجادة عربية على
الأرض من حوله..

قلت للسلطان وهو بيرد جوفه بسطل من عصير القصب: إذأ.. أنت هنا على
الأرض يامولاي لكى تشاركنا همنا وغمنا العربى والإسلامى!

قال: أجل..

قلت: لكنك تأخرت علينا كثيراً يامولاي..

قال: لم أتأخر.. أنا هنا فى القاهرة منذ وقت ليس بالقليل..

قلت: وأين كنت إذأ؟

قال: لقد تهت فى شوارع القاهرة.. إنها ليست مدينة الطلائع التى جلست على عرشها يوماً!

ينظر إلى بعتاب شديد: عانيت الأمرين.. لا أحد يفهمنى.. لا أحد يصدقنى.. لا أحد حتى يريد أن يسمعنى.. ماذا جرى للخلق؟ كلما سألت إنساناً أين قلعتى التى بنيتها؟ ينظر إلى من أسفل إلى أعلى ويضحك.. ويتركنى إلى حال سبيله.. لقد تلطمت أسبوعاً بحاله فى «خانات» شارع كلوت بك!
قلت: وما الذى ألقى بك إلى هناك؟..

قال: لقد أخذونى إلى «الخان السلطان».. مادمت أنا سلطاناً.. وكاد يحدث ما لا تحمد عقباه عندما طالببنى صاحب الخان بأجر المبيت سبع ليال!
قلت: أنت سلطان المشرق والمغرب ولا تحمل مالأً أو حتى ذهباً!
قال: السلاطين يا هذا لا تحمل دنانير.. الدنانير لا يحملها إلا الرعية والأبوع من أمثالك!..

قلت: وماذا فعلت بحق السماء؟..

قال: لقد أنقذنى أولاد الحلال من برائن صاحب الخان بعد أن كان قد أمر أحد غلمانة بقوله «خذ ياواد ياشفيق ثقرزه فى الزنقور!»..
ماذا كان يعنى ياترى بهذه النقرزة الشعبية المصرية؟

كتمت ضحكة كادت تفلت منى وتفسد هيبة مجلس السلطان وقلت: الحمد لله.. أنك يامولاي قد أفلت من بين أيديهم.. ولم يحدث لك ما حدث لنجيب الريحانى فى فيلم سى عمر.. عندما سرقوا محفظته وهو نائم فى لوكاندة نوم العواضي!

.....

.....

طلب السلطان . أسف أمر السلطان . أن يتناول طعامه .. احترنا نحن الرعية
ماذا نقدم له؟

قال عم محمد المسئول عن بيت السحيمي وهو ابن بلد يعرف الأصول: لازم
للسلطان أكل ملوكي.. اسألوه ماذا يريد أن يأكل؟

سألناه..

قال: شواء الضأن.. وخلطة الأرز باللوز والجوز والصنوبر..

سألناه: والحلو؟..

قال: فالودج!..

فكرت لحظة في طلبات السلطان وقلت للحاضرين: حسب قراءاتي
التاريخية فإن ترجمة هذه الوجبة السلطانية بلغة عصرنا.. كباب مشوى.. وأرز
بالشعرية.. والحلو.. مهلبية أو أرز باللبن بالكريم كاراميل!

قال عم محمد: الكباب عند الحاتي اللي جوارنا.. والأرز والمهلبية.. اختصاص
زوجتي أميمة وابنتي منى!

والسلطان يلتهم بيديه قطعة بعد قطعة من كيلو كباب بحاله سألته: قل لي
يامولاي لماذا اخترت القاهرة بالذات.. لقد تأخرت كثيراً عن ذكرى مرور ٨٠٠ سنة
على انتصارك في معركة حطين التي حررت بها بيت المقدس.. رغم أنه في نفس
الوقت انعقدت مؤتمرات مماثلة في دمشق والكويت والقدس؟

قال: بلدكم أحب مكان في الدنيا إلى قلبي.. فيها رأيت شعبي وعشت
انتصاري، وفيها جلست لأول مرة على كرسى الحكم.. أول سلطان لمصر من قبل
السلطان العباسي في بغداد.. ثم تأتي بعدها القدس التي رفعت على ساريتها
راية الإسلام.. ولكنها الآن ليست بين أيدي مسلمة.. فلا أدخلها أبداً!

بات دوجان تشيع نهما في التهام الكباب وتصوير السلطان معاً..

يسألني السلطان: ما هذه الآلة الغريبة التي تلمع بالضوء في يد هذه الجارية

البيضاء؟

نظرت إلى الصحفية الإنجليزية وأنا أكتم ضحكة كادت تفلت من فمي في حضرة السلطان وقلت لها: السلطان يا عزيزتى يريد أن يضمك إلى حريمه بوصفك جارية شقراء من بلاد الفرنجة!

قالت والسعادة ترقص فى عينيها: وهل أعجب بى السلطان حقًا.. سأدخل التاريخ من أوسع أبوابه بوصفى مدام السلطان صلاح الدين، وهو لقب أنافس به الأميرة ديانا نفسها!

قلت: لا تفرحى كثيراً.. هو يريدك جارية من جواريه.. لا أكثر ولا أقل!
لوت بوزها الإنجليزي.. وأغلقت كاميرتها ووضعت همها فى التهام طبق الأرز باللبن!

انتبه إلى زعيق السلطان الذى يهتز له المكان: أترك هذه الآلة الشيطانية اللثيمة يا هذا وأجبنى على سؤالى؟

قلت: آسف يامولاي.. تقصد هذه الآلة الغريبة.. إنها آلة تصوير.. تلتقط ما تراه أمامها بلمسة إصبع..

قال فى دهشة: أى صور تقصد؟

قلت: مثل الصور المرسومة.. بل أنها صورة طبق الأصل من أى شىء تصوره.. إنسان.. شجرة.. بيت.. نهر.. قطة!

قال: عجباً.. أرونى صورى إذأ؟

قلت: بعد أن يتم طبع الفيلم..

قال: متى؟

قلت: بعد أن نفرغ من جلستنا هنا!

تهرع إليه بات دوجان بصور جميلة لها من أيام الثانوى.. ينظر إليها السلطان فى عجب شديد.. وعيناه طالعة نازلة بين الصورة والأصل ثم يقول لها: ليست أنت.. ربما تكون أختك الصغرى أو ابنتك!

تلقت إلى بات دوجان تسألني: ماذا قال ياترى؟..

قلت وأنا لا أريد أن أكسر بخاطرها.. قال إن الأصل أجمل كثيراً من الصورة!

انشرحت أسارير الصحفية الإنجليزية واحمر وجهها أكثر وأكثر..

.....

.....

ساعة العصارى في بيت السحيمي تحت خميلة من كرم العنب والجوافة واليوسفى انتقل السلطان بمجلسه المصرى الإنجليزي.. طلب نارجيلة وقهوة عربية.. جلس عم محمد تحت قدميه يجهزها بالتونباك الفاخر.. بينما انشغلت ابنته منى فى إعداد فناجين القهوة العربى..

قلت له وقد ارتاح وجهه وباله: ماذا تريد أن تقول أمام المؤتمر الذى تبارى فيه المتحدثون عن انتصارك التاريخى؟

قال وهالة من دخان النارجيلة تحيط بوجهه: جئت أصحح وقائع تاريخية غير صحيحة.. وأضيف حقائق أخرى لم يعرفها أحد!

قلت: عن معركة حطين أم عنك شخصياً يامولاي؟..

قال: الاثنان معاً!

قلت وأنا أخرج أوراقى وأقلامى: هأنذا أسجل ما تريد قوله!

التفت إلى كأنه يشاهدنى لأول مرة: ومن أنت يا هذا؟

قلت وأنا أكاد أرثى لحالى: من أنا.. وكل هذه العشرة وهذه الصحبة وهذه

الرفقة وهذا الحوار بيننا؟

قال: أنا لم أقابلك إلا منذ بضع ساعات!

قلت: أنا صحفى يامولاي!..

قال: لم أسألك عن اسمك.. سألتك عن مهنتك؟

قلت: إنها مهنتى يامولاي.. وهى مهنة مهمتها نشر الأخبار ومايهم أن يعرفه الناس فى دنياهم وتوجيههم إلى الوجهة الصحيحة..

قال: وهل تذهب أنت وأمثالك إلى الأسواق العامة وإلى قصور الملوك والحكام لتقص عليهم الأخبار والروايات والقصص مثل الراوى وشاعر الرماية؟

قلت: بل الحكام والوزراء هم الرواة الآن ونحن الذين نكتب ما يقولون.. الخبر والرأى والتحقيق فى الصحيفة التى تطبع وتوزع على الناس كل صباح فى مصر والخارج لقاء قروش قليلة..!

قال: آه يازمان العجب.. لقد انقلب الحال.. وأصبح الملوك والسلاطين هم الرواة.. وأنتم تستمعون وتكتبون.. عندكم إذا جيش من الكتبة والنساخين!

قلت: بل عندنا مطابع حديثة تدار بالكهرباء والكمبيوتر وتطبع مليون نسخة فى الساعة وما على الإنسان إلا أن يشرف على كل شئ من خلال شاشة تليفزيونية.. وهو نظيف خفيف ظريف!

قال وهو يضرب كفاً على كف: حديثك عجيب يا هذا.. لا أصدق حتى أرى بعينى!

وضعت أمام عينيه نسخاً من الصحف اليومية.. تصفحها بين يديه بينما تابعت كلامى إليه: هذا لا يكفى سوف أصحبك فى رحلة إلى دارى الصحفية لتشاهد كيف تخرج الصحيفة إلى الوجود كل يوم، وتشاهد كيف نطبع صحيفتنا فى لندن ونيويورك عن طريق القمر الصناعى.. وهو قمر أرسله الإنسان إلى الفضاء وليس مثل القمر الذى تعرفه!

وضع السلطان الصحف جانباً وسألنى بعد أن اطمأن إلى أكثر: وهل كتبتم عن ذكرى مرور ٨٠٠ سنة على موقعة حطين؟

قلت: بالقطع..

فتحت أمامه صفحات الصحف التى تحدثت عن انتصاره العظيم.. فضيلة شيخ الأزهر والبابا شنودة وكبار كتاب ومفكرى مصر..

قال: وماذا قالوا؟..

قلت: قالوا إن هذا النصر الإسلامى الكبير جاء بفضل وحدة الصف العربى أولاً: ثم إلى الخطة العسكرية العبقريّة التي قدت بها يامولاي المعركة..

قال: لقد نسوا شيئاً مهماً!

قلت: ماذا؟

قال: روح الإسلام والدفاع عن دين الله ضد البرابرة الغزاة الذين جاءوا من أجل هدف واحد هو كسر صرح الإسلام إلى الأبد..

هل تتصور أن أحد قادتهم وهو الملك عامورى ملك بيت المقدس أراد أن يهدم قبر النبى ويقوض أركان الكعبة لولا أن قضى عمى شيركوه على حملته قبل أن تدخل أرض النبوة!

قلت: هذه واحدة.. وماذا عن الأخطاء التي كنت تريد أن تتحدث عنها والحقائق التاريخية التي كنت ستكشف النقاب عنها؟

قال: الثانية إننى جمعت كل الخيوط بين يدي.. وحدت بلاد المسلمين ووحدت المذاهب الإسلامية الأربعة فى مذهب واحد هو المذهب السننى بعد أن قضيت على الشيعة التي قدم بها الفاطميون.. ووحدت الجيوش العربيّة.. نعم كلها من الفرات إلى النيل فى جيش واحد تحت قيادة شخص واحد هو أنا..

يسكت لحظة ثم راح يتابع حديثه التاريخى وأنا أكتب كل كلمة تخرج من فمه: لقد أحزننى كثيراً أن عدداً من المؤرخين قالوا عنى إننى لست عربياً.. ومن أنا إذاً.. سلطان العرب وحامى حمى الإسلام.. ومحطم أسطورة الصليبيين وقاتح بيت المقدس.. والجالس على عرش مصر العربيّة؟

يطلب السلطان ناراً للنارجيلة التي انطفأت وينظر إلىّ وهو يقول: اكتب يا هذا.. عن تجربة سلطان المشرق والمغرب.. إذا أرادت أمة العرب أن تعيش فى سلام دائم عليها أولاً أن تتمسك بأهداب القوة.. عليها أن تكون أقوى قوة فى المنطقة وسوف يأتيها السلام طواعية واختياراً. فليس هناك سلام بدون قوة..

وان احتلال الأراضى لا يقضى أبداً على الأمم العظيمة.. فوقوا وقوموا وقاوموا ..
فالقوة تحمى السلام وتصنعه وتدافع عنه .

أقاطعه: وماذا يقضى عليه إذًا؟..

قال: احتلال إرادة الشعوب لاتدع أحداً يحتل إرادتك أو يملى عليك قرارك..
امسك أنت بالمبادرة بين يديك وبوحدة الهدف تتصر دائماً!

تحرير الإرادة.. قبل تحرير الأرض.

لم أقاطعه وهو يتابع حديثه للحقيقة والتاريخ: لقد حررت القدس من أيدي
الصليبيين فى عام ١١٨٧ بعد احتلال دام ٩٠ عاماً لها.. لولا وحدتنا وتحرر
إرادتنا لم نحقق المعجزة العسكرية الإسلامية!

قلت: ولكن الصليبيين احتلوها بعد ذلك لمدة ٥٧ عاماً.. حتى حررها مرة
أخرى حفيدك الملك الصالح أيوب فى عام ١٢٤٤!

ولكن.. ما الذى دفعك إلى تحرير القدس؟

قال فى دهشة: هذا سؤال غريب.. الذى دفعنى ياهذا هو ما قاله أمراء
الصليبيين عندما احتلوا القدس فى رسالتهم إلى البابا أوربان الثانى: «إن خيلنا
تخوض فى دم المسلمين إلى ركبها!»..

قلت: العالم كله تحدث عن عبقريتك العسكرية.. ترى كيف حققت النصر يوم
حطين؟

قال: النصر من عند الله وحده.. لا أريد أن أدخلك فى متاهات تفاصيل
المعركة فهى تحتاج إلى أيام أحدثك فيها عنها.. ولكن باتحاد جيوش المسلمين
انتصرنا على جيوش الدول الصليبية الغازية كلها، وخسر العدو ٣٠ ألف قتيل
و ٣٠ ألف أسير.. وفر الباقون على غير هدى فى الصحارى والقفار!..

قلت: وماذا فعلت بالملوك والأمراء التسعة الذين وقعوا أسرى بين يديك؟

قال: مطلبت من كل أسير أن يعترف بربه بدخول الإسلام.. والذين رفضوا دفعوا
الفدية ورحلوا.. ولم أقتل إلا واحداً فقد كانت هوايته تعذيب المسلمين..

قلت: من هو؟..

قال: الأمير أرناط المعروف باسم رينو السفاح صاحب حصن الكرك.. قتلته
بيدى.. فى معركة شريفة بالسيف.. جزاء قتله حجاج بيت الله وهم راعون
للصلاة!

قلت: ومن قتلت بيديك أيضاً؟

قال: شاور الوزير المصرى الذى خاننى وتحالف مع الصليبيين من وراء ظهرى!
تريت دوجان على كتفى طالبة منى أن أسأله: هل حقاً قام من مقعده بعد
النصر الكبير عندما دخل طابور الملوك والأمراء الأسرى عليه خيمته وسقى بيده
الملك جان لوزنجان؟

قرأت سؤاله عليه..

قال السلطان: هذا صحيح.. كيف عرفتم؟

قلت: ذكره المستشرقون ومؤرخو الفرنجة!

تعود الصحفية الإنجليزية لتطلب منى أن أسأله: هل حقاً ذهب إلى بيت
المقدس متخفياً لى يعالج الملك ريتشارد قلب الأسد عندما علم بمرضه وإصابته
بسهم مجهول؟

قال السلطان: أنا أعرف بعضاً من لغتها التى كنت أسمعها فى تعاملى مع
الفرنجة.. ولكنى لا أتكلم إلا لغة القرآن الكريم.. قل لها.. لقد ذهبت بالفعل إلى
بيت المقدس ودأوت الملك ريتشارد.. ولقد كان قائداً عظيماً وإنساناً عظيماً
أيضاً!

قلت: اسمح لى يامولاي ، لا يعرف أحد ماذا فعلت بالأسرى المسيحيين فى
القدس عندما دخلتها؟

قال كأنه قادم الساعة من القدس: كانت شروطى للتسليم.. أن يدفع كل قاصر
من الرجال ١٠ قطع ذهبية لى يصبح حراً.. وكل امرأتين تدفعان فدية رجل
واحد وكل ١٠ أطفال يدفعون فدية رجل..

قلت: والفقراء منهم؟

قال: لم أنساهم كل ٧ آلاف منهم يدفع لهم ٣٠ ألف درهم من بقايا خزائن الملك هنرى ملك إنجلترا التي كانت مخبأة في بيوت فرسان الهوسبتاليين.. ثم طلب منى أخى العادل أن أمنحه ألف فقير لكى يعتقهم لوجه الله.. ثم أمرت حراسى أن يعلنوا بعد ٤٠ يوماً فى المدينة أنتى قد أمرت بإخلاء سبيل كل فقراء أوروبا المسيحيين الذين لم يدفعوا الفدية!

.....

.....

أمر السلطان وأوامر السلاطين لاترد.. أن يشاهد قلعته واقترحت الصحفية الإنجليزية أن تتسلل تحت جناح الليل الأسود «ولا من شاف ولا من درى» عندما شاهد السلطان سيارة بات دوجان الصغيرة الحمراء.. قال لنا: ما هذا الشيطان الأحمر الصغير الذى لا يقوده حصان؟

وعبئاً حاولنا إقتاعه بركوب السيارة التى ستحملة إلى هناك فى دقائق إلا أنه أصر على ركوب حصانه البراق.. وكحل وسط ركبنا حنطوراً يجره حصان لا تعرف أهو أحمر لونه أم أسود أم أغبر.. وتهادى بنا الحنطور.. السلطان إلى جواره جاريته البيضاء.. آسف أقصد بات دوجان.. وأنا أمامه.. سألنى السلطان: ما هذا الزحام الذى يخنق القاهرة الآن؟

قلت: زحام ١٢ مليون إنسان..

قال: فى مصر كلها؟

قلت: بل القاهرة وحدها.. ومصر ٥٠ مليوناً..

ملحوظة: الأرقام كانت أيام كتابة هذا الحوار السلطانى قبل نحو ربع قرن!
قال قاغرا فاه: ياه كيف تطعمون كل هذا الخلق.. لقد كان سكان مصر كلها على عهدى لا يتجاوزون ثلاثة ملايين إنسان.. أما سكان المدن أقصد الطلائع والفسطاط فكانوا أقل من المليون بكثير!

رحنا نتمشى فى دروب ودهاليز وأبراج قلعة صلاح الدين.. فهو صاحبها وبانيها.. قال لى والانبهار آية على وجهه: ما هذا؟.. ليست هذه قلعتى.. لقد عددت حتى الآن ٣٦ برجاً وجامعاً كبيراً .. على أيامى كان هناك برج واحد وجامع قصير القامة وعلى منبره أعلنوا مذهب السنة وأنهوا مذهب الشيعة من مصر إلى الأبد!

تعلقت عينا السلطان ببرج القاهرة الذى يلمع بالضياء على البعد وسأل:
ما هذا؟

قلت: إنه برج القاهرة.

قال: أهو مسلة من مسلات الفراعين؟

قلت: بل هو شعار العاصمة يضم متحفاً ومطعماً دائرياً..

قال: هيا نزوره.

قلت: الوقت متأخر يامولاي الصباح رباح!

تلقت السلطان وسألنى: ولكن أين ساحة الفرسان؟

قلت: آية ساحة؟

قال: التى يتدرب فيها الفرسان على الحرب!

قلت: الحرب الآن يامولاي غير الحرب التى تعرفها.. لقد انتهى زمان الفارس الذى ينازل الفارس بالسيف والدرع والرمح على مشهد من الجميع.. الفارس الآن يجلس داخل كابينة مغلقة مصفحة يضغط على زرار أحمر يقتل على البعد ألف جندى من جنود العدو. الحرب الآن من خلف الأبواب المغلقة.. حرب بالطائرات الأسرع من الصوت والبوارج والمدافع والصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ عابرة القارات.. وصواريخ ضد الصواريخ.. وقنابل ذرية تمحو مدينة بأسرها.. وقنابل تستطيع أن تدمر الدنيا ومن عليها ١٠ مرات متتالية!

رحنا نتمشى فى دروب ودهاليز وأبراج قلعة صلاح الدين.. فهو صاحبها وبانيها.. قال لى والانبهار آية على وجهه: ما هذا؟.. ليست هذه قلعتى.. لقد عددت حتى الآن ٢٦ برجاً وجامعاً كبيراً .. على أيامى كان هناك برج واحد وجامع قصير القامة وعلى منبره أعلنوا مذهب السنة وأنهوا مذهب الشيعة من مصر إلى الأبد!

تعلقت عينا السلطان ببرج القاهرة الذى يلمع بالضياء على البعد وسأل:
ما هذا؟

قلت: إنه برج القاهرة.

قال: أهو مسلة من مسلات الفراعين؟

قلت: بل هو شعار العاصمة يضم متحفاً ومطعماً دائرياً..

قال: هيا نزوره.

قلت: الوقت متأخر يامولاي الصباح رباح!

تلقت السلطان وسألنى: ولكن أين ساحة الفرسان؟

قلت: أية ساحة؟

قال: التى يتدرب فيها الفرسان على الحرب!

قلت: الحرب الآن يامولاي غير الحرب التى تعرفها.. لقد انتهى زمان الفارس الذى ينازل الفارس بالسيف والدرع والرمح على مشهد من الجميع.. الفارس الآن يجلس داخل كابينة مغلقة مصفحة يضغط على زرار أحمر يقتل على البعد ألف جندى من جنود العدو. الحرب الآن من خلف الأبواب المغلقة.. حرب بالطائرات الأسرع من الصوت والبوارج والمدافع والصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ عابرة القارات.. وصواريخ ضد الصواريخ.. وقنابل ذرية تمحو مدينة بأسرها.. وقنابل تستطيع أن تدمر الدنيا ومن عليها ١٠ مرات متتالية!

قطب جبينه وقال: أنتم وحوش ولستم بشراً.. أين الشجاعة والإقدام وأخلاق
الفرسان؟

قلت: ذهبت إلى غير رجعة؟

.....

.....

والليل ستار العاشقين والمتسللين فى الظلام.. طلبت منى بات دوجان أن أسأل
السلطان: هل حقاً تزوج من أخت الملك ريتشارد قلب الأسد أثناء مفاوضات
الصلح كما قال المؤرخ الإنجليزي ستيفان نسيمان؟

قال السلطان: الذى حدث أن الملك ريتشارد قلب الأسد طلب أن يتزوج شقيقى
الملك العادل من الملكة جوانا شقيقة ريتشارد، وأن يصبح ملكاً على فلسطين كلها
بعد أن انسحب أنا بجيوشى وينسحب ريتشارد بجيوشه وتصبح فلسطين دولة
مصاهرة بين الإسلام والمسيحية!

قلت: ماذا حدث إذًا؟

قال: لم ترحب الملكة جوانا بالعرض وتردد الملك العادل فقدم ريتشارد ابنة
أخته بدلاً منها ولكن كل شيء توقف.. وانتهى بتوقيع الصلح النهائى فى ٢
سبتمبر ١١٩٢ بعد ٥ سنوات من معركة حطين!

قلت: أه لو تحقق ذلك.. لتغير وجه التاريخ!

مال السلطان على أذنى قائلاً: أريد أن أقابل رئيسكم حسنى مبارك؟

قلت: لماذا؟

قال: لقد شاهدت مالم أشاهده فى حياتى من «بايعات الشعب المصرى له..
بعد الحادث الجلل الذى أودى بحياتى رئيسكم البطل أنور السادات!

قلت: لو عرف الرئيس أنك هنا بيننا.. سيوافق على الفور على مقابلتك..

ولكن السؤال من يقول له؟

قال: أنت!

قلت: الصباح رياح!

.....

.....

يجتمعنا بيت السحيمي مرة أخرى.. آثرت أن يبيت ليلته هنا بعيداً عن الأعين والأنوف المتلصصة.. وخوفاً على هذا الكنز التاريخي الذي أرسله الله إلينا.

قلت له: تعال نتفرج على مباراة كرة قدم فى التلفزيون. يسألنى أى تلفزيون هذا؟

قلت: هو شرح يطول.. ولكنه جهاز ينقل إليك صورة الأحداث ساعة وقوعها كأنك تشاهدها فى مكانها!

قال: هذه ، والله هى إحدى علامات الساعة..!

أخذت بات دوجان من يدها إلى فندقها بعد أن أوصيت عم محمد على حراسة السلطان حتى تشرق الشمس وألا يتركه لحظة واحدة.

لم أنم ليلتها بعد أن وصل الخبر إلى الدكتور ممدوح البلتاجى رئيس هيئة الاستعلامات وقتها الذى راح يجمع كل مراسلى الصحف والإذاعات ومحطات التلفزيون العالمية فى القاهرة: ليذهبوا معى فى الصباح إلى بيت السحيمي؛ حيث تنتظرهم كبرى مفاجآت العمر الصحفية كما أخبرهم هو بها دون كشف السرا..

فى الصباح امتلأ صحن بيت السحيمي بهم.. كل كاميرات التلفزيونات العربية والعالمية.. ولا أحد منهم يعرف ماذا يجرى هنا؟

طرقت على الباب بيدي.. لم يجب أحد.. فتحت الباب.. وجدت سريره كما هو لم ينم عليه أحد ليلة أمس..

سألت عم محمد: أين السلطان؟

قال: أنا هنا نائم على كنية أمام باب حجرته لم أفارقها طوال الليل..

قلت: طيب أين حصانة البراق؟..

قال: في الحديقة كما تركناه!

هرعت إلى هناك.. لم أجد لحصانه أثراً.. أسقطت في يدي وأنظار العالم من خلال مراسلي الصحف والتليفزيونات العالمية تلاحقني.. انتبهت فجأة.. أتلفت باحثاً عن بات دوجان.. صحت فيها: إلى بأفلامك التي التقطتها بالأمس بسسلطان صلاح الدين.. قال المراسلون في صوت رجل واحد: صلاح الدين الأيوبي.. كان هنا.. لقد كنت تحلم يارجل!

.....

.....

انفض، السامر - عسى خيبة أمل كبيرة..

في معمل تصوير الأهرام: وقفنا ننتظر تحميض وطبع الأفلام التي صورتها بات دوجان لألقن كل متشكك مرتاب من جيش الصحفيين حجراً في فمه!
يخرج أنطون البير مصور الأهرام الكبير بعد نصف ساعة وفي يديه الأفلام كلها.. بيضاء من غير سوء.. وتسقط بات دوجان على الأرض مغشياً عليها! ■



أجمل قصة حب فى التاريخ!

منذ فجر الخليقة والمصرى والمصرية يزرعان ويقلعان ويرويان ويحصدان وبينان أعظم حضارة عرفها الإنسان.. يبدأ بيد وكتفًا بكتف وخطوة بخطوة وقلبًا بقلب وحبًا بحب، أدفأ عش يجمعهما معاً.. عش زرعا فيه نباتاً حسناً طيباً فتحوا به العالم كله.. علماً ونوراً وأدباً وفتناً ومعرفةً ودينياً.

لقد كان الإنسان المصرى هو أول من عبد الله على وجه الأرض، وأول من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. آمن الرجل المصرى وآمنت المرأة المصرية.. وعاشا معاً ينسجان أول قوانين عرفتها الدنيا للعلاقة الزوجية المقدسة.. كان هناك دين.. وكان هناك قانون يحكم العلاقة بينهما بالحسنى والطيب والرافة والرحمة.. لا يفرق بين أحدهما إلا بالتقوى. الاثنان سواسية أمام الرب.. وأمام الخلق.. ولا يوجد شعب فى هذه الدنيا قديماً أو حديثاً كرم المرأة كما كرمها ورفعها احتراماً وإجلالاً وحباً مثل الشعب المصرى.

راسمعو وتأملوا واقربوا معنى ما قاله الحكيم بتاح حتب الذى رفعه المصريون القدماء إلى مرتبة الأنبياء والرسل قبل نحو خمسة وأربعين قرناً من الزمان..
يوصى الرجل بالمرأة:

→ ليست هناك قصة حب أجمل وأروع من قصة حب المصرى والمصرية.

فإذا أردت الحكمة فأحب شريكة حياتك.. اعتن بها ترعى بيتك.. قريبا من قلبك فقد جعلها الإله توعماً لحياتك.. زودها بكسوتها ووسائل زينتها وزهورها المفضلة.. وعطرها المفضل.. كل ذلك سينعكس على بيتك ويعطر حياتك ويضيئها.. اعمل على سعادتها، ففى سعادتها سعادتك وسعادة قلبك.. حافظ عليها مادمت حياً، فهى هبة الإله الذى استجاب لدعائك.. فانعم بها ولا تفرط بالنعمة التى وهبها الله لك..

لن تحافظ عليها بالقسوة والطفیان.. بل ستأثرها بالحنان.. فالمعاملة الحسنة تفعل أكثر من القوة.

حس بالأمها قبل أن تتألم.. وبجوعها قبل أن تجوع.. إنها تعيش فى أنفاسك.. وفى نظرك.. وفى جسدك.. إنها أم أولادك.. إذا أسعدتها أسعدتهم وفى رعايتها رعايتهم.. إنها أمانة فى يدك وقلبك.. فأنت مسئول عنها أمام الإله الأعظم الذى أقسمت فى محرابه أن تكون أماً وأباً وشريكاً لحياتها.

ولقد كان المصريون أول من وضعوا تشريعات للزواج عرفتها الإنسانية كملاحة مبدئية وشرعية، يوركن من أركان العقيدة.. كان لها الفضل فى بناء المجتمع المصرى الحضارى منذ فجر التاريخ.

وهكذا تساوت المرأة حسب العقيدة، مع الرجل فى حمل الرسالات.. فكان عدد المعبودين من الرجال مساوياً لعدد المعبودات من النساء.

وكما يقول بلاكمان ايلوارد فى كتابه المرأة فى المعابد الفرعونية: إن المرأة تبعاً لمركزها فى العقيدة ومساواة الآلهة بالإلهات فى الخلق والتكوين وأركان الشريعة، ما جعلها تتبوأ أكبر المراكز الدينية. فألقاب الكاهنات لم تكن ألقاباً شرفية، بل كانت ملازمة لوظائفهن الكهنوتية، وكان منهن مغنيات الإله وعازفات الآلات وراقصات المعبد والمساعدات فى الحفلات الجنائزية.. وكن يشاركن فى الطقوس والشعائر والحفلات الدينية بإلقاء الأناشيد والتراتيل وهز الصلاصل ودق الدفوف.. كما تخصصن فى علوم المعرفة السرية بالمعابد، واشتغلن بعلوم الطب والفلك والتنجيم.

إن العقيدة الفرعونية التي لم تغفل دور المرأة ومساواتها بالرجل فى رسالة الحياة كما يقول الدكتور سيد كريم وضعت أول تشريعات دينية تحفظ للمرأة حقوقها بقوة قوانين السماء والتي كان لها الفضل فى بناء المجتمع الفرعونى القديم، وأول تلك التشريعات وأعظمها فى خدمة البشرية جمعاء، تشريع الزواج أو الرباط المقدس.. وضعوا تشاريع نصوصه وقواعده وما ارتبط به من حقوق وواجبات والتزامات بدأت مع فجر الحضارة، وانتقلت من مصر إلى مختلف العقائد والأديان والشرائع التي ظهرت فى العالم، ووضعت أسس حقوق المرأة عند مختلف الشعوب.

وإذا كانت المرأة المصرية تريد الآن الخروج من سجن الرجل كما تزعم كارها له أو ناقمة عليه أو مضطهدة منه.. فإن جدتها قد عاشت عبر قرون طويلة من الزمان فى حرية ومساواة والتزام بواجباتها الزوجية والشرعية.. فإن أول تشريع فى هذه الدنيا يحكم حياة المرأة والرجل خرج من مصر..

تعالوا نفتح ملف المرأة قبل ٤٥ قرناً..

كيف كانت تختار زوجها؟

كيف كانت تعيش فى بيتها؟

هل كان لها كلمة ورأى؟

وكيف كانت تتفصل عن زوجها إذا أرادت؟.. وما أحكام الطلاق ونفقة الأولاد؟

وهل كان لها وثيقة زواج يكتب فيها كل شىء؟

وهل كانت هناك محاكم تلجأ إليها؟

وهل كانت فى النهاية مساوية للرجل تماماً فى الحقوق والواجبات؟

.....

.....

الجواب لكل هذه الأسئلة للدكتور محمود سلام زناتى أستاذ تاريخ وفلسفة القانون.. هو يقول: لقد تمتعت المرأة فى مصر الفرعونية باسمى وضع اجتماعى وقانونى تمتعت به المرأة فى الحضارات القديمة، بل حتى فى المجتمعات الحديثة.. وكانت فى ذلك العصر أقرب ما تكون مساواة بالرجل.

وقد أدرك المؤرخون القدامى هذه الحقيقة، عن طريق ما لاحظوه وعينوه، كما انتهى إليها الباحثون المحدثون نتيجة أبحاثهم ودراساتهم.

لقد لاحظ المؤرخون القدامى ما كان عليه وضع المرأة المصرية من سمو بالمقارنة بوضعها لدى الشعوب الأخرى، وما كانت تتمتع به من مساواة تكاد تكون مطلقة بينها وبين الرجل. وقد جنح بعضهم إلى المبالغة فصوروا الرجل خاضعاً كل الخضوع للمرأة فعلى سبيل المثال يقول المؤرخ الإغريقى هيرودوت (الذى زار مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد) إن النساء عند المصريين يذهبن إلى الأسواق ويمارسن التجارة أما الرجال فيبقون فى البيوت وينسجون.

فهذا القول رغم ما فيه من مبالغة مقصودة من المؤرخ لإتحاف قرائه بمعلومات طريفة عن المصريين وعاداتهم، يشكل دليلاً على ما كانت تتمتع به المرأة المصرية من حرية فى الخروج والاختلاط بالرجال ومن أهلية فى ممارسة التصرفات القانونية والاشتغال بالتجارة.

كذلك يقول مؤرخ إغريقى آخر وهو ديودور الصقلى - الذى عاش فى مصر خلال القرن الأول قبل الميلاد قرب نهاية العصر البطلمى - : إن العرف جرى عند المصريين بأن يكون للملكة من القوة والمجد أكثر مما للملك. وأن يكون للمرأة من سواد الناس حق القوامة على زوجها. ويتعهد العريس فى العقد الذى يبرم بشأن المهر بأن يكون مطيعاً لعروسه فى جميع الأمور.

وهذا القول من جانب ديودور الصقلى ينطوى بدوره، كما هو واضح على قدر غير قليل من المبالغة. ولعل الذى حملة على هذه المبالغة هو الوضع الرقيق الذى كانت تتمتع به المرأة المصرية فى زمنه بالمقارنة بالوضع المتدننى الذى كانت تحته المرأة لدى الإغريق وغيرهم من الشعوب المعاصرة.

ويجمع الباحثون المحدثون على أن المرأة تمتعت في العصر الفرعوني بوضع اجتماعي وقانوني لم تتمتع به المرأة في أية حضارة قديمة أخرى، بل إن منهم من ذهب إلى أن وضع المرأة المصرية الفرعونية كان أسمر حتى من وضعها في المجتمعات الحديثة المعاصرة.

يقول الباحث الفرنسي باتوريه Paturet في رسالته للدكتوراه عن الوضع القانوني للمرأة في مصر القديمة، والتي نشرت في كل الشعوب القديمة، في الغرب كما في الشرق يبدو أنها اجتمعت حول فكرة: واحدة: أن تجعل من المرأة كائنًا أدنى من الناحية القانونية. أما مصر فإنها تعرض لنا منظرًا جد مختلف. فنحن نجد فيها المرأة مساوية للرجل من الناحية القانونية، لها نفس الحقوق وتعامل بنفس الكيفية... ولم تكن سلطة المرأة في مصر تستند إلى فكرة الأم، وإنما كانت تستند كلية إلى فكرة المرأة.. وكل الآثار القانونية تثبت ذلك. فعندما نتجول في قاع متحف اللوفر أو في المتاحف المصرية الأخرى، نشاهد. وذلك في الأسرات الأولى. المرأة جالسة على قدم المساواة مع الرجل. فالزوجة تجلس على نفس المقعد والمرأة مساوية للرجل Nebtpa الذي يجلس عليه زوجها، وهي تدعى ربة البيت داخل الأسرة وخارجها، وهي تتمتع بأهلية قانونية كاملة بمجرد بلوغها سن الرشد، ويقول ماسبيررو: المرأة المصرية من الطبقة الدنيا والمتوسطة أكثر احتراماً وأكثر استقلالاً من أية امرأة أخرى في العالم:

ويقول ماكس ماير: لم يكفل أي شعب، قديم أو حديث، للمرأة مركزاً قانونياً مماثلاً في سموه لما كفله لها سكان وادي النيل.

وتصف باحثة فرنسية المساواة بين الجنسين في مصر الفرعونية فتقول هكذا كانت المرأة المصرية تبدو مواطنة سعيدة في بلد يبدو المساواة بين الجنسين فيه كانت منذ القدم أمراً طبيعياً تماماً، وتمتد جذورها إلى أعماق الأعماق... لقد رسخت جذور هذه المساواة بين الجنسين! العادات والتقاليد السائدة بين أهالي وادي النيل، حتى أن نفس الاسم كان من الممكن أن يطلق على المرأة أو الرجل على حد سواء، دون تمييز. وهكذا كانت مصر في نطاق العصور القديمة، البلد الوحيد الذي خصص فعلاً للمرأة وضعاً قانونياً يتساوى مع الرجل ويبدو واضحاً

دون أى غموض، طوال فترة حكم الدولة القديمة كلها، ويتم بوضوح ساطع، خلال الدولة الحديثة.

وفى موضع آخر من كتابها عن المرأة الفرعونية تقول نفس الباحثة:

تعتبر المكانة الخاصة للمرأة، فى نطاق المجتمع المصرى بمثابة أحد مظاهر الحضارة التى عرفت كيف تجعل من الأم ومن الزوج والابنة رمزاً لأكمل مظاهر المساواة فى إطار أكثر الفروق منطقية وإقناعاً.

وهو حال كانت الدول الأوروبية فى أوائل القرن العشرين من عدة نواح بعيدة عنه كل البعد.

قلت: وماذا عن وضع المرأة الاجتماعى وموقف حكماء مصر من المرأة، وموقف المصريين من ولادة الأنثى، وتعليمها، وسفور المرأة واختلاط الجنسين؟

يقول د . مسلم زنتانى:

أولاً: موقف حكماء مصر من المرأة:

سعدت مصر، خلال مراحل العصر الفرعونى المختلفة، بطائفة من العقلاء والحكماء، الذين أطالوا التأمل فى أحوال مجتمعهم، وانتهوا بثاقب فكرهم وسديد رأيهم، إلى مجموعة من النصائح القيمة والحكم الغالية، التى تصلح لكل زمان وتتنفع فى كل مكان.

كما يقول د . سيد كرم فى كتابه الحكم والأمثال فى الأدب الفرعونى:

(١) لقد سوى الإله بين الرجل والمرأة فى مسئولية كل منهما نحو الآخر ونحو المجتمع.

(٢) المرأة رسالة السماء إلى الأرض لاستمرار معجزة الخلق ودوامها.

(٣) إذا علمت رجلاً فإنك علمت فرداً، وإذا علمت امرأة فإنك علمت أسرة.

(٤) الأم هبة الإله، ضاعف لها العطاء فقد أعطتك كل حنانها، ضاعف لها الغذاء فقد غذتك من عصارة جسدها . احملها فى شيخوختها فقد حملتك فى

طفولتك. أذكرها دائماً فى صلاتك وفى دعائك للإله الأعظم. فكلما تذكرتها تذكرتك وبذلك ترضى الإله. فرضاؤه يأتى من رضاها عنك.

(5) امرأة بلا ثقافة كسفينة بغير مرشد تسير على غير هدى، كما تسوقها الريح أو يجرفها التيار.

(٦) إذا مات الأب هتفت الملائكة مات من كان يحترمك الناس من أجله. وإذا ماتت الأم هتفت الملائكة ماتت من كان يكرمك الإله من أجلها.

(٧) الزوجان وتران مشدودان على قيثاره واحدة، يجب أن يكونا منسجمين، حتى لا يتطرق النشاز إلى لحن حياتهما.

ويقول بنتاج حتب مثلاً، أحد حكماء الدولة القديمة، والذي كان وزيراً لأحد ملوك الأسرة الخامسة وهو ينصح الزوج بما ينبغى أن تكون عليه علاقته بزوجه. إذا كنت حكيماً اعتن ببيتك. أحبب زوجتك حباً نقياً، أملاً بطنها (بالطعام)، وغط ظهرها (بالكساء) تلك هى وجوه العناية اللازمة لجسدها. لاطفها وحقق رغباتها فى أثناء حياتك، إنه صنيع حسن يشرف صاحبه. لا تكن فظاً فالرقة سوف تؤثر (عليها) أفضل مما تفعل الشدة ذلك هو ما تتطلع إليه، وما تؤمل فيه، ما تهتم به. إن (هذه الأمور) هى التى تصنع الاستقرار فى البيت، إذا أنت صدت عنها، فتلك إساءة. افتح ذراعيك، واطهر لها حبك.

وينصح آنى، وهو أحد حكماء الدولة الحديثة، الزوج بأن يلتزم جانب اللين فى معاملته لزوجته. فيقول: لا تكن فظاً نحو المرأة فى بيتها، عندما تعرف أنه حسن الترتيب. لا تقل لها: أين ذلك الشيء؟ أحضره إلى لأنها وضعت فى مكانه المناسب وعندما راته عينك التزمت الصمت اعترافاً بفضلها. والآن، وأنت مغمم بالسعادة ضع يدك فى يديها. فهناك كثير من الناس لا يعرفون كيف ينبغى للرجل أن يتصرف. فالرجل الذى يرضى بأن يحل الشقاء فى بيته هو ذلك الذى لا يعرف فى الواقع الوسيلة إلى إدارته. والنصيحة الكاملة من أجل الحفاظ على البيت هى أن يكون الرجل حليماً.

ويعلق ماير على قول الحكيم المصرى بأن المصريين ظلوا لآلاف السنين

يتمسكون بنفس الأفكار فيما يتعلق بالحياة الأسرية، وهى ضرورة حسن معاملة الزوجة التى تكون جديرة بهذه المعاملة الحسنة من قبل زوجها. ويضيف ماير أن هذه الأقوال تشير إلى فكرة المساواة بين الجنسين وأنه من الممكن أن تعد من أمجاد الحكمة المصرية القديمة تعبيرها لأول مرة عن كرامة وسمو الزوجة والمرأة.

حكيم الدولة الحديثة يقدم عدداً من النصائح إلى ابنه فيطلب إليه أن يحسن معاملة أمه التى ضحت بالكثير من أجله وفى ذلك يقول:

إذا كنت أنا الذى أعطيت لك أمك، فهى التى كنت لها، أثناء حملها بك، عبئاً ثقيلاً لم تستطع أن تضعه على. وبمجرد أن ولدت، بعد تمام الشهر وضعتها تحت النير. ظل ثديها فى فمك ثلاث سنوات. ورغم أن الاشمئزاز الشديد من ثيابك القذرة، كان يتزايد على الدوام، فإنها لم تشعر مطلقاً بالقرص منها، إلى الحد الذى يجعلها تقول: لم أفعل هذا؟ وعندما دخلت المدرسة وكان هناك من يعلمك الحروف، كانت دوماً على مقربة من بيت معلمك كل يوم، بالخبز والجمعة من بيتها. الآن وأنت رجل ناضج، اتخذت زوجة، وأقمت بيتك، لتكن عينك مفتوحة على المشقة التى صاحبت ولادتك، ولتخضع كل تصرفاتك لما فعلته أمك من أجلك، حتى لا يكون هناك ما تأخذه عليك، وحتى لا ترفع يديها إلى الرب لأن الرب سوف يسمع دعائها.

أسأل وهل كانوا يرحبون بالمولودة الأنثى؟

يقول: لم يكن قداماء المصريين ينظرون إلى ولادة الأنثى، كما تفعل بعض الشعوب، باعتبارها شيئاً مميّزاً يثير فى النفس الألم والحزن. بل كانوا يرحبون بالأنثى ويفتبطون لمولدها.

ومن الشواهد على ذلك الأسماء اللطيفة التى كانوا يطلقونها على بناتهم والتى تعبر عن مشاعرهم نحو المولودة أصدق تعبير.

.....

.....

ولكن هل كان للفتاة المصرية حرية اختيار الزوج؟

الجواب للدكتور مسلم لقد كانت الفتاة المصرية، شأنها شأن الفتى، تتمتع بحرية اختيار زوجها، المقبل. فلم يكن القانون في مصر الفرعونية يعترف للأب بسلطة تزويج ابنته رغم أنفها، أى أنه لم يكن يعترف له بحق تزويج ابنته جبراً عنها لمن يختاره لها. غير أن موافقة الأب على الراغب في الزواج من ابنته كانت لازمة.

ففى أغلب الأحيان كما يقول فويلكور كان الأب يختار رجلاً لابنته. فهذا هو مثلاً أحد الأجداد ينصح ابنه بأن يختار لابنته: رجلاً حريصاً ورزيناً وليس من اللازم أن يكون غنياً. ومع ذلك فإن هذا الاختيار الذى يقوم به الآباء لم يكن يمنع الأولاد من اختيار شركاء حياتهم، غاية ما هناك أنه كان لابد، قبل إتمام الزواج، من الحصول على موافقة الوالدين.

ومن الشواهد على تمتع الفتاة بحرية اختيار زوجها قصة الأميرة أحورى حفى هذه القصة نجد الفرعون وقد عزم على أن يزوج ابنته من ابن لأحد قواده وأن يزوج ابنه من ابنة لقائد آخر. لكن الأميرة كانت تحب أخيها وتريد الزواج منه وكانت أمها تشجعها على ذلك جريئاً على العادة المتبعة فى الأسر الملكية وعندما عرف الملك برغبة ابنته عدل عن مشروعه السابق وزوجها من أخيها. فقد كان بوسع الملك أن يضرب صفحاً عن رغبة ابنته ولا يعيرها اهتماماً، ويمضى فى تنفيذ خطته، لكنه لم يفعل واستجاب على العكس لرغبة ابنته وزوجها من أخيها.

أسأل: وهل كانت المرأة تزوج نفسها بنفسها؟

الجواب: نعم هناك من الشواهد ما يدل على أن المرأة المصرية، لاسيما المطلقة أو الأرملة كانت، شأنها شأن الرجل، أهلاً لمعدد زواجها بنفسها
ففى وثائق الزواج التى انتقلت إلينا من أواخر العصر الفرعونى تظهر المرأة بوصفها طرفاً فى عقد الزواج.

ففى وثيقة (من عهد بسماطيك الثانى) نقرأ ما يلى:

فى هذا اليوم دخل المعبد الكاهن... متجهاً نحو الكاهنة... وهذه المرأة قد أعجبتة كزوجة من تاريخ العقد. أما المال الذى قال عنه سوف يعطيها إياه فقد تسلمته هذه المرأة جميع الأراضى وما تقرر كنصيب.

فهذه الوثيقة، كما هو واضح، تشير إلى أن الزواج قد انعقد بين الرجل والمرأة. وأن المرأة قد قبضت بنفسها المال الذى قدمه الزوج بمناسبة الزواج.

وفى وثيقة أخرى (من عهد دارا الأول) تخاطب امرأة رجلاً بقولها: اتخذتلى امرأة فى هذا اليوم، أعطيتنى كيت من الفضة وذلك عن اتخاذك لى زوجة متمتعة بسلطة ربة البيت.

وهناك وثائق أخرى متعددة يخاطب فيها الزوج زوجته بقوله: قد اتخذتك لى امرأة فى هذا اليوم.

كل ذلك إن دل على شىء فإنما يدل على أن الزواج كان من الممكن أن ينعقد مباشرة بين المرأة والرجل الذى يرغب فى الزواج منها. فالمرأة كانت إذأ أهلاً لأن تبرم عقد زواجها بنفسها. وذلك على خلاف الحال فى كثير من الشعوب القديمة التى اعتبرت المرأة غير أهل لأن تبرم زواجها بنفسها. ومن ثم كان ينوب عنها فى إبرامه وليها وفى مقدمة الشعوب التى كانت تتحو هذا المنحى الإغريق والهنديس وأهل الصين.

وما حق المرأة فى مهرها؟

يجرى العرف، فى المجتمعات القبلية، باعتبارها المهر حقاً لولى الزوجة وليس حقاً للزوجة نفسها. وفى مصر الفرعونية جعل القانون المهر حقاً للزوجة، تقبضه بنفسها، وتتصرف فيه كما يحلو لها.

فى بعض، وثائق الزواج، التى ترجع إلى العصر الصاوى، ينص على قدر من المال يدفعه الزوج إلى المرأة بمناسبة الزواج.

وفى بعض الأحيان كما يقول شفيق شحاتة يقتصر الأمر على النص على تعهد الرجل بدفع الصداق مع تحديد قيمته. وفى إحدى الوثائق التى ترجع إلى عهد بسماتيك الثانى، يشار إلى ما يتعهد بدفعه للزوجة على النحو التالى:

إن قيمة الأموال التي قال عنها سأعطيها إياها كمهر لامرأة، هي: ٢ دين من الفضة و٢٠ كرا من الحنطة.

وفي أحيان أخرى تتضمن الوثيقة النص على قبض المرأة صداقها حين زواجها مع بيان مقدار هذا الصداق. ففي الوثيقة المذكورة آنفاً من عهد دارا الأول زمن الاحتلال الفارسي، تقرر امرأة بقبض صداقها على النحو التالي: أخذتني امرأة لك في هذا اليوم، وأعطيتني كيت من الفضة، وذلك عن اتخاذك لي زوجة متمتعة بسلطة ربة البيت.

وفي بعض الوثائق يشار إلى دفع الزوج الصداق إلى زوجته، دون أن يعين مقداره، فيأتي النص الخاص بالصداق في عبارة عامة دون تحديد.

ففي وثيقة، من عهد بسماطيك الثاني، يرد النص التالي:

أما المال الذي قال عنه (سوف أعطيها إياه) فقد تسلمت هذه المرأة جميع الأراضي وما تقرر كنصيب.

اسأل: وهل كان هناك تعدد زوجات؟

للجواب: رغم أن المصريين كانوا في العصر الفرعوني يمارسون تعدد الزوجات فقد كانت ثمة قيود تحد من حرية الرجل في اتخاذ زوجة ثانية.

من ذلك مثلاً تلك القيود التي كانت تضمن عقود الزواج. فقد تشترط الزوجة على زوجها في عقد الزواج عدم اتخاذ زوجة أخرى، وقد ينص في عقد الزواج على التزام الزوج بأن يدفع إلى زوجته ما فرضه لها من المهر والتنازل لها عن نصيبه في الأموال المكتسبة في أثناء الزواج إن هو أحب امرأة أخرى. كذلك قد ينص في عقد الزواج على تنازل الزوج عن الأموال التي سوف تتول إليه مستقبلاً لأولاده من الزوجة حتى عن أمواله الحاضرة. ومن الواضح أن اختصاص أولاد الزوجة بأموال الزوج من شأنه أن يقيد إلى حد بعيد حريته في اتخاذ زوجة ثانية.

وعلى أى حال فالمرأة المصرية كان لها الحق فى حل الزواج بإرادتها المنفردة، فإذا لم ترض عن اتخاذ زوجها زوجة ثانية، كان بوسعها إنهاء زواجها به. وكل الدلائل تشير إلى أن تعدد الزوجات برغم إباحته فى مصر القديمة لم يكن يمارس إلا على نطاق ضيق للغاية إذا استبعدنا الملوك والأمراء.

أسأل: وهل كان هناك قانون يمنح الزوجة حق إنهاء الزواج.. مثل الخلع الآن؟

والجواب: كان الزواج فى مصر القديمة يعد أمراً يخص أصحاب الشأن فيه، كذلك الحال بالنسبة للطلاق. فلم يحدد المشرع أسباباً خاصة للطلاق سواء من قبل الزوج أو من قبل الزوجة، ولم يجعل لسلطات الدولة أى اختصاص فى شأنه. ولهذا كان الطلاق يعد أمراً يخص أولاً وأخيراً الزوجين أنفسهما.

وكانت الزوجة تقف بالنسبة للطلاق على قدم المساواة مع الزوج. وكما أن الزوج كان باستطاعته إنهاء الرابطة الزوجية بمحض مشيئته ودون الحاجة إلى اللجوء للقضاء.. كذلك كان الحال بالنسبة للزوجة. فالرابطة الزوجية تفترض لاستمرارها رضا كل من الزوجين عنها ورغبته فى الإبقاء عليها. بحيث إن كلا من الزوجين كان باستطاعته إنهاءها بمحض مشيئته. ويبدو أن هذه الحرية المطلقة فى الطلاق كان يساء استعمالها فى بعض الأحيان على الأقل، ولهذا فإننا كثيراً ما نجد عقود الزواج مشتملة على شروط جزائية خاصة بالطلاق.

وتهدف هذه الشروط الجزائية إلى تحميل الزوج المطلق بعض الأعباء المالية، وتمثل هذه الأعباء المالية، إذا كان الزوج هو المطلق، فى إلزامه دفع الصداق إلى الزوجة، والتخلى لها عن نصيبها فى المكاسب المحققة فى أثناء الزواج.

فى بردية ترجع إلى عهد بسماتيك الثانى، يتعهد الزوج على النحو التالى:

قسماً بحياة آمون، قسماً بحياة الفرعون الذى منحه آمون النصر، إذا تركت المرأة.. أو إذا أخطأت فرغبت فى تركها لعدم الميل إليها أو لرغبتى فى امرأة أخرى غيرها، فيما خلا الحال التى تكون هى قد ارتكبت الإثم الذى يقع من النساء، فإنى سوف أعطيها الـ ٢ ذبن من الفضة والـ ٣٠ كرا من الحنطة، وهذا فضلاً عن النصيب فى كل كمية أو فى كل كسب أكون قد حصلت عليه معها.

وتتمثل الجزاءات المالية إذا كانت الزوجة هي: المطلقة، في إلزامها رد الصداق ودفع مضاعف له، والتخلي عن نصيبها في المكاسب المحققة في أثناء الزواج.
ففى بردية ترجع إلى عهد دارا الأول، زمن الاحتلال الفارسي لمصر، تقرر المرأة ما يلي:

اتخذتني امرأة لك في هذا اليوم، أعطيتني كيت من الفضة وذلك عن اتخاذك لى زوجة متمتعة بسلطة ربة البيت. أما إذا أحببت رجلاً آخر غيرك، سأعطيك أنا تسعة أمثال ما أخذت منك، وأرد إليك ما أخذته منك. وسأترك لك ثلث أموالى جميعها التى أكون قد حصلت عليها.

.....

.....

هل هناك مساواة بين الرجل والمرأة أكثر من هذا؟

من المؤكد أن نساء هذه الأيام يتحسرن على ما كانت تتمتع به جدتهن قبل

الزمان بزمان؟ ■



سأكون فى انتظارك!

قالت لى شاعرة ذات جمال ودلال ودواوين شعر وغزل وصد وهجر وحنين
وأنين: صدقتى لقد انتحر الحب!

قلت: بل قولى إنه ملم أوراقه ورحل.

قالت: بل قل أنت.. الحب ينقرض.. والعشاق يرحلون!

قلت: هل حقاً لم يعد هناك حب؟

قالت: بل قل كره وحمق وغل وضغينة واحتيال ونصب وإفتراء وكذب ونفاق
ورياء ونميمة وغلب أزلنى. بل قل مات الحب وشيعت جنازته فى كل أرض وفى كل
قلب.. ولا عزاء للعاشقين!

قلت: دعينى أصحبك فى رحلة صفاء وشفاء إلى أرض الحب الذى كان..

قالت: فيلم سينمائى هو؟

قلت: بل حقيقة كانت ثم ضاعت وتبخرت وأصبحت دخاناً فى الهواء!

→ «ساتزين وأفرد شعرى جدابيل.. جدابيل وانتظرك يا حبيبى تحت شجرة الجميز».

قالت: تقصد الحب أصبح الآن فعلاً ماضياً.. أما المضارع فهو فعل يكره
يحقد يسرق يضرب يقتل..

قلت: سأركب معك مركبة الزمن التي يخفيها رقيق الطريق عالم المصريات
د. زاهى حواس فى غرفة سرية بين قدمى أبى الهول..

تسألنى: إلى أين نذهب معاً؟

قلت: لن نبرح مكاننا.. ولكننا سنترك زماننا إلى عصر الحب الذى كان..

فقط أغمضى عينيك وتخيلى معى لو أنك عثرت وأنت تقلبين فى خزانة
قديمة للكتب فى بيت أحد أجدادك على رسالة حب كتبها جدك لجدتك.. ماذا
كنت تفعلين؟

سوف تصيحين صيحة تعجب وترفعين حاجبيك دهشة وانبهاراً وأنت تقرئين
على من معك زوجك وأولادك وبناتك، عبارات حب جدك لجدتك التى تذوب حباً
وصباباً.. وتتساءلين وأنت تضربين كفاً بكف.. هل كان هناك حب على أيام جدى
وجدتى بهذا بالشكل ده؟

ماذا سوف تقولين؟

وماذا سوف يقول الناس؟

وماذا سوف تقول الزوجات.. ويقول الأزواج لو اكتشفوا أننا عثرنا على أقدم
رسالة حب فى التاريخ.. رسالة عمرها نحو ٢٥٠٠ سنة كتبها زوج لزوجته التى
يحبها.. لم يكتبها بالمداد على الورق.. ولكن كتبها على جدران المعابد..

الزوج اسمه بتو زيرس كبير الكهنة..

أما الزوجة فاسمها سات ورت

تسألنى بلهفة: ماذا تقول الرسالة؟

قلت: أما الرسالة التى كتبها الزوج فقد قرأتها على جدران المعبد الجنائزى
الذى ضم مومياء الزوج ومومياء الزوجة معاً فى الأشمونين غرب النيل على بعد

خمسة عشر كيلو متراً من مدينة ملوى.. وعلى بعد أمتار من مقبرة إزادورا أشهر عاشقة فى تاريخ مصر كله.. ابنة الحاكم الرومانى التى أحببت ضابطاً مصرياً ورفض أبوها زواجها منه.. فألقت بنفسها فى أحضان النيل..

ولأننى لا أعرف الهيروغليفية فقد قرأتها لى الباحثة المتألقة دائماً فاطمة عبد الله محمود مترجمة كتاب «المرأة الفرعونية» للكاتبة الفرنسية كريستيان فوبليكو، بوصفها أقدم رسالة حب فى التاريخ.. يقول بتوزيرس لزوجته سات ورت:

زوجتى.. حبيبتى ربة الحسن والجمال، الرقيقة بحبها، ذات الكلمة الفصيحة، والأحاديث الطيبة، والنصائح النافعة فى كتاباتها..

إن كل ما تنطق به شفتاك يتشابه تماماً مع أعمال معات إلهة الحكمة..
إنك زوجة كاملة، لك مكانة مرموقة فى بلدها.. تمد يدك إلى الجميع..
وتتكلمين كلاماً طيباً، وترددين ما يستحب، ولا يخرج من شفتيك كلام سيئ..
أنت دائماً مفعمة بالحب للجميع.

قالت الشاعرة الحاملة: هل هناك زوج يكتب فى زوجته هذه الأيام كل هذه الكلمات ويصفها بكل هذه الصفات؟

قلت: وهل يوجد بيننا زوجة تستحق كل هذا الثناء وكل هذا المديح وكل هذه الإشادة بصفاتها ومثالبها وطيبتها العظيمة؟

أستى معى فى أنه لا توجد امرأة فى الوجود أحبها الرجل ودللها ووضعها فى صدره مكان القلب، وضلل عليها بهامته وحماها بقوته وجعلها شمسها التى تضىء وقمره الذى يحب ويهوى.. مثل المرأة المصرية؟ والدليل والحقيقة أمام عينكم..
أقدم رسالة حب فى التاريخ..

هل تريدین دليلاً آخر؟

دليل على جسر الحب الكبير الذى كان يربط بين المصرى والمصرية عبر مشوار طوله أكثر من خمسين قرناً من الزمان..

قالت: هات ما عندك..

قلت: هذه المرة تكتب الزوجة والحببية رسالة إلى زوجها الغائب فى ساحة القتال.. يطلعنا عليها عالم المصريات د. سيد كريم بقوله: إنها رسالة حب من الجميلة مريت آتون إلى حبيبها الذى ذهب لقتال العدو، وهى من برديات تل العمارنة وعنوانها «عودة المحارب».. وقد كتبت فى عصر أخناتون العظيم الذى عرف الله الواحد الأحد وعبيده هو وأتباعه.. وهو أحد الأنبياء الذين لم يذكرهم القرآن الكريم..

تقول مريت آتون:

سأكون فى انتظارك.. دائماً فى انتظارك..

فانتظارك هو الأمل الذى أحيا به وأعيش له..

وما دامت تميمة تحور تزين صدرك العريض وتوعمها يزين معصمى فالإله سيحفظك لتعود سالماً إلى كَمَا وَعَدْنِي حَاتِي بِمَحْرَابِ الْمَعْبَدِ.

سأكون فى انتظارك سأرتدى أجمل أزيائى كالشجرة التى تتزين بأجمل أزهارها.

وتتضح ثمارها لتستقبل طيور الربيع.

سأكون فى انتظارك كبحيرة البردى التى تزين سطحها بزهور اللوتس.. وتنتظر البط العائد من رحلة المجهول.. لتضمه إلى أحضانها وتنسيه مشقة الرحلة..

سأكون فى انتظارك كعيدان القمح التى تتزين بسنابلها الذهبية لتستقبل طيور السماء.. وتخفيه عن عيون الشر.

سأكون فى انتظارك كزهور عباد الشمس التى تولى وجهها شطر الإله من الشروق إلى الغروب، وهى تصلى له فيمنحها بركات أشعته وتمنح الحياة أريجها العطرى.

هل هناك أجمل ولا أرق ولا أعظم من رسالة الحب هذه؟

نظرت إليها فوجدتها حاملة سارحة في ملكوت الحب والعشق والهيام..

قلت لها: هل تريدين دليلاً آخر.. بصمة حب وتدليل واحترام وتقديس بين

المصرية والمصرى قبل الزمان بزمان؟

الدليل موجود في المتحف المصرى فى ميدان التحرير.. لو صعدتى إلى الدور الأول.. وذهبتى إلى قسم الملك توت عنخ آمون.. لوجدتنى بين مجموعته الجنائزية الهائلة.. باقة ورد مصرية مازالت تتبض بالحياة بأوراقها الخضراء والحمراء.. هذه الباقة وضعتها زوجة توت عنخ آمون فوق تابوته عندما مات قبل نحو ٣٥٠٠ سنة وعمره لم يتجاوز التاسعة عشرة!

تستكين عيونها وتهدأ كورقة بشنين خضراء تسبح فوق مياه بحيرة صافية..

ولكنها ككل النساء لا تقتنع أبداً ولا تهدأ.. تعود تسألنى: إن ما تحكى عنه حب المصرى للمصرية قبل قرون طال واستطالت أكثر من أربعين قرناً من الزمان إلى الوراء..

هل تعرف معنى أن يمر على الحب فى الأرض أربعة آلاف سنة؟..

يموت.. يسقط من طوله مرضاً وألماً وجراحاً.. الدنيا كلها تتغير.. الأنهار تجف والبحيرات تتبخر والأشجار تموت والطيور تهجر أعشاشها.. والمخلوقات تتقرض.. والإنسان يصبح تراباً.. فلماذا لا يصبح الحب هو الآخر نسياً منسياً؟!

قلت: سأصحبك إلى ما قاله رسول الحكمة المصرية بتاح حتب فى الزمن الجميل وهو ينصح ابنه فى ليلة زفافه:

إذا أردت الحكمة فاحب شريكة حياتك.. اعتن بها ترعى بيتك.. قريبا من قلبك فقد جعلها الإله توأمًا لحياتك.. زودها بكسوتها ووسائل زينتها وزهورها المفضلة.. وعطرها المفضل.. حافظ عليها مادمت حياً.. فانعم بها ولا تكفر بالنعمة التى وهبها الله لك.

حس بآلامها قبل أن تتألم.. وبجوعها قبل أن تجوع.. إنها تعيش فى أنفاسك..
وفى نظرك.. وفى جسدك.. إنها أم أولادك.. فأنت مسئول عنها أمام الإله
الأعظم الذى أقسمت فى محرابه أن تكون أختاً وأباً وشريكاً لحياتها.

قالت كأنها تضحك: يا سلام؟

قلت: إن ما قاله حكيم زمانه يحكى بصدق كم كانت المرأة المصرية معززة
مكرمة يضعونها فى صدورهم مكان القلب.. فهى النبع وهى النهر وهى الأصل
وهى الفرع.. وهى الشمعة التى تضىء ليل الرجل بالألفة والدفء والنور والحنان..
ولا يوجد شعب فى العالم كله قديمه وحديثه.. وصل بالمرأة إلى هذه المكانة
العالية.. كما فعل الشعب المصرى وهو يعيش أزهى عصور حضارته.

.....

.....

مازلنا وقوفاً على شاطئ الحب يحرسنا النيل والنخيل وشمس الأصيل..
والحب الذى كان.

قلت: للشاعرة الثائرة التى كفرت بالحب والعشق ومزقت ما فى صدرها
وأبيات شعرها.. وحلت ضفائرها وقصائدها فى الحب والهيام والتيه والغرام بعد
أن انقلب حال الدنيا وأصبح الكره سيد العالم.. واختلط الحابل بالنابل.. وظهر
الفساد فى البر وفرد طوله وتوارى الحب خجلاً وشيباً.. متخفياً فى أوراقه فى
بطون الكتب وفوق أرفف الخزائن القديمة التى اتخذت منها الفئران المرحة مقراً
ومستقراً!

وتحول عالم ما بعد ١١ سبتمبر إلى عالم يسبح فوق نهر من الكره والبغضاء
والظلم بلا حدود والهدم والقهر وسرقة أحلام الشعوب.

القتل أصبح هو القانون فى الغابة التى اسمها الأرض..

والاغتصاب.. اغتصاب الوطن والدار والولد والعرض هو الشريعة وهو الأمر
الناهى فى كل البقاع!

والبرهان والدليل ما يحدث الآن في فلسطين والعراق.

قلت وأنا أحمل قدر طابقتي ولو قطرات من بحر من الأحزان الذى استقر فى
عيونها الخضراء: هل تريدين أن تسمى ما قاله القائد المصرى سنوحى فى
محبوبته تيكا هيت؟

تسألنى: متى قالها؟

قلت: قبل ٢٨٠٠ سنة بالضبط..

قالت: ماذا قال هذا العاشق الولهان ياترى؟

قلت: لقد قال:

ها أنا أرى حبيبتى مقبلة تتهادى كنسمة الربيع..

بقوامها الذى يشبه النخلة الرفيعة مرفوعة الرأس يداعب الريح ضفائرها
وتزين الثمار الحمراء خدودها وجيدها.

تكاد قدمها لا تلمسان الأرض وهى تخطو كراقصات المعبد.. وتتماوج
ذراعها ويدها فى دلال كأموج البحر.

وأسمع صوتها يحمله إلى النسيم من بعيد كرنين قيثاره الحب..

ها أنا أرى حبيبتى مقبلة..

فبيتهج قلبى وأمد ذراعى لأضمها إلى صدرى..

ويهتز قلبى فرحاً وهو ينتقل من صدرى إلى صدرها ويهتز قلبها فرحاً وهى
تهمس..

حبيبى.. لا تتعد عنى.. وابقى بجانبى..

لنقطع رحلة الحياة ونحن نجدف فى قاربها معاً جنباً إلى جنب.. حتى نصل
معاً إلى شاطئ النهاية.. تبارك حيناً أشعة الشمس.. وترعى حيناً عين الإله.

نحن نسبح الآن فى زورق يتهادى فى نهر أقدم قصة حب فى الوجود.. حب
المصرى والمصرية.

قلت لها: هل تريد أن تسمى كلام الحكيم آنى الذى أوصله المصريون القدماء إلى مرتبة الرسل.. وهو يتحدث إلى ابنه قبل أن يتزوج.. وكيف يختار شريكة حياته؟

قالت بدلال: من لا يريد أن يسمع كلاماً كهذا؟

قلت: يقول الحكيم آنى:

إذا كانت شريكة حياتك كاملة مدبرة.. فعاملها بالرفق واللين والإحسان.. ولا تعاملها بالخشونة والقسوة.. فالمعاملة الطيبة تقربها من قلبك.. والمعاملة الخشنة تبعدك عن قلبها.. راقبها لتعرف سيرها وسلوكها لا تتسرع وأنت تجادلها وتركب مطية الغضب فذاك يزرع شجرة البغضاء فى دارك..

إذا أخلصت لها أخلصت لك.. وإذا رفعت من قدرها رفعت من قدرك أمام الناس..

وبقدر احترامك لها يحترمك الناس.. فالمعاملة الحسنة تنزرع شجرة المحبة فى دارك لتتمو بدلاً من شجرة البغضاء.

قالت: كلام جميل.. ولكن من يسمع فى زماننا هذا؟

قلت: والآن ما قولك فيما يقوله الحكيم حور سنب لابنه وهو يحثه على الزواج:

ياولدى.. العاقل من لا يسلك طريق الحياة بمفرده.. بل يختار له شريكة تعاونه على أعباء الأيام فى رحلة العمر..

اخترها جميلة.. ولكن عاقلة.. كبيرة القلب.. يجعل منكما الرباط المقدس روحاً واحدة.. وقلباً واحداً.. وآمالاً واحدة.. تربطها الثقة المتبادلة.

تسألنى الشاعرة الحاملة: وهل كان كل حب فى الزمن الجميل ينتهى عادة بالزواج السعيد؟

قلت: بالتأكيد.. وهى القاعدة فى البيت المصرى حتى الآن.. لكن هناك قصص حب فاشلة كما يحدث فى كل زمان وكل مكان وكل عصر وكل أوان..

قالت: أجمل قصص الحب.. تلك التى تنتهى بالفراق!

قلت: ولكن البيت المصرى فى الزمن الجميل كان يبارك قصص الحب ويحميها حتى تكتمل بدخول الحبيبين إلى عش الزوجية..

تسألنى: هل كان عندهم مأذون مثل الذى عندنا الآن الذى يجرى عقد الزواج فى الأحياء وفى المساجد أو قسيس يجرى العقد فى الكنيسة؟

قلت: مادمننا نركب مركبة د. زاهى حواس الزمنية فلنسأله عن طقوس زواج المصرى والمصرية..

قالت: كيف نسأله ونحن على بعد خمسة وثلاثين قرناً من زماننا وزمانه؟

قلت: هذه المركبة مبرمجة بأحدث ما وصل إليه العلم من تكنولوجيا العصر.. فقط اضغطى على زر تجدين زاهى حواس أمامك على الشاشة.

قالت: اسأله أنت.. فأنا أخاف منه.. فأنا أتخيله ساحراً عظيماً عالمًا بكل أسرار الفراعنة.. كأنه هامان أو صديق الملك خوفو..

قلت: بل هو إنسان فى غاية الرقة ودمائة الخلق.. وهو وإن كان عالمًا كبيراً إلا أن فى داخله طفلاً كبيراً!

يظهر زاهى حواس على الشاشة وهو يرتدى القبعة التقليدية.. ورغم أننى متأكد تماماً أنه سمع كلامنا كله..

إلا أنه لم يهتم.. وأخذ يجيب عن سؤالنا بجديته المعروفة:

لقد كان المصريون يتزوجون بعقود زواج رسمية تعقد فى مكاتب لتسجيل العقود فى المعابد أو فى المحاكم.. وكانت العقود تكتب على ورق البردى أو جلد الماعز.. ويوقع عليها ثلاثة شهود.. ويتسلم الزوج والزوجة صورة من العقد..

إن عقد الزواج كان يتم تسجيله فى ملف خاص بعقود الزواج يحفظ فى المعبد أو فى المحكمة.

وصيغة العقد تكاد تكون طبق الأصل لتلك التى عندنا فى الإسلام.. وعند إخواننا الأقباط أيضاً..

وفى إحدى البرديات التى عثر عليها قبل نحو ٢ آلاف عام.. فقد كان قسم الزواج الذى يقوله الكاهن ويردده معه الزوجان هو:

بما أن مشيئة الإله قد اقتضت أن يرتبط أحدنا بالآخر برباط الزواج المقدس الصحيح وفقاً لتقاليد الرجل الحر والمرأة الفاضلة.. وقد وافق كل منا بمحض إرادته وكامل تصرفه وحرية اختياره.. لكى تجيء إلى بيتى كامرأة حرة، على أنى أقدرك كأنك قطعة منى.. فلا أقلل من شأنك ولا أهملك ولا أهجررك إلا إذا اضطررتنى سبب شرعى مهم.. فإذا حدث ذلك فسأقوم بإعطائك حقه الشرعى الذى أمر به الإله.

نسال: وإذا أخل الزوج بشروط الزواج!

قال: فى بعض العقود كان ينص على ذلك التعويض نقداً أو عيناً..

تعود تسأل: وهل كان العريس يدفع مهراً لعروسه؟

قال: لم يكن المهر معروفاً عند الفراعنة إلا فى الأسرات المتأخرة.. وفى عهد الرومان والبطالمة.. بل كان ينص فى كثير من العقود على أن المرأة هى التى تدفع دوطه أو تسهم فى تأثيث البيت.. وحتى لا يقال إن الرجل قد قام بشرائها بماله وأنها مساوية له فى الحقوق التى نصت عليها الشريعة.

تعود تسأل: وإذا صعبت العشرة أو استحالت بينهما؟

قال: لا شىء إلا الانفصال بنبل وأدب وإنصاف للمرأة.. وعدم أكل حقوقها وممرطتها فى المحاكم.. كما يحدث الآن..

هذه هى أقدم وثيقة طلاق فى العالم.. وهى التى عثر عليها البروفيسور فيشر بين لفائف برديات طيبة..

ونعود إلى الأسرة الرابعة أى قبل نحو ٤٥٠٠ سنة.. تقول الوثيقة:

لقد هجرتك ولم تعد لى حقوق عليك كزوج.. ابحتى عن زوج غيرى: لأننى لا أستطيع الوقوف إلى جانبك فى أى منزل تذهبين إليه.. ولا حق لى عليك من اليوم فصاعدا.. باعتبارك زوجة لى تنسب إلى أو شريكة لحياتى.. اذهبى فى الحال بلا إبطاء أو تراخ.

إمضاء: زوجك المطلق آمون حوتر.

ولقد أعطى المشرع المصرى القديم لكل من الزوجين الحق فى طلب الطلاق إذا أخل الطرف الآخر بالشروط الواردة بوثيقة الزواج.

.....

.....

مازلنا داخل مركبة الزمن وساعتها تقول إننا فى عام ١٨٠٠ قبل الميلاد..

تختفى صورة زاهى حواس من على شاشة مركبة الزمن.. والشاعرة المتوثبة ما زالت قلقة المزاج.. غير مصدقة لما تسمعه ولما تراه فى هذا الزمن الجميل الذى راح وانقضى.. تسألنى: وما مواصفات الزوجة الصالحة فى نظر أجدادنا العظام؟

قلت: حكماء ذلك الزمن الرائع قالوا فيها:

❖ لا تختر زوجتك بعينيك ولا تخترها بقلبك.. بل اخترها بأذنيك واخترها بعقلك..

❖ الزوجة الصالحة هبة من الله لمن يستحقها..

❖ المرأة الجميلة ليست دائماً طيبة.. ولكن المرأة الطيبة دائماً جميلة.

❖ لا تنظر إلى زوجة جارك إذا أردت أن تصون بيتك وتحفظ بزوجتك.

تصفق الشاعرة القلوق هذه المرة.. متخفية عن وقارها وهى تقول: بس مين يسمع.. ومين يقرأ.. ومين يشوف؟!

نخرج من المركبة الزمنية نمشى على ضفاف النيل البكر بأشجاره الباسقات
ونخيله الذهبى الفاقع.. الأحمر الثمار..

تفاجئنى الشاعرة بسؤال نسائي خبيث: وهل كان للمرأة المصرية التى عاشت
أجمل وأقدم قصة حب فى التاريخ.. ضرة؟

قلت: تقصدين زوجة ثانية؟

قالت: صح..

قلت: والله لقد اختلف المؤرخون كما يقول أستاذنا د. سيد كريم فى تعدد
الزوجات عند قدماء المصريين.. وذكر ولكنسون أنه كان نادر الحصول.. لأن
القوانين المدنية قد قيدهت إلى درجة التحريم.

وقد أجمعت وثائق الزواج أو الطلاق التى أمكن الوصول إليها على أن الزواج
الشرعى والقانونى قد قصر الزواج على زوجة واحدة.. وهو ما يفسر ما ورد فى
النصوص من إعطاء الزوجة الأولى حق ملكية أثاث بيت الزوجية بأكمله.. كما
أنها ترث نصف أملاك زوجها فى حالة انفصالها عنه.. كما أن لها حق الطلاق
من زوجها إذا تزوج بأخرى، ولم تكن قد أخطأت فى حقه بما نص عليه قانون
الزواج من أسباب كالخيانة الزوجية أو هجرة البيت أو الإهمال فى حق زوجها
وأولادها.

كما أن الزوجة الثانية لا تحظى بمكانة الزوجة الأولى.. بل مركزها الشرعى
فى البيت كالمحظية.. ومن حق الزوجة الأولى المطالبة بإسكانها فى مسكن
منفصل.. ويطبق قانون التوريث على أولاده من الزوجة الأولى فقط.

على شاطئ الحب الذى كان.. أكلنا بلعاً رطباً وعنباً وتوتاً.. لم ندق حلوته
فى عمرنا كله..

كان هناك تحت جذع شجرة جميل عتيقة يمسك بمزمار أو أرغول أو ناي..
سمه كما تشاء.. ولكنه كان يبعث فى أذاننا وأرواحنا نغمًا شجيلاً.. ثم جاء من
يضرب بالموال كما يسمونه فى ريفنا وفى الموالد حتى يومنا هذا.. واحد يعزف

والثانى ينشد موالاً عمره من عمر الزمن نفسه.. لم نفهم حرفاً مما قاله، ولكى
نطرب ونضرح ونسعد بالأنغام والغناء.. ولكى نفهم ونعرف استدعينا من يحل لنا
ألغاز الهيروغليفية أو الغناء الهيروغليفي.. أمامنا فى ساعة حب وغروب..

جاء رفيق الطريق على شاشة مركبة الزمن.. د. زاهى حواس يترجم ونحن
نسمع ونطرب لمواويل الزمان الغابر:

لا تتم فى الليل وأنت خائف من الغد..

لأننا لا ندرى عندما ينبثق الفجر ماذا يكون عليه الحال فى الغد؟

فالإنسان لا يعلم ما سيكون عليه الغد..

الله فى كماله..

والإنسان فى عجزه..

والكلمات التى يتكلمها الناس تختلف فى اتجاهها..

على حين أن أعمال الله مختلفة الاتجاه..

لا تقولن لست أحمل خطيئة..

ولا تجهدن نفسك فى إثارة النزاع..

أما الخطيئة فأمرها عند الله..

وهو الذى يختمها بإصبعه..

وليس فى يد الله إنسان كامل..

ولا يقف العجز حائلاً أمامه..

فإذا جهد الإنسان نفسه ليصل إلى الكمال..

فإنه فى لحظة يهدمه بنفسه..

كن رزيناً فى عقلك.. وثبت قلبك..

ولا تجعلن من لسانك شراعاً..

فإن كان لسان الإنسان كشرع السفينة ..

فإن رب الجميع هو ربانها ..

قالت الشاعرة: إنه ليس كلاماً فى الحب ..

قلت: بل هو خلاصة الحكمة المصرية فى الحياة الدنيا ..

لقد قرأت تساؤلاً للمؤرخ الكبير جيمس هنرى بريستد فى موسوعته «فجر الضمير» .. حول هذا الكلام قوله: هل كان هناك عندما نصح السيد المسيح عليه السلام تلاميذه بقوله: لاتفكروا فى الغد .. أى صدى لتلك الحكمة المصرية القديمة فى تلك الكلمات؟

تسأل الشاعرة زرقاء العينين: من قال هذا الكلام الرائع؟

الجواب لرفيق الطريق الذى مازال معنا على الخط: إنه أمينوبى الحكيم المصرى العظيم ..

يعود صاحب المواويل يردد على أنغام الأغرول القديم تحت ظلال شجرة جميز عتيقة:

لا تضحك من رجل أعمى .. ولا تهزان بقزم ..

ولا توذبن زماً يعنى مقعداً ..

ولا تستهزئن برجل يكون بين يدي الله .

ولا تقسون عليه عندما يبغى أو يذنب

وأما البشر .. فهم من طين وقش ..

والله هو بانهم ..

فهو يهدم ويبنى ثانية كل يوم ..

فيخفف ألفا كما يشاء ..

وألفا يجعلهم مشرفين ..

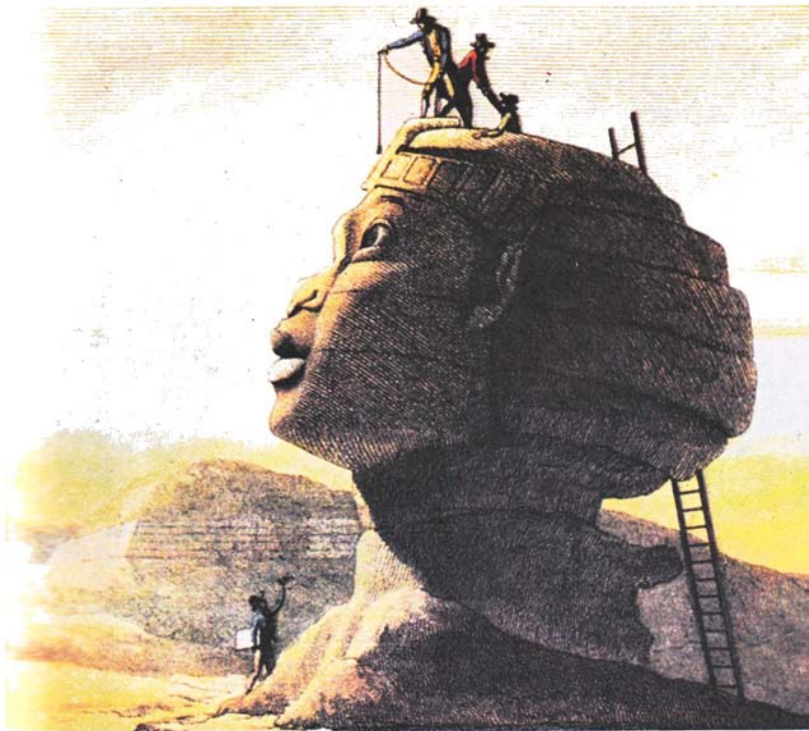
ماداموا فى الحياة الدنيا ..
وإنه لسعيد من يصل إلى الغرب إلى الدار الآخرة ..
وهو ناج فى يد الله ..
ولا تدعن قلبك يجرى وراء الثروة ..
ولا تجهدن نفسك فى طلب المزيد ..
عندما تكون قد حصلت بالفعل على حاجتك ..
وإذا جاءت إليك الثروة من طريق السرقة ..
فإنها لا تمكث عندك زمن الليل ..
فحينما ينبلع الصباح فإنها لم تكن فى بيتك بعد ..
لأنها تكون قد صنعت لنفسها أجنحة مثل الأوز وصعدت إلى السماء ..
اعبد الإله ..
وقل امنحنى سلامة وصحة ..
وسيمنحك ما تحتاجه مدى الحياة ..
وتأمن من الخوف ..
تسألنى: من قال هذا الكلام الجميل ياترى؟
قلت: وهو فيه غيره .. امينوبى بالطبع ..
يجيئنا صوت زاهى حواس من القرن الحادى والعشرين: شاطر يالوله !!
.....
.....
هل حقاً مات الحب ولا عزاء للعاشقين؟
أم أن الحب لا يموت أبداً؟

مهما هدت حيله الأنواء والأعاصير والأحقاد والكره الدفين؟
ومهما ناله من جراح سهام المتريصين به في كل زمان وكل مكان.. من الكارهين
والمحبطين والمكتئبين والحاسدين والنافثين في العقد؟ ■

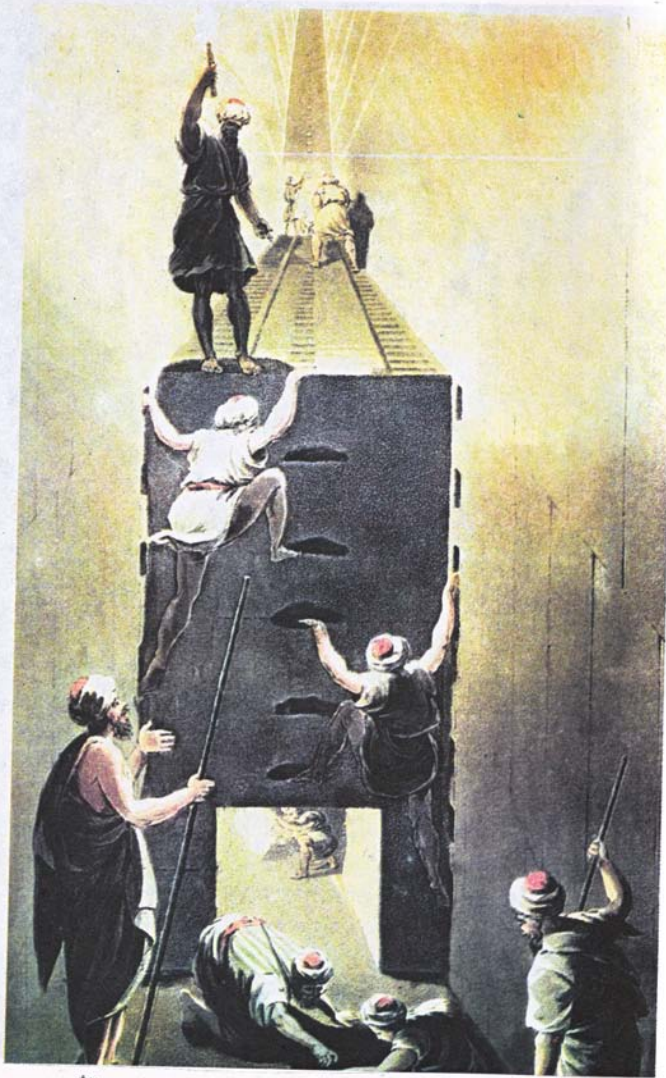
فجر الضمير المصرى



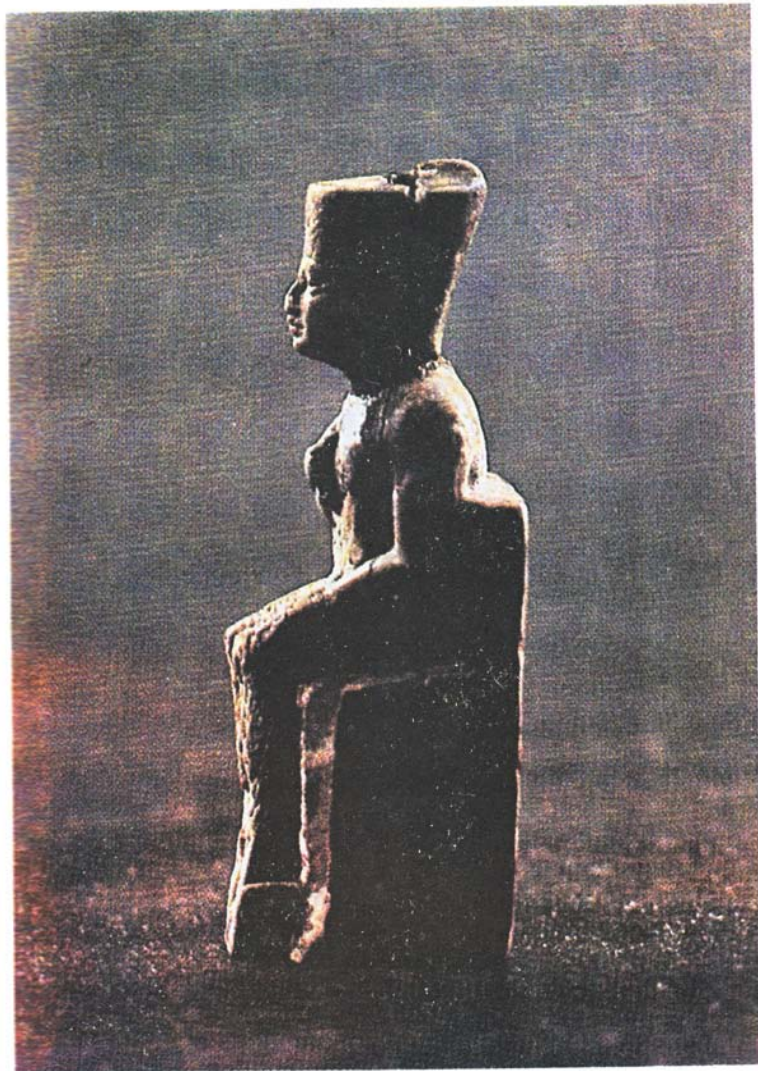
- أبو الهول بريشة الفنانين الأجانب الذين زاروا مصر في القرن قبل الماضي.



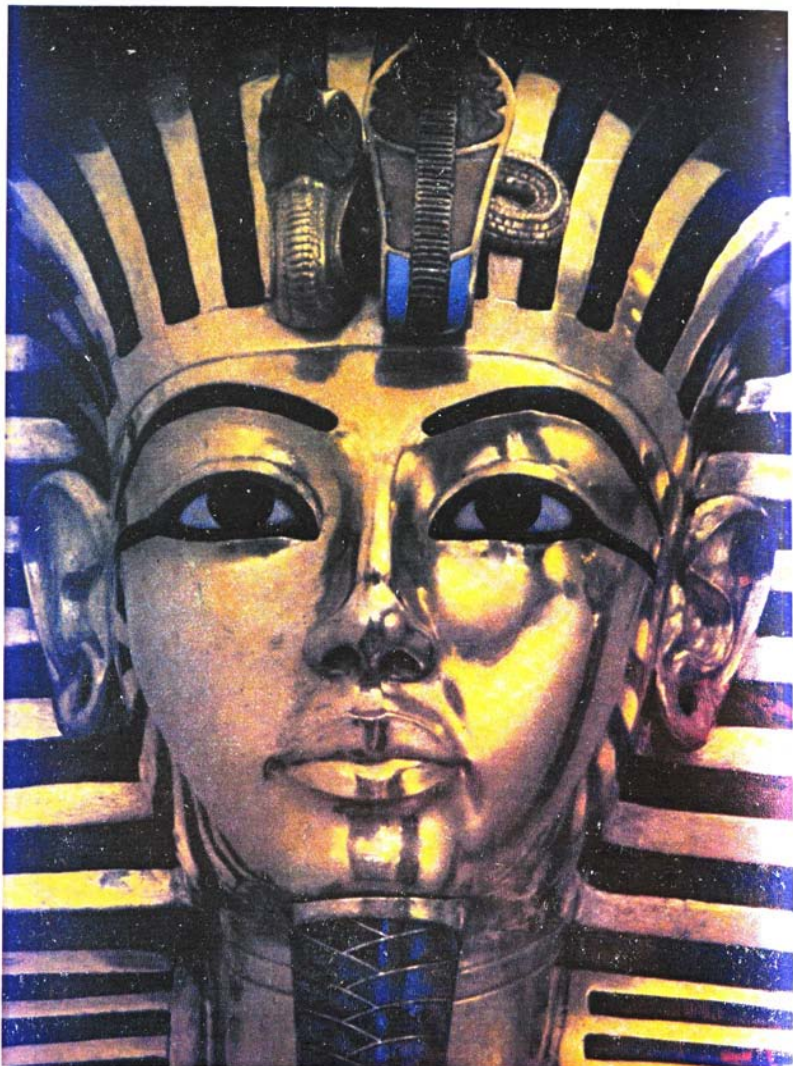
- المكتشفون الأجانب فوق رأس أبو الهول لأخذ القياسات الهندسية قبل ثلاثة



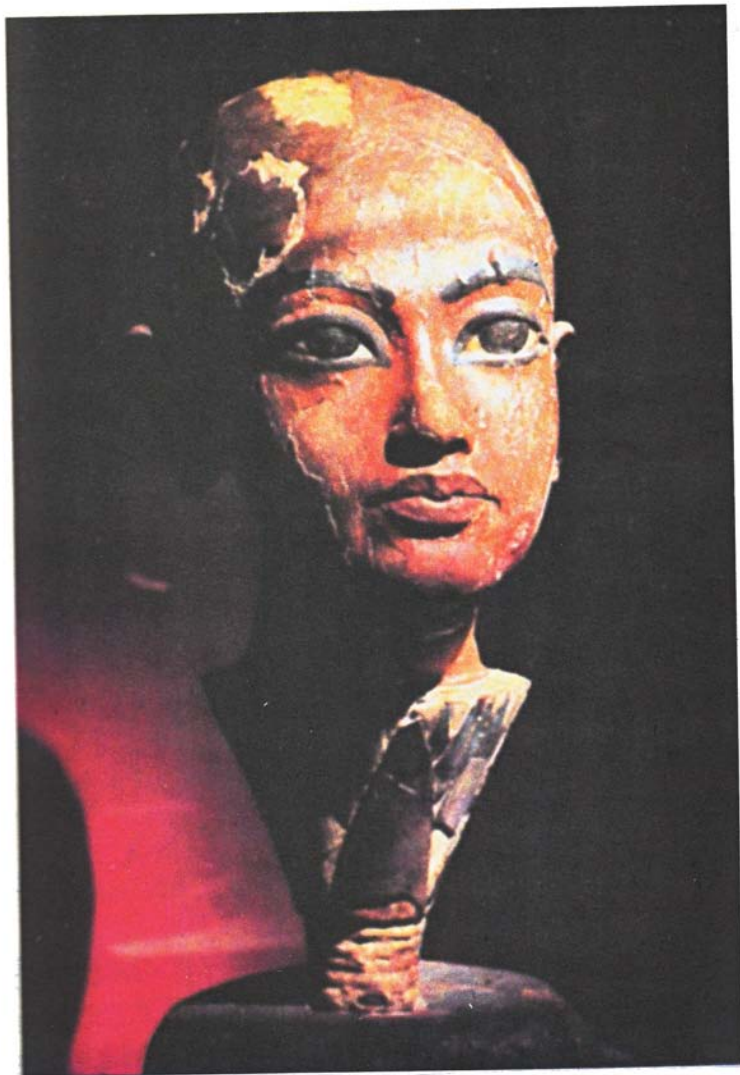
- رجال الخليفة المأمون يصعدون داخل الممر الذي حفروه في الهرم الأكبر.



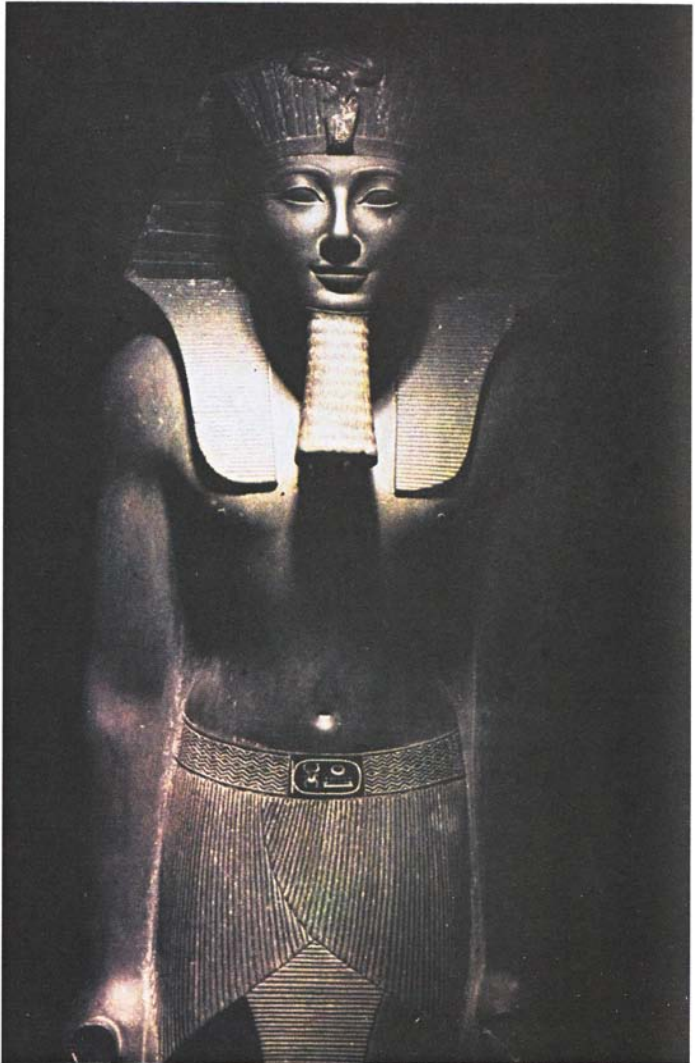
- التمثال الوحيد للملك خوفو .



- قناع الملك توت غنخ آمون.



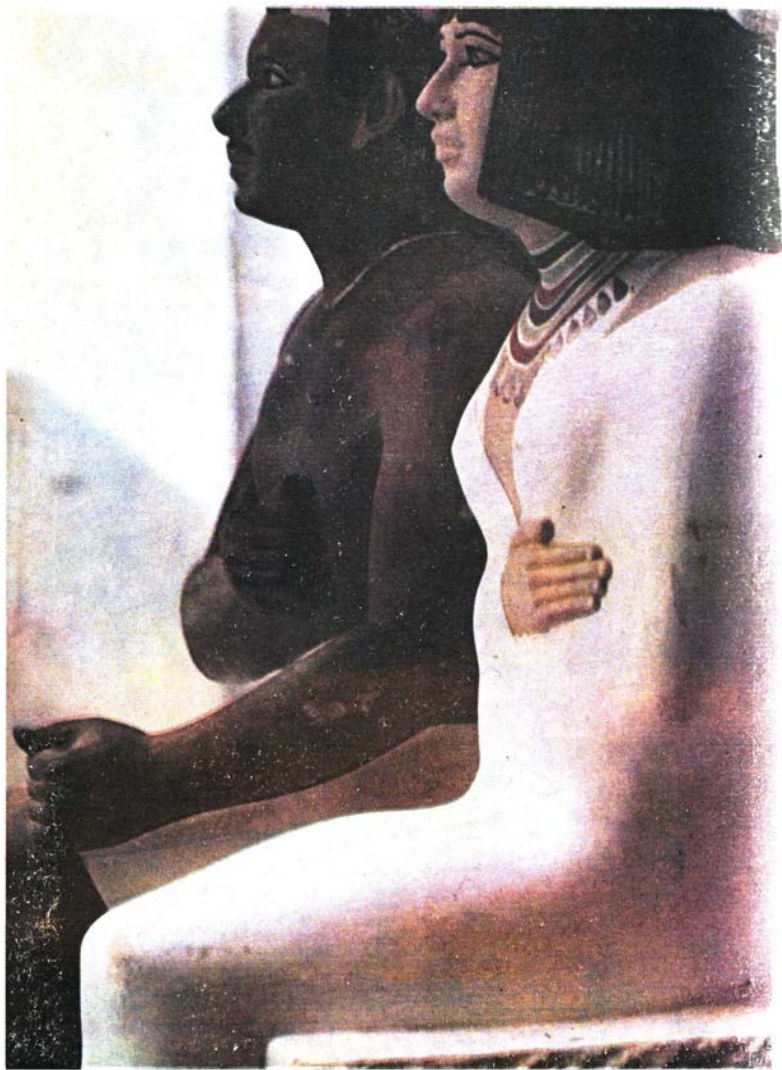
- توت عنخ آمون الملك الطفل.



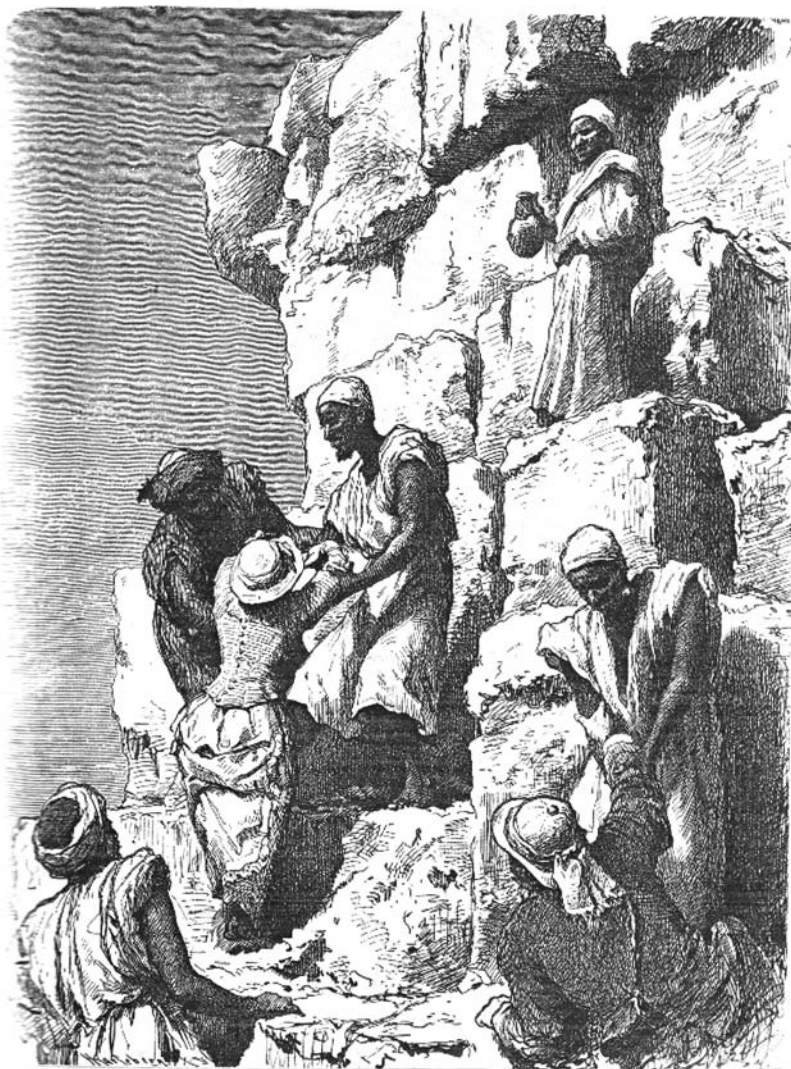
- أمنحوتب الثالث أجمل وأعظم تماثيل المتحف المصرى.



- السواح أمام مدخل متحف الآثار القديمة ببولاق.



- المصرى والمصرية .. العظمة .. الحب .. الوفاء .



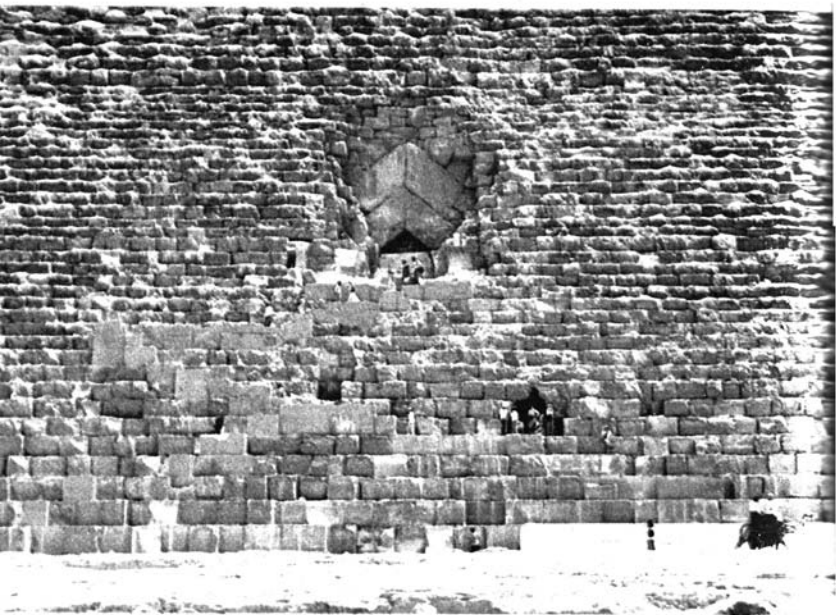
– السائحَات يصعدن الهرم الأكبر بمساعدة العمال المصريين في القرن القبل



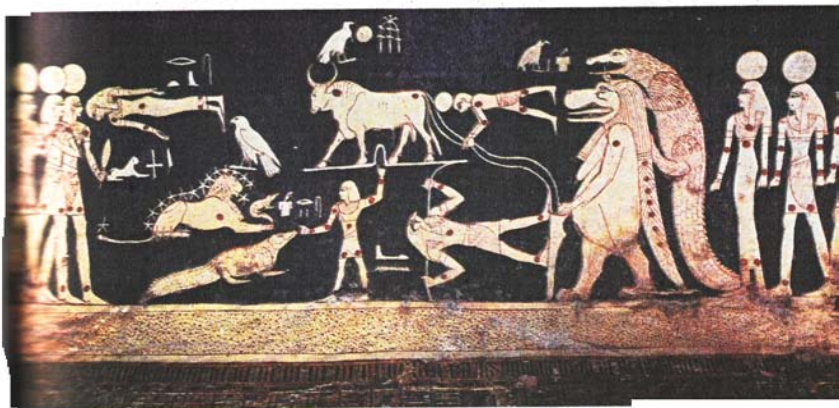
- موقف الحمير وصراع حول تاجيروها للأجانب.



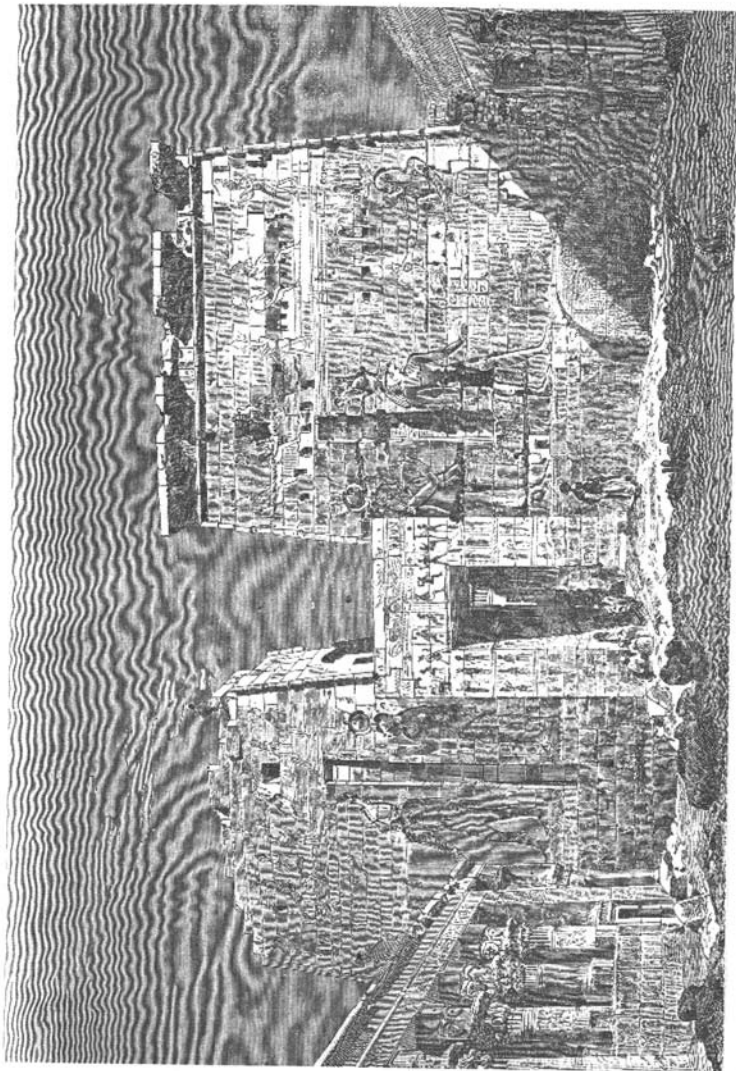
- عروس مصرية شابة فى طريقها إلى قاع النيل للإحتفال السنوى قبل فيضان



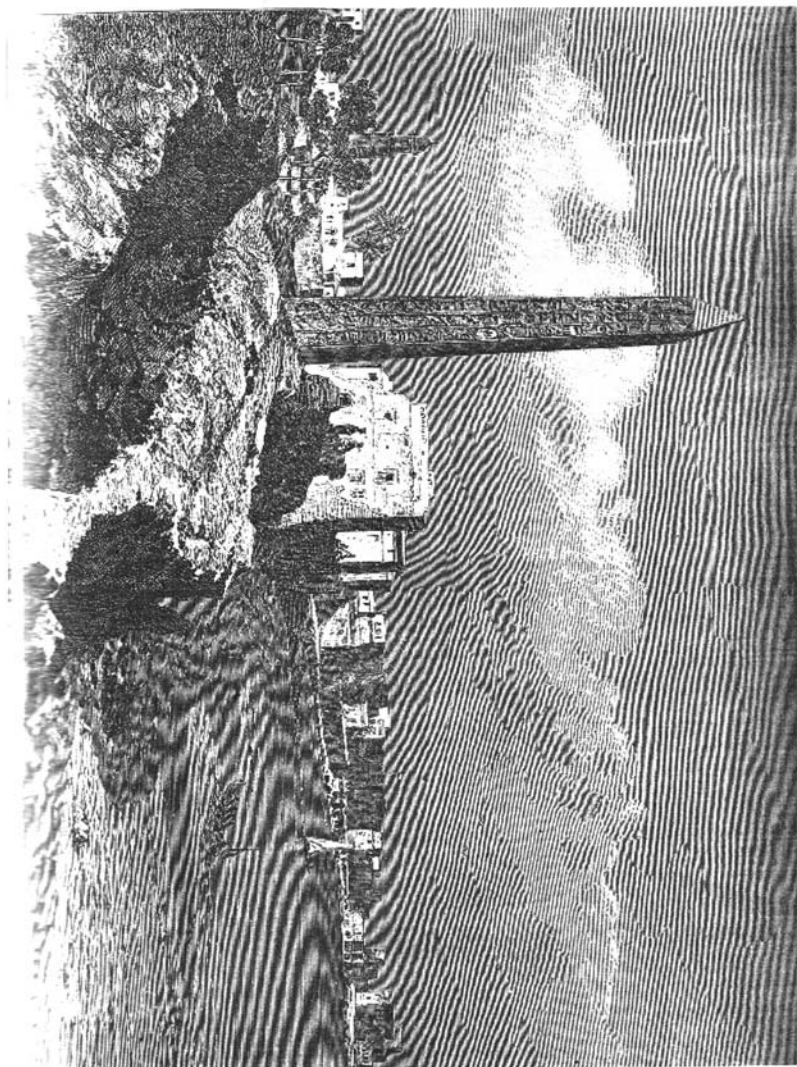
- الهرم الأكبر .. صورة حديثة.

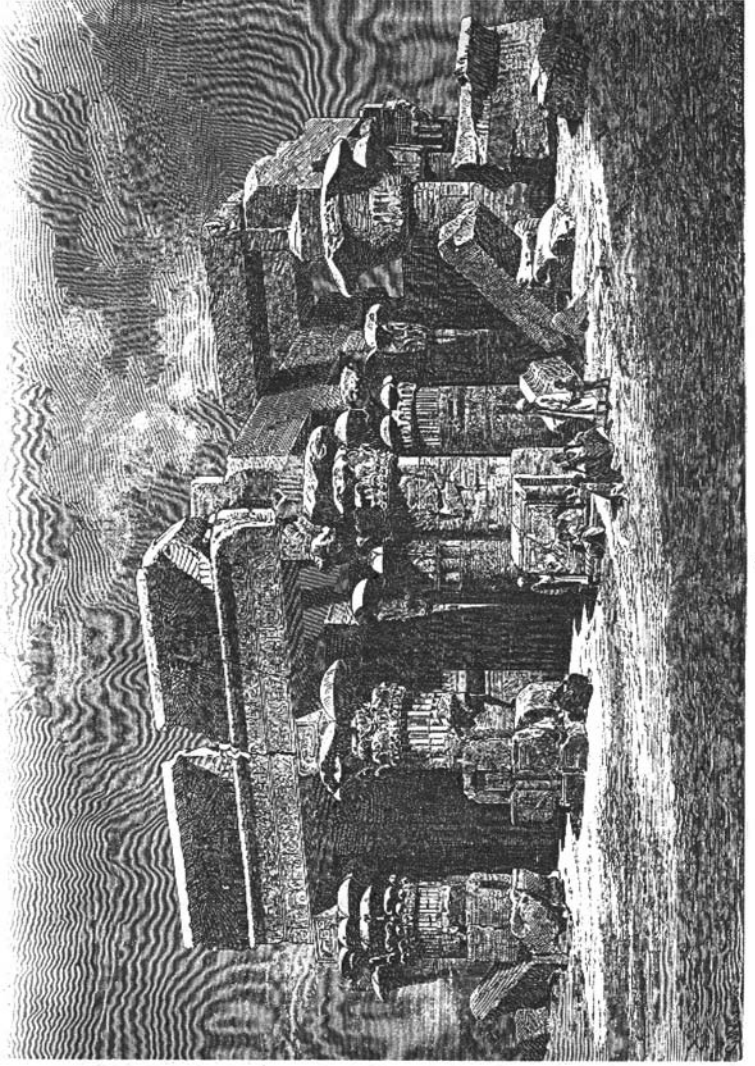


- لوحة جدارية تصور الحياة في العالم الآخر.

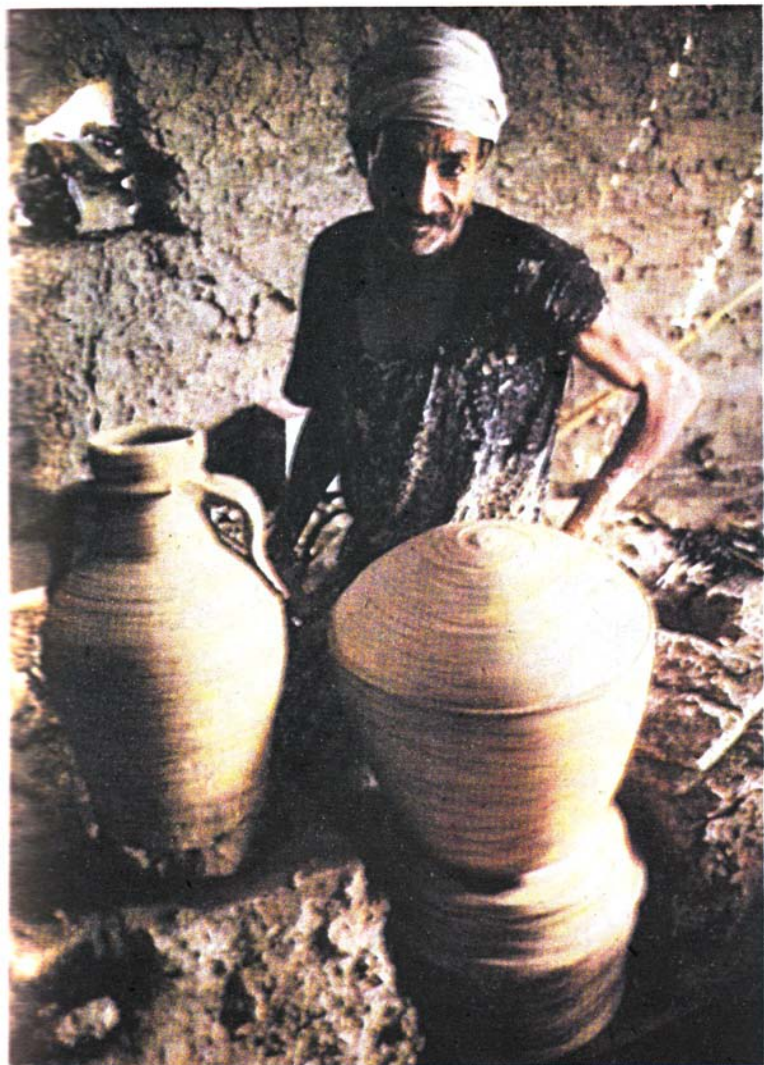


- واجهة معبد فيلة في أسوان





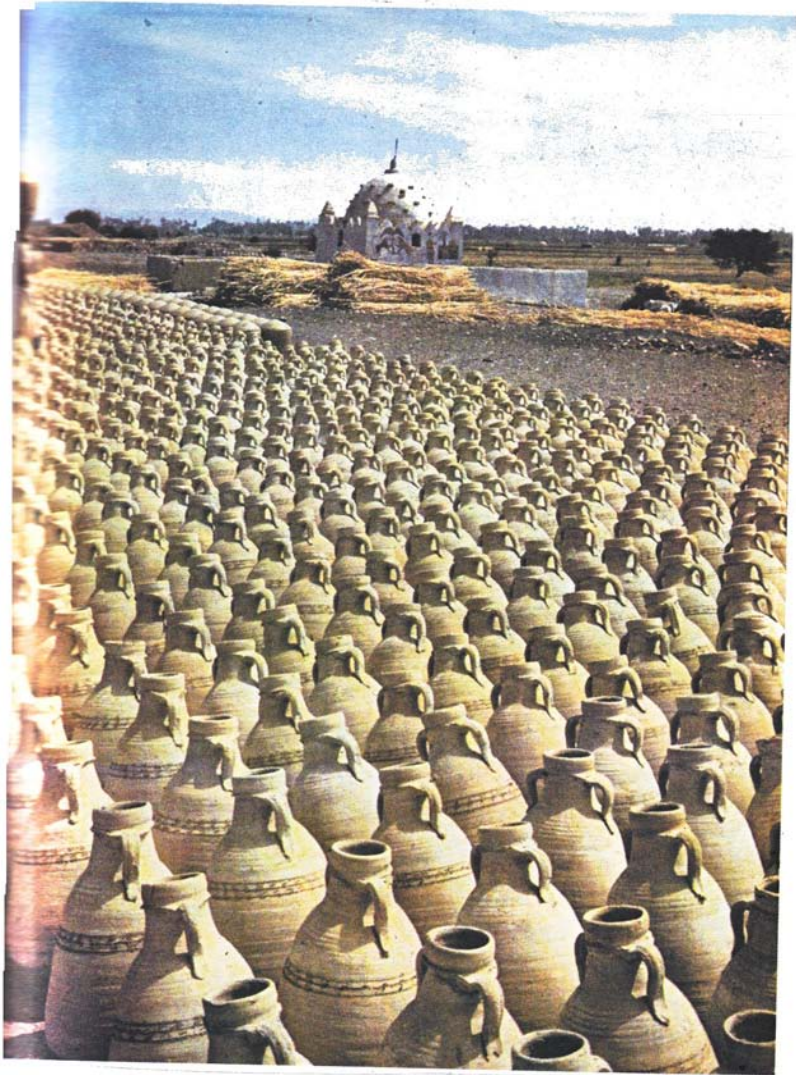
- معبد كوم أمبو غارفاً في الرمال.



- صناعة الفخار.. صناعة مصرية عمرها من عمر الزمن.



- بدويات يرعين الغنم.



آلاف من الزرع والجرار في انتظار الرحيل إلى الشمال.



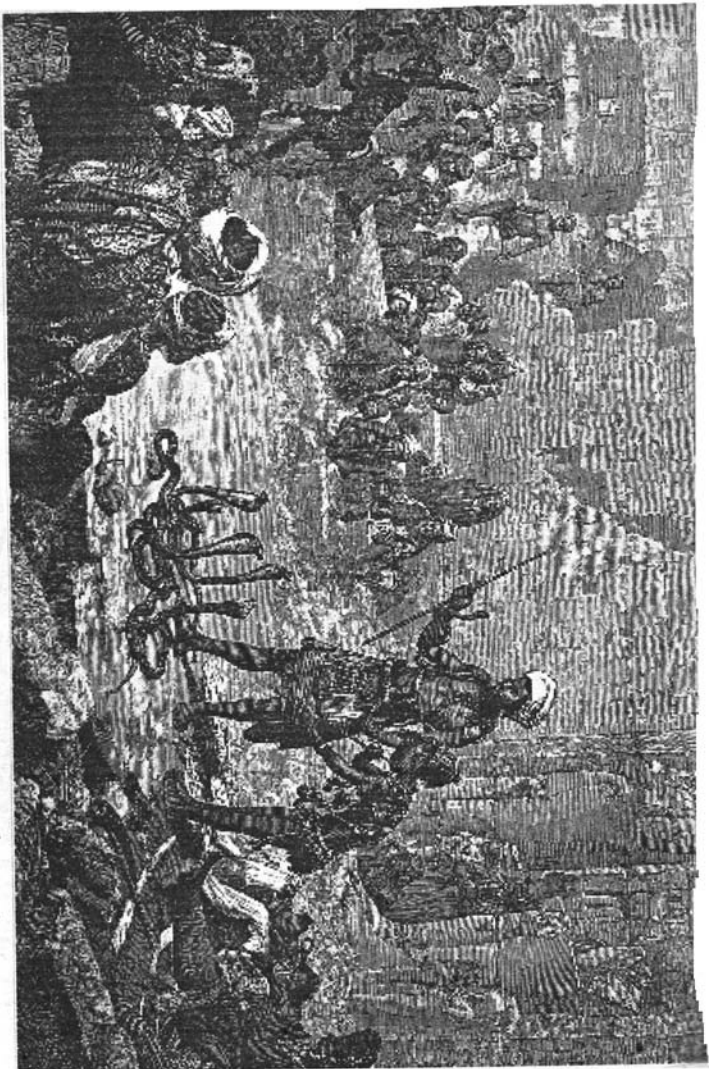
الملك الذهبى يلبس حلتة الذهبية وتاجه الذهبى

- رقصة مصيرية بين أحضان الكرنك بالقرن قبل الماضي.





- المتسول البصري -



- عرض للرقص مع الثعابين في الفناء الثاني لمدينة جابو.





- فتاة مصرية بريشة أجنبية.



- جوهرة الحریم بريشة فنان إيطالی.



- وجه فتاة قبطية - بريشة مستشرق أجنبي.



- سوق مصرى فى مدينة طنطا .



- زينب بريشة أجنبية.



- الشيخ عمر بريشة فنان أجنبى.



- فتى من «آل البيت».



- غجرية مصرية.



- بائعة الأنية الفخارية.

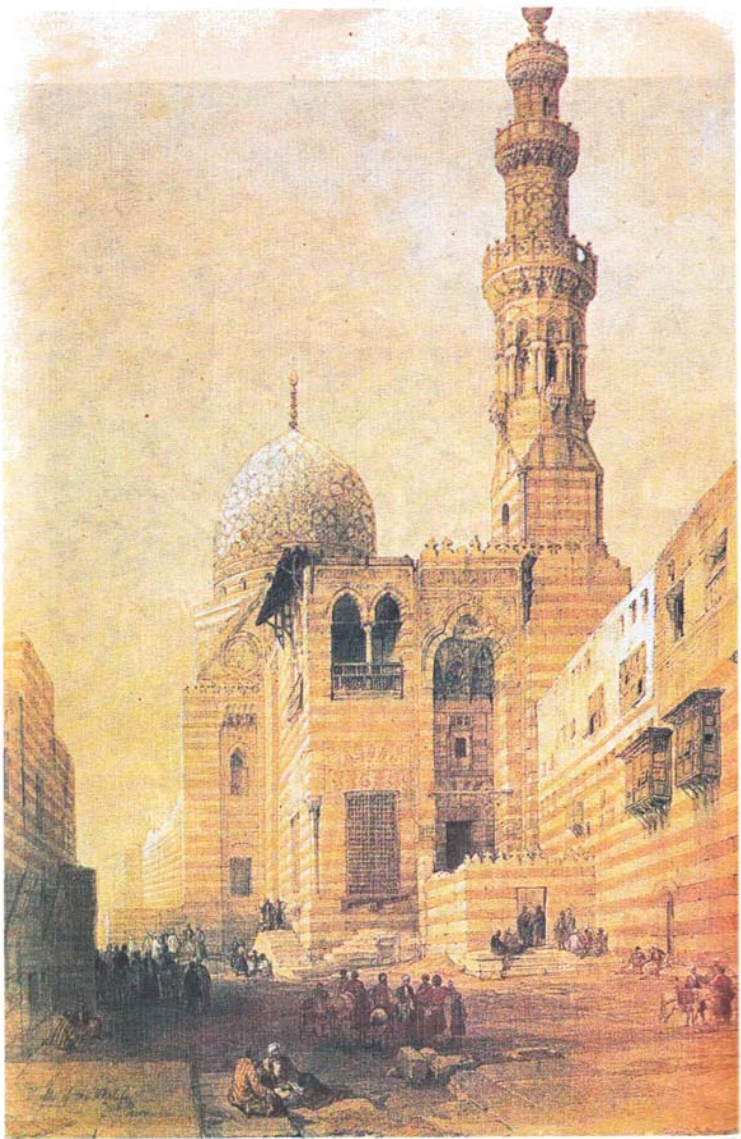


- مغنية السلطان المفضلة.





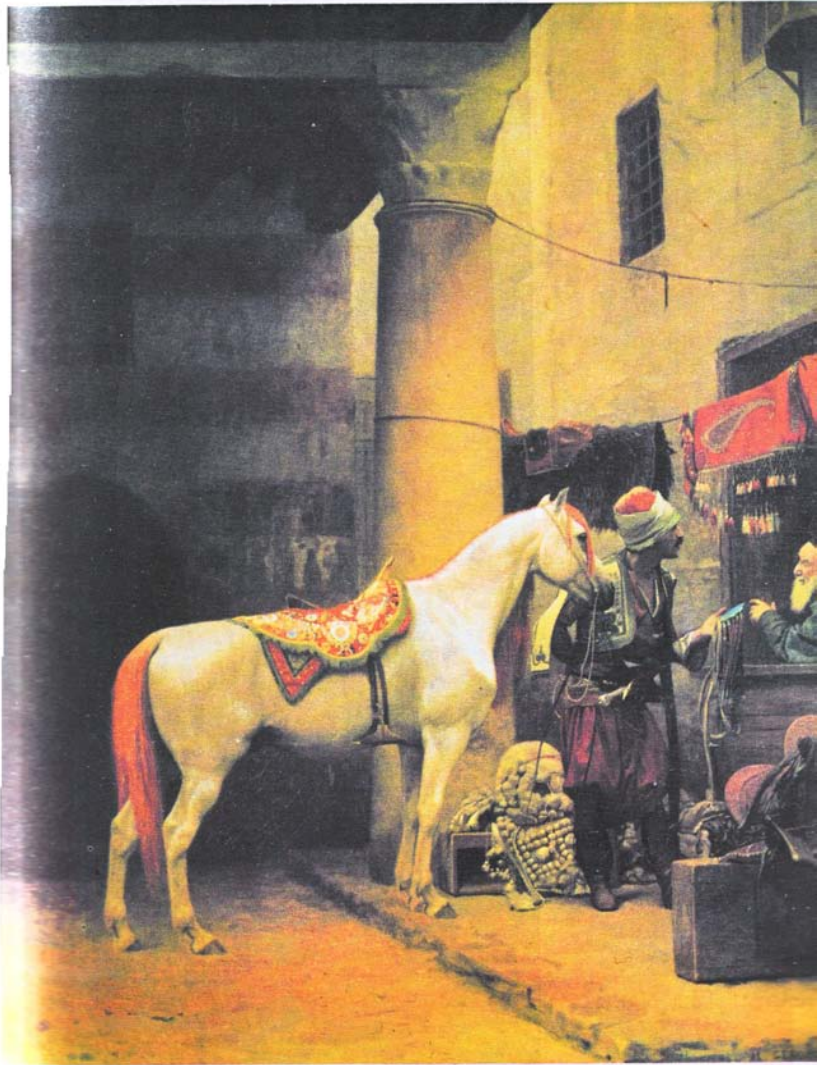
- المظ .. أشهر المغنيات العرب.



- جامع السلطان الأشرف قايتباى بريشة الفنان: ديفيد روبرتس.



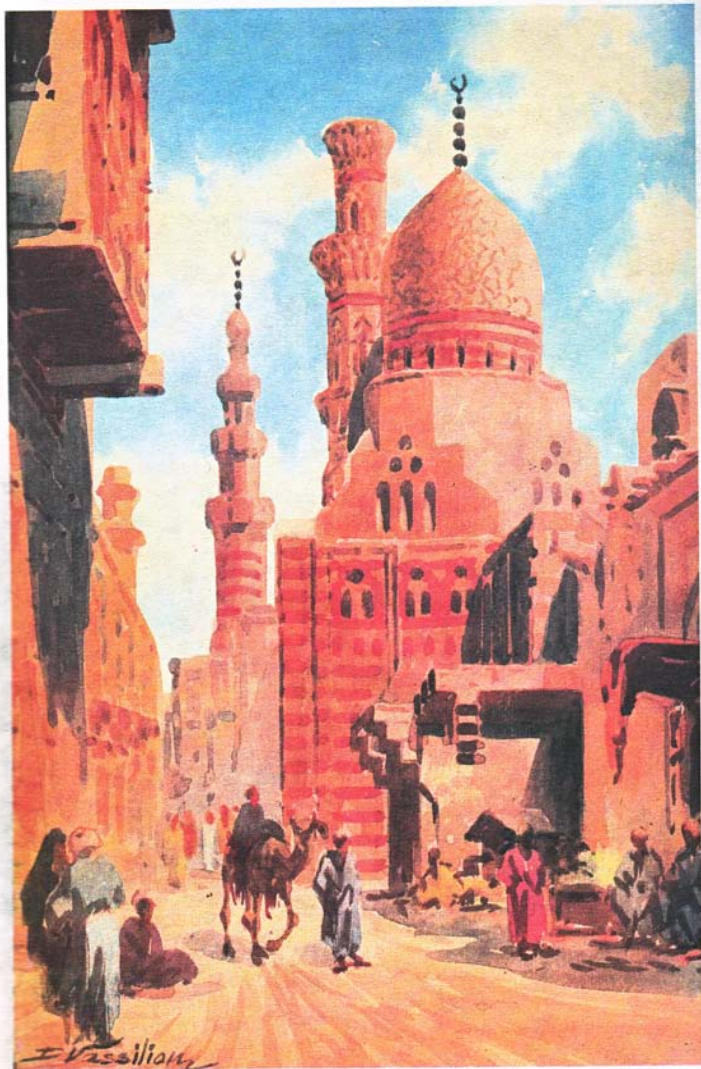
- مجموعة من النساء الشرقيات.



داخل احد الأسواق في القاهرة المعز. بريشة فنان أجنبي.



صورة من داخل القاهرة عام ١٨٨٤.



القاهرة بريشة الفنان هاذيلوني.

الفهرس

٧ مقدمة
١٣ فجر الضمير الصرى
٢٥ الوصايا المصرية العشر
٤١ آدم وحواء (...) على ضفاف النيل
٥٩ أرض الرسائل
٨٥ أعمدة الحب السبعة
٩٧ الشمس تحتفل بيوم مولده
١٠٧ لوغاريتم عمره ثلاثة آلاف عام!
١١٩ وطار بنا البالون فوق وادى الملوك
١٣٣ نحن نعبد إلهها مصرياً خالصاً
١٤٩ الرمال تبوح بأسرارها
١٦٧ أنا المصرى
١٨١ عزيزتى هباشيما
١٩٧ الملكة تبوح بسرها
٢١٥ الزهور المصرية تتفتتح

٢٢٩	الشارع الذى ولدت فيه القاهرة
٢٤٣	رسالة حب لأجمل مدينة
٢٦١	ليست مجرد حدوتة قبل النوم
٢٧١	السلطان فى حارة برجوان
٢٩١	أجمل قصة حب فى التاريخ
٣٠٥	سأكون فى أنتظارك
٣٢١	فجر الضمير المصرى (ملحق صور)
٣٦٥	الفهرس

أعمال المؤلف

عزت السعدنى:

- أصدر مجلة علاء الدين عام ١٩٩٣.. وعين رئيساً لتحريرها .
- أهم أعماله الصحفية.. الاكتشافات الأثرية التى قدمها لأول مرة فى مصر والعالم، ومن بينها «أقدم مومياء فى التاريخ» «العثور على بقايا جيش قمبيز فى الصحراء الغربية» «وثيقة إسلام الجنرال مينو وزواجه من زبيدة المصرية».. إعلان العثور على يوحنا المعمدان فى وادى النطرون.
- له حتى الآن عشرة كتب منها: خطوات الإنسان المصرى، قصة سيدنا يوسف، هل هو يوحنا المعمدان، فن التحقيق الصحفى.. إعلان موت الحب، ١٠٠ سنة سينما.. الشيطان يسكن المدينة.. نساء بلا شاطئ..
- اشتهر بتحقيقه الأسبوعى يوم السبت بعنوان «تحقيق السبت على صفحات جريدة الأهرام الذى يتحدث فيها عن هموم الإنسان المصرى.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب : ٢٢٥ الرقم البريدي : ١١٧٩٤ رمسيس

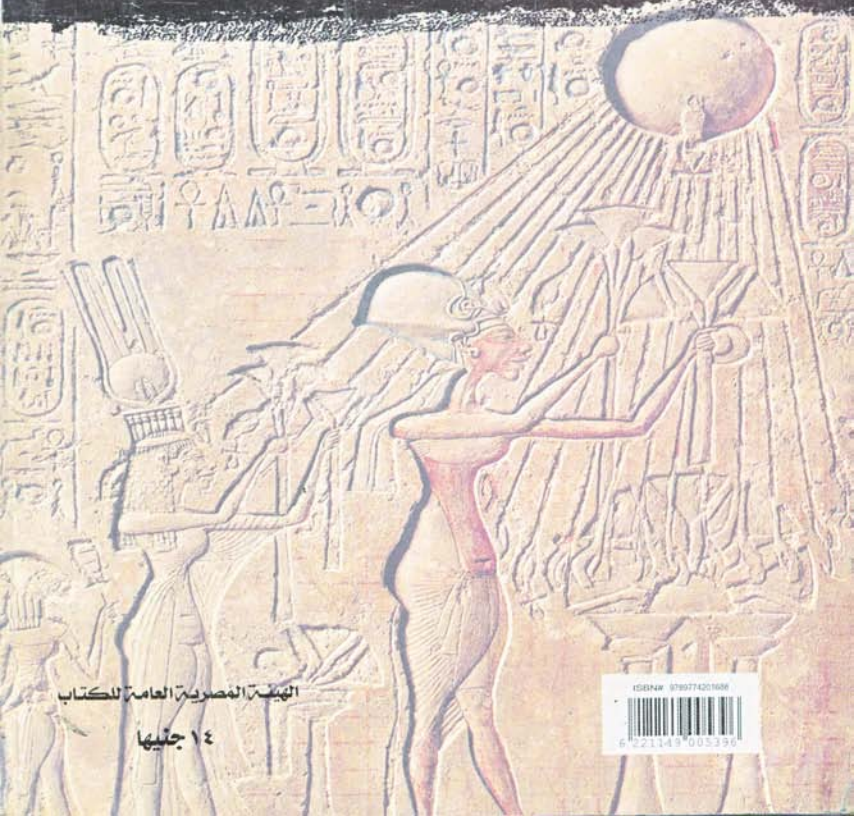
WWW.egyptianbook.org.eg

E - mail : info@egyptianbook.org.eg

عندما سالوا هيرودوت المؤرخ اليونانى الشهير بعد زيارته
التاريخية لمصر قبل الميلاد: ماذا شاهدت فى مصر؟
أجاب: مصر هى شعبة مستقرة فى قاع النيل... إذا أظلم العالم
طففت على السطح لتتير العالم من جديد... ولقد حمل الإنسان
المصرى أمانة الكلمة وأيقظ الضمير الإنسانى من سباته العميق
وعلم الدنيا ما لم تعلم...



إنه فجر الضمير المصرى الذى أشرق على العالم وما زال نوره يملأ الآفاق
والوديان والعقول والقلوب بالفكر والأدب والخلق العظيم... إنه الإنسان
المصرى على طول الزمان قد يغفوا أحياناً ولكنه لا ينام أبداً
عزت السعدنى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٤ ج٢

ISBN 9789774201606



6 221149 003396